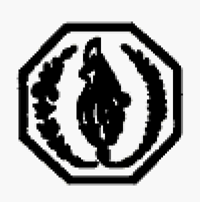




ذو الحجة ١٤٢٠ هـ

نيسان (ابريل) ٢٠٠٠

الطرثوث في خبر البرغوث

تأليف:

الجلال السيوطي



تقديم وتحقيق:

د. عبد الهادي التازي

عضو أكاديمية المملكة المغربية

تقديم

لايستطيع الإنسان العادي أن يتصور كيف أن صدر الإمام السيوطي يتسع للاهتمام بالتأليف حول مواضيع ربما اعتبرت عند البعض هامشية إن لم تكن من لغو القول وفضول الكلام! وإن إلقاء نظرة عابرة على ماتتضمنه اللائحة الطويلة والعريضة مما ألفه الجلال السيوطي لتجعل المرء يتساءل عن مدى البعد الثقافي الذي كان يتمتع به هذا الرجل العظيم الذي أعطانا بالدليل الملموس معنى صفة (المشارك) التي كان علماؤنا القدامى يطلقونها على بعض فطاحلهم.

لقد ألف في القرآن وما إليه، وفي الحديث وما حواليه، وفي الفقه وما يتصل به، وفي الأصول والخلاف، وفي الأدبيات وما يتبعها وما ينضاف إليها، وفي الموسوعات والمجاميع والمعاجم والفهارس، وفي التاريخ، وفي عدد من المواضيع المستظرفة، إلى كتب أخرى مجهولة الفحوى. وقد كان له في علم الجنس بضعة تآليف مغرية منشطة كان منها على سبيل المثال (نزهة العمر في التفضيل بين البيض والسود والسمر)[1].

وقد كان مما أثار انتباهي من كتبه تأليف في علم الحيوان (الزولوجيا) LaZoologie يحمل عنوان (الطرثوث في خبر البرغوث)، وقد كان ضمن قائمة المخطوطات العربية النادرة التي وقع الاختيار عليها من بين الموجودة

---

(1) د. أحمد الشرقاوي إقبال: مكتبة الجلال السيوطي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط 1397هـ = 1977 م.

بالخزانة العامة للكتب والمستندات بالمغرب والتي قامت بتصويرها على الميكروفيلم الهيئة المتنقلة التابعة لليونيسكو(1).

وهذه الرسالة تقع ضمن مجموع يحمل رقم ك/ 37 أي إن المجموع كان أصلاً من مكتبة الكتاني، وتوجد المخطوطة في القائمة اليونيسكية تحت خانة علم الحيوان (LaZoologie) ، وهي من ست صفحات مسطرتها 23 سطراً – 20 سنتيما على 14. كتبت بخط مشرقي لايخلو من أخطاء. كانت النسخة الوحيدة التي اعتمدتُ عليها، ولذلك فإنها كلفتني شططاً! وقد فصلها الجلال السيوطي على ثلاثة أقسام: المقدمة، والمقصد، والخاتمة.

لقد بدأ السيوطي مقدمته بالقول: بأنه كان في عمله هذا مقلداً لسلفه أبي الفضل ابن حجر الذي ألف كتاباً في الموضوع غير أنه أي السيوطي أضاف «زيادة» على سلفه...

ومع الأسف فإنه لم يكن في الإمكان الوقوف على ماألفه ابن حجر حول البرغوث، حجماً ومضموناً(2)، إلا أننا من جهة أخرى نجد أن الجلال السيوطي استفاد من كل من الجاحظ والدميري في تآليفيهما حول الحيوان، ولو أنه أي السيوطي لم يذكر اسم الدميري الذي يذكر في صدر الذين اهتموا من العرب بالزولوجيا...

لقد خصص الجلال السيوطي المقدمة لذكر أسماء البرغوث وكناه، ونحن نعلم أن العرب أثرياء في إعطاء الأسماء للحيوانات: القط والأسد والصقر إلخ. وبالرغم من صغر حجم الرسالة البرغوثية التي لم تتجاوز ست ورقات إلا أنها مع ذلك تحتوي على ذكر عدد من الشخصيات ممن لها صلة

(1) وثيقة تحمل تاريخ 1962، الرباط، نسخة خاصة.

(2) توجد نسخة من هذا الكتاب في مكتبة ليدن (هولاندا).

بالبرغوث وأخبار البرغوث... وصلت إلى نحو سبع وسبعين! هذا إلى عدد من المصادر والتآليف التي ذكرها ضمن المخطوطة والتي وصلت إلى نحو من أربعة وعشرين مصدراً! علاوة على عدد من الأعلام الجغرافية التي وردت كأماكن يشتكى فيها من وجود البرغوث مثل بغداد ومدينة الفسطاط مما نحتاجه عند الحديث عن الجغرافية الطبيعية...

وقد تضمنت هذه الرسالة طائفة من الأمثال العربية التي قيلت في البرغوث الأمر الذي يؤكد أنه أي البرغوث ظل مشغلة للناس بالرغم من أن الرؤية لاتكاد تستوعبه في بعض الأحيان!

ومن ذا الذي يمكن أن يهتم بالبرغوث غير أهل العلم الذين يشعرون أكثر من غيرهم بمضايقته وتمكنه من فرض نفسه عليهم عندما يقطع أفكارهم ويشوش على تخيلاتهم وتصوراتهم...

برغوث واحد يغشى مجلساً يمكن أن يحوله إلى قوم واقفين مائلين قاعدين يبحثون عن هذا الطارئ الذي قد يحمل معه الحمى والطاعون، علاوة على مايحمله– بالتأكيد– من أرق وسهر!!

وقد أمكنني أن أقوم بجولة عابرة في بعض كتب التراث عما قيل في البرغوث فكانت مفاجأتي كبيرة وأنا أقرأ عن هذه الشونيزة أو نقطة المداد التي تستحل دم الكافرين والمسلمين على حد تعبير الثعالبي في يتيمة الدهر(1).

ونحن في المغرب، وأعتقد أن البلاد الأخرى لاتختلف عنا، نتوفر على

(1) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، شرح وتحقيق د. مفيد محمد قميحة– ج 2، دار الكتب العلمية، بيروت.

عدد كبير من المرددات الشعبية التي تتصل بالبرغوث وذكائه المفرط وحيله غير المتناهية التي يتذرع بها للنجاة والتي يذكر في صدرها أنه يقفز أحياناً إلى الوراء على نحو طائرة الميراج!! وعلى نحو كلمة (الكرك): تقرأ ذات اليمين وذات اليسار، حيله التي نذكر في صدرها أنه خبير بكل وسيلة قد تتخذ لمنعه من رزقه، فهو لايعبأ بالناموسيات المرتفعة المتعالية، ولا بالقمصان الطويلة الأردان والأبدان على حد تعبير الجاحظ...

ولكثر مااهتم الناس بالبرغوث أعطوا اسمه لبعض رجالاتهم من أمثال برغوث أبي عبد الله محمد الجهمي أحد المناظرين للإمام أحمد وقت المحنة[1].

وقد اشتهرت حلقات ساحة جامع الفناء في مدينة مراكش بأحد رواتها المرموقين ممن حملوا اسم برغوث، كان يتوفر على كل مايتصف به البرغوث من جسم صغير قميء، ومن حركات وسرعة ولسع وصعوبة إمساك، هزلي لايضاهى، بطن بارز تحت جبة من قطن أبيض، يلبس سروالاً ضيقاً ملوناً وقصيراً لايتجاوز ركبتيه، ساقان مكشوفتان، تعلو رأسه شاشية حمراء دقيقة الرأس من النوع الذي يحمله أعوان الحكومة، لحية نقرها الشيب وعين تعبر عن دهاء وذكاء، كل ملامحه وحركاته تبعث على الضحك، إذا لم يضحك فالناس يبتسمون وإذا ابتسم يضحكون وإذا ضحك يقهقهون، وإذا بكى يهيجون!

وكان من خصائصه في حلقته أن يختار أحد ذوي العاهات فيجلسه وسط الحلقة يستدر به شفقة المحلقين عليه لينفحوا المريض بصدقاتهم على

(1) الذهبي سير أعلام النبلاء، ج 10، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت 1402– 1982.

إيقاع ضرب الدفوف في جو من المجون والكلمات البذيئة اللاذعة...

ومن خصائصه التي سجن من أجلها أحياناً أنه، وقد حدث أن بعض الجهال أسند إليه منصب عال، قد جعل دُعاءه- وكانت العادة عند سائر الحلايقية أن يختموا جلستهم بأدعية تقليدية عادية- جعل دعاءه هكذا: (يارب امسخْ هذه الدنيا حتى يصبح برغوث من كبارها)![1].

وبعد المقدمة يأخذ الجلال السيوطي في (المقصد) أي المقصود بالذات من الكتاب، ويتعلق الأمر بالناحية الشرعية والفقهية، وهنا نقف على أزيد من عشرة أحاديث نبوية تتعلق بالبرغوث[2]، وتبرير وجوده في دنيا الناس، وأن علينا أن نضبط مشاعرنا فلا نتناوله بسب، ولا نستنزل عليه لعنة! والسيوطي يذكر إلى جانب هذا بعض «التمائم»- إذا صح التعبير- للتغلب على أذى البراغيث، وهي مروية عن بعض رجال العلم والذكر: وكان فيها مايحمل هذه الآية الكريمة: ﴿ولنصبرن على ما آذيتمونا...﴾ [سورة إبراهيم، الآية ١٢] .

على أن الحافظ السيوطي إلى جانب هذه التميمة التي رواها، لم يتردد في الالتجاء إلى العلامة النباتي الشهير ابن البيطار لينقل عنه «وصفة» طبية تتلخص في تلطيخ نحو عود بمادة لزجة من شحم الثعلب، يركز ذلك العود وسط البيت فلا يلبث البرغوث أن ينجذب إلى تلك المادة فيلصق هناك، تماماً على نحو مايباع اليوم في بعض المخازن العصرية التي تهتم بما يطرد الحشرات...

ولا نلبث أن نجد السيوطي هنا بين علماء التعديل والتجريح يعمل على

---

(1) ابن الشرقي: ارتسامات ومعطيات تاريخية حول مدينة مراكش، ج 2، ص 158.

(2) في جلسة خاصة في عمان مع المحدث الكبير الشيخ ناصر الدين الألباني سألته ضبطَ هذه الأحاديث فأعدَّ لي حفظه الله «تقييداً» على ماسنذكره عند الاقتضاء...

تزكية رواية دون أخرى... وقد حصل منه هذا عندما استطرد- فلسفياً- بذكر نازلة تتصل بقتل البرغوث وبالإجهاز على الحيوان عموماً... وهل إن نهاية الحيوانات هي على حد سواء مع نهاية الإنسان، كل من عند الله أو إن أمر الإنسان بيد ملك الموت، بينما الحيوانات الأخرى لها منحى شرعي خاص؟ إن المبتدعة يقولون بالتفرقة بين الأرواح: بمعنى إن بعضها موكول إلى خلقه وبعضها موكول إلى الله ذاته، حديث طويل هنا يتناهى فيه إلى الكل بيد الله...

هذا كل مافي الفصل المعنون بالمقصد... أما الفصل الذي يحمل عنوان الخاتمة، فقد ساق فيه عدداً لايستهان به من ضروب الشعر مما يطول أو يقصر وعلى مختلف البحور والأوزان... وكله يدور حول البرغوث... ويشعر المرء بمتعة زائدة وهو يستمع إلى أولئك الشعراء وهم يعبرون بمختلف الطرق عما يحسون به إزاء ذلك البرغوث !! زهاء إحدى وعشرين قطعة..!

ففيهم من استوقفته جرأة البرغوث وجسارته على المضي قدماً في أداء مهمته غير مكترث بأسر أو حصار أو قتل! إنه من لصوص الليل الذين يستغلون فرصة الظلام لينتزعوا أثمن ماعندك! ليفقدوك الراحة والاطمئنان!

وهناك شاعر آخر يقول: إنها أي البراغيث أشبه ماتكون بالجرافات التي تأتي على الآكام فتهدها.!!

والطريف في بعض هذا الشعر أنه يعيد إلى ذاكرتنا تراثاً علمياً أصيلاً بل بالغ الأصالة، ويتعلق الأمر بالخطاب عن طريق إشارات أصابع اليد وإشارات عقداتها (La dactylonomie) على نحو ما نراه اليوم في التلفزة الموجهة إلى البكم والصم، عندما تقف المذيعة أو المذيع ليقدم للنظارة الأخبار والأحاديث عن طريق حركات أياديه وأصابعه..!

فعلاً وجدنا اثنين من الشعراء: أحدهما من القرن الخامس الهجري والثاني من القرن السادس والسابع، هذان الشاعران هما: الخوافي وابن مطروح، عندما كانا يتحدثان عن طريقة انتقامهما من البرغوث، عوض أن يقولا إنهما فركاه بين أصابعهما فركاً... عوض ذلك استعملا طريقة تراثية ما أجدرنا اليوم أن نبعثها من مرقدها مرة أخرى، وهكذا فعوض أن يقولا إن البرغوث وقع بين سبابتهما وإبهامهما، عوض ذلك عبرا بقبضة الثلاثين، وقبضة السبعين... ومعلوم أن العرب في سالف عهدها كانت إذا أرادت التعبير عن رقم ثلاثين عمدت إلى جمع رأس الإبهام برأس السبابة، وإذا أرادت أن تعبر عن رقم سبعين وضعت رأس الإبهام على العقدة الوسطى من السبابة... والحالتان معاً تصوران وضع الإنسان وهو يفرك البرغوث بعد أن يظفر به..!

يقول الخوافي:

تسلمه الثلاثون اختمارا إلى سبعين في أسر المنون!

ويقول ابن مطروح:

أمكنت قبضة الثلاثين منه فسقته الحمام في سبعينا!!

ويضيف هذا الأخير متحدثاً عن «العنت» الذي كان يشعر به وهو يتلقى لسعات البرغوث فيقول إنه كان يشعر بأن قلبه في قبضة التسعين من جراء تلك اللسعات، رقم التسعين كما قلنا يؤدى –بمقتضى حساب عقد الأصابع– بوضع طرف السبابة على قاعدة الإبهام(1).

(1) أخبرني الزميل د. رمضان عبد التواب عميد جامعة عين شمس 1993/10/07أنه كتب مقالاً حول هذا الموضوع في آخر عدد من مجلة معهد المخطوطات العربية... لكن لم أتمكن من الوقوف عليه...

وهناك شاعر آخر يشبه البراغيث– على صغرها– بالأفاعي الرقش! وهذا يعبر عن مدى المرارة التي يحس بها الإنسان وهو يحرم من النوم حتى ليستقبل صباحه وأجفانه على حال من الانتفاخ وسوء الحال! عدو يصارعك في الظلام وأنت لاتراه، لكنه يراك بحسه المرهف! يغدو فراشك الوثير وكأنه مفروش بحسك!! يحملك ذلك على أن تزهد في ذلك الفراش لتنزوي في ركن تشتكي مما لحقك من ظلم!

وفي الشعر ماتتحسس فيه العنصرية التي كانت تطبع حياة الناس في العصور الوسطى، فالشاعر وقد وجد نفسه بين جيش من البراغيث السود يشبه نفسه بملك الروم (الأبيض) الذي نُصب له كمين من قبل الصنف الأسود، كأن هذا الصنف يحسد ملك الروم على لونه الأبيض، ولذلك فإن هذا الأخير يتعرض للنهش من قبل السود!!

ومن الشعراء من وضع رسماً كاريكاتورياً لحالة طبقة معينة من المجتمع، فشبه البراغيث– وهي تمتص دماء الأبرياء– ببعض الحكام الذين يجدون في أموال المحاجير التي تناهت إليهم، يجدون فيها مرتعاً للاستغلال!

وقد تكرر أداء هذه الفكرة حيث وجدنا شاعراً آخر يشبه البراغيث وهي تمتص من دم الناس بما يقوم به بعض الشهود من ابتزاز أموال القاصرين!!

ومنهم من تواطأت عليه أسراب الناموس والبرغوث معاً. فالناموس يشرب من دمه والبرغوث يرن في أذنه فهو بين جحيمين اثنين!

وفي هذا المعنى أيضاً نجد أحدهم يشبه الاثنين: البرغوث والناموس برجلين انتشيا خمراً فأخذ أحدهما يغني وأخذ الآخر يرقص!!

والفرق بينهما أن السكران احتسى خمراً من عنب، بينما الحشرتان

انتشيتا من دم هذا الشاعر المسكين!!

وبعضهم– وقد راعه الحرمان من النوم– أخذ يصف الهجمات العشوائية للبرغوث والبعوض... بأنها نزو من غير ما شعور بلذة! وقول للشعر من غير ما احترام للقافية!!

وفي الناس من كان يتهيب حلول الليل الذي يقترن بالنفير الذي تعلنه البراغيث على الذين يجلسون للسمر إلى جانب الحبيب والقنديل!!

ولم يسلم بعضهم من أذى البراغيث حتى عند الظهيرة عندما يلجأ الناس إلى القيلولة... وفيهم من نحا في التشبه منحى آخر، فهو يقول إن البراغيث طغت عليها نشوة الشرب من دمه فعلَّتْ بعدما نهلت، وبالغت في السكر حتى أخذت تتقيأ دمه على ثيابه في رائعة النهار!!

وفيهم من امتحن بالباءات الثلاث: البرغوث والبعوض والبق فوضع صورة طريفة لهذا الثلاثي الوقح بعد أن اشترك في امتصاص دمه الذي أسكره: فأخذ البرغوث يرقص أمام تزمير البعوض بينما كان البقّ مصيخاً بسمعه للزمر.

ونحن في الحديث عن إطلاق «الرقص» على وثب البراغيث نجد أحد الشعراء يذكر أن هذه البراغيث عندما ترقص فإن الناموس يجيبها بغنائه، وأن البق في هذه الأثناء يعتريه «التواجد» فيهوي على دم الضحية يحتسيه خمراً يزيد في طربه!!

وعندما زار أحدهم مدينة الفسطاط، كان يحلم بأنه سيعيش في سعادة زائدة عندما يقضي لياليه بالمدينة التاريخية، لكنه لم يلبث أن شعر بالخيبة وقد تعرض لغارات البراغيث! إنه أمسى يتمنى أن يرى الشمس التي تخلصه من شرور هذا الحيوان... إنه يتمنى أن يقضي ليلة واحدة فقط دون براغيث!!

ومن الشعراء من رأى أن يرفع عقيرته بالشكوى إلى أعظم سلطة في البلاد على نحو ما يرفع المظلومون شكاواهم إلى السلطان!! إنهم ماينفكون يحكون جلودهم وصدورهم وأفخاذهم.

وإذا كان هذا الشاعر قد توجه بشكواه إلى صاحب بغداد فإن شاعراً آخر استعصى عليه أن يعرف إلى من يتوجه بالشكوى من هذا الحيوان الذي أراق دمه وأرّق جفنه!

وفيهم من لمح إلى الموقف الفقهي من استباحة قتل البراغيث وهو في هذا الصدد يشير لمصرع الحجّاج بن يوسف الثقفي في الحرم، وكأنه برغوث كان هدرُ دمه من الحلال الطيب! وفي هؤلاء من استوحى في شعره من الفكرة القائلة: إن البرغوث إنما يمتص الدم الفاسد الزائد!! وإن لسعاته ذات فائدة على المعضوضين لأنها تنبههم لأوقات الصلاة!!

ومنهم من يرى في البراغيث عظة للذين يغترون بقوتهم فيحتقرون الضعيف لمجرد أنه قميء ضعيف، ألا ترى أن البرغوث– على صغر حجمه– كان في استطاعته أن ينتقم من هذا الإنسان القوي أعظم انتقام، ويحرمه من لذائذ المنام.

وقد شبهه أحدهم بالأفعوان، وأعطاه آخر صفة الليث في وثباته، ولقد تحمل بعضهم عناء الصبر، والبرغوث يغرز مخالبه في أجسامهم، لكنهم لم يطيقوه عندما يتسرب إلى آذانهم... ونحن نعلم أن الأدب الفرنسي يضرب المثل في الإزعاج والقلق بهذا الحال: «Avoir la puce a’ L’ oreille» .

فإذا ماأضفنا إلى هذه الأشعار جملة وافرة مما ورد عند الجاحظ في (كتاب الحيوان)[1] ، وعند الدميري في (حياة الحيوان الكبرى) وما ورد في

(1) ينظر على الخصوص الجزء الخامس بتحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، طبع دار الجيل، بيروت، ودار الفكر، ص 373–384 وما بعدها إلى 392.

(نفح الطيب) للمقري[1]. وجدنا أنفسنا أمام شبه ديوان من الشعر ثري واسع مما قالته العرب في البرغوث!!

هذا طبعاً إلى إسهام النثر الرفيع في وصف هذا القزم العملاق في آن واحد، الذي خلقه الله وكأنه جزء لايتجزأ من الليل، يكمن نهاره ويسري ليله...؟ يجر ذيله على الجبابرة، ويهتك ستر كل الأبواب، ولا يحفل ببواب، ولا تمنع منه أميرة ولا أمير!!

وبين هذا وذاك نقرأ في المخطوطة سطوراً عن الجانب العلمي في حياة الحيوان La Zoologie ... فهو يذكر أن عمر الذباب أربعون يوماً، وأن عمر البعوض ثلاثة، والبرغوث خمسة... وأن أصله أي البرغوث من التراب... وأنه صورة مصغرة جداً لشكل الفيل الأمر الذي تؤيده المعلومات الحديثة وأنه من الحيوانات التي تطيل السفاد شأنه في ذلك شأن الحشرات المشابهة[2]، التي تبيض وتفرخ... والذي نريد أن نقوله بهذه المناسبة إن معظم هذه

(1) كان مما قاله ابن الخطيب وقد انتابه البرغوث:

زحفت إلي ركائب البرغوث ثم الظلام بركبها المحشوث
بالحبة السوداء قابل مقدمي لله أي قِرًى أعد، خبيث
جيشان من ليل وبرغوث، فهل جيش الصباح لصرختي بمغيث؟

وقد أورد ابن الخطيب في الإحاطة شعراً عن برغوث، فيه التجنيس:

بتنا نكابد هم القحط ليلتنا وأنجد السهد والكرب البراغيثا
وكان يحمد ماكنا نكابده من المشقة لو أن البَرَى غيثا!!

النفح، تحقيق إحسان عباس، بيروت 1968، ج 6، ص 484.
ابن الخطيب: الإحاطة 4،517 .

(2) ذكر لي زميلي العزيز د. محمود حافظ المتخصص في علم الحشرات ونائب رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة أن مرد ذلك إلى اشتباكات عضوية تجعل من الصعب على البرغوث أن ينفصل عن البرغوثة قبل مرور بعض الوقت...

المعلومات العلمية كانت تعززها المعلومات التي قدمتها إلينا الموسوعات المتخصصة...

وهكذا فإن المخطوطة تكون إسهاماً جيداً في أخذ فكرة عن مدى حضور الفكر العربي في كل مناحي الحياة اليومية، وكل الاهتمامات التي تشغل بال الناس آناء الليل وأطراف النهار وبالتالي فإنه إسهام جيد في العلم الذي أصبح معروفاً اليوم باسم الزولوجيا...



كتاب الطرثوث في خبر البرغوث [illegible] جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد فقد الف حافظ العصر ابو الفضل ابن حجر جزءًا سماه البسط المبثوث في خبر البرغوث وهذا جزء فيه افادة تحتوي على ذلك وزيادة ويسمى بالطرثوث في فوايد البرغوث فيه مقدمه ومقصد وخاتمة المقدمة البرغوث بضم البا اكثر من كسرها وفتحها وثاوه مثلثه والواحدة برغوثه وجمعه براغيث ومن اسماء القذه والقذذ والجمع قذان بالكسر والاباره بوزن كتانه والقذان بالكسر وتشديد الذال المهملة قال الراجز يا ابتا ارقني القذان فالنوم لا تطعمه العينان ويقال له طامر بن طامر ويكنى ابا طال وابا عدي وابا الوثاب وهو من الحيوان الذي له الوثب الشديد ويثب الى وراءه ونقل الجاحظ عن يحيى البرمكي انه من الخلق الذي يعرض له الطيران كما يعرض للنمل وهو يطيل السفاد ويبيض ويفرخ بعد ان ينمو ويتنشا او لا من التراب وسلطانه اخر فصل الشتاء واول فصل الربيع ومن كلام بعض البلغا اذى البراغيث اذا البراغيث وهو احدب نزا ويقال انه على صورة الفيل وله انياب يعض بها وخرطوم يمص به وقالوا في الامثال اطفر من برغوث واطير من برغوث وافعل حتى ينجم البرغوث ذكره القمي في الامثال المقصد روى احمد والبخاري في الادب المفرد والبزار والطبراني في الدعا والبيهقي في شعب الايمان عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يسب برغوثا فقال لا تسبه فانه ايقظ نبيا من الانبيا لصلاة الفجر وروى الطبراني في معجمه والبيهقي في شعب الايمان عن انس قال ذكرت البراغيث عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انها توقظ للصلاة وروى الطبراني عن علي قال نزلنا منزلا فاذتنا البراغيث فسببناها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوها فنعمت الدابة فانها ايقظتكم لذكر الله واخرج البيهقي عن انس قال لعن رجل برغوثا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تلعنه فانه ايقظ نبيا من الانبياء للصلاة وروى المستغفري في الدعوات عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اذاك البرغوث فخذ قدحا من ماء واقرأ عليه سبع مرات وما لنا ان لا نتوكل على الله الاية فان كنتم مومنين فكفوا شركم واذاكم عنا ثم ترشه حول فراشك فانك تبيت امنا من شرها وروى الديلمي في مسند الفردوس انا ابو سعيد ثابت بن احمد ابن عقيل الصيرفي انبا ابو الحسن محمد بن القاسم الفارسي ثنا عبد الرحمن بن محمد الانصاري ثنا بشر بن احمد ثنا داود بن الحسين ثنا عبد الله بن عبد الوهاب الخوارزمي ثنا عاصم بن عبد الله

الصفحة الأولى من مخطوطة الجلال السيوطي

"الطرثوث في خبر البرغوث"

عن الخزانة العامة – الرباط

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى:

وبعد، فقد ألف حافظ العصر أبو الفضل ابن حجر جزءاً سماه (البسط المبثوث في خبر البرغوث)(1). وهذا جزء فيه إفادة تحتوي على ذلك وزيادة، يسمى (الطرثوث(2) في فوائد البرغوث)، فيه مقدمة، ومقصد وخاتمة.

المقدمة :

البرغوث بضم الباء أكثر من كسرها وفتحها، وثاء مثلثة والواحدة: برغوثة وجمعه براغيث.

ومن أسمائه القُذَّة والقُذَذ، والجمع قِذّان بالكسر، وتشديد الذال المهملة(3)؟ قال الراجز:

يــاأبــتــا أرقــنـي الـقــذّان فــالـنوم لا تطيـقـه العيـنان

---

(1) لم تذكر المصادر معلومات عن تأليف ابن حجر هذا (ت 852=1449)، وذكره السخاوي والسيوطي كما ترى وحاجي خليفة، انظر الجواهر والدرر- الورقة 152ب. نظم العقيان 47- كشف الظنون، مجلد 245/1 وتوجد نسخة منه في جامعة ليدن.
Thelibrary of the University of Leiden P. 500 Brocklomann G.L.S II 94.

(2) الطرثوث : خصص لسان العرب لهذه الكلمة حصة مسهبة، وملخصها أن الطرثوث نبت يؤكل، أشبه مايكون بالفطر والكمأة، دباغ للمعدة نافع لها، واحدته طرثوثة، وقال أبو زياد الطراثيث تتخذ للأدوية. وتطرثث القوم: خرجوا يجتنون الطراثيث، كمأة مالطة: (Champignion de Malte).

(3) لعل كلمة (المهملة) خطأ من أحد التلامذة الذين نسخوا الكتاب فإن الذي في كتب اللغة المتداولة أن الذال معجمة.

ويقال له: طامر بن طامر[1]، ويكنى أبا طافر وأبا عدي وأبا الوثاب، وهو من الحيوان الذي له الوثب الشديد، ويثب إلى ورائه[2]! وذكر الجاحظ عن يحيى البرمكي أنه من الخلق الذي يعرض له الطيران كما يعرض للنمل[3] ، وهو يطيل السفاد[4]، ويبيض ويفرخ بعد أن يتوالد، وينشأ أولاً من التراب، وسلطانه آخر فصل الشتاء وأول فصل الربيع، ومن كلام بعض البلغاء: (أذى البراغيث إذا البَرَى غيث)[5]! وهو أحدب نزاء، ويقال: إنه

(1) من التعابير السائدة أنه يقال للرجل طامر بن طامر: إذا لم يدر من هو– على نحو هيان بن بيان، والطمور: شبه الوثوب في السماء أو التحفز إلى الأعلى.

(2) معلومة عن (حياة الحيوان الكبرى) للشيخ كمال الدين الدميري ولو أن السيوطي لم يذكر الدميري. طبعة دار الفكر، لبنان، ج 1، ص 133، وتؤكد المصادر العلمية الحديثة أن البرغوث لايتوفر على أجنحة وإنما يعتمد على الوثوب...

(3) كتاب الحيوان تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، ج 5، بتحقيق وشرح الزميل الراحل عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ص 373، ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت 1970 ج 3، ص 470، وعن يحيى بن خالد البرمكي، انظر كذلك الوفيات ج 6، ص 219– 129.

(4) معلومات عن الدميري... وتذكر الكتب العلمية أن الأنثى من البيض تبيض مئة بيضة تقريباً: 10 في كل ولادة، يقع البيض في الغالب على الأرض ولا يلصق بجسم الإنسان وخلال ثلاثة إلى عشرة أيام– حسب الحرارة– تخرج الفراخ (اليساريع)، تخرج بدون أرجل، كثيرة الحركة، وعلى رأسها شوكة بها توصلت لكسر البيضة عند خروج تلك اليساريع... ويلاحظ أن المخطوطة ترسم (الفساد) عوضاً عن (السفاد)... ومن الطريف أن نقرأ في كتاب الحيوان للجاحظ أن البراغيث تتناكح وهي مستديرة ومتعاظلة، وهي من الجنس الذي تطول ساعة كومه! هذا وقد دفع بي هذا الموضوع إلى تتبع (حياة الحيوان) فيما يتصل بالممارسة الجنسية، وكان من أطرف ما وقفت عليه بالنسبة للتمساح أنه إذا أراد السفاد خرج هو والأنثى إلى البر فيلقيها على ظهرها ويستبطنها فإذا فرغ قلبها لأنها لاتتمكن من الانقلاب لقصر يديها ورجليها ويبس ظهرها!! حياة الحيوان الكبرى لكمال الدين الدميري، ج 1، ص 122– 163، دار الفكر، بيروت، لبنان.

(5) يعني أن البرغوث يظهر عندما ينزل الغيث (المطر) على البرى أي التراب، والتعبير تأكيد لما قرره قبل قليل من أن سلطان البرغوث يكثر آخر فصل الشتاء وأول فصل الربيع.

على صورة الفيل، وله أنياب يعض بها، وخرطوم يمص به[1]!

وقالوا في الأمثال: (أطمر من برغوث)[2]، و (أطير من برغوث)، و(لا أفعله حتى يحج البرغوث)! ذكره القمي[3]، في الأمثال.

المقصد :

روى أحمد والبخاري في الأدب المفرد والبزار والطبراني في الدعاء والبيهقي في شعب الإيمان عن أنس أن النبي ﷺ سمع رجلاً يسب برغوثاً، فقال: لاتسبه، فإنه أيقظ نبياً من الأنبياء لصلاة الفجر...

وروى الطبراني في معجمه والبيهقي في شعب الإيمان عن أنس، قال: ذكرت البراغيث عند رسول الله ﷺ، فقال: إنها لتوقظ للصلاة[4].

---

(1) تؤكد المعطيات العلمية الحديثة هذه المقولات وتؤكد أن له خرطوماً كخرطوم الفيل يمتص به دم الضحية بعد أن يخرقها بأنيابه.

(2) مجمع الأمثال للميداني 1، 441.

(3) ورد هذا المثل في كتاب (المستقصي في الأمثال للزمخشري)، هذا ولم يتضح لي القصد من القمي الذي أسهم في تراث الأمثال– رياض عبد الحميد مراد: معجم الأمثال العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية 1407=1986.

(4) كما سبق أن قلت في تعليق سابق استنجدتُ حول هذه الأحاديث بخبرة الشيخ الألباني أبي عبد الرحمن الذي مهد لجوابه بأن هناك قواعد علمية مقررة في علم مصطلح الحديث بمقتضاها وعلى أساسها يمكن أن يصحح الحديث أو يضعف، وبعد أن يذكر أن الحافظ السيوطي لم يكن موفقاً البتة من الناحية الحديثية يفيد أن هذه آفة ظاهرة معروفة في كتبه، ومن هنا عقب الألباني على الحديث الأول المروي عن أنس بما ملخصه أن السيوطي تابع للدميري والحافظ السخاوي، وأنه لم يصح شيء عن النبي ﷺ في شأن البراغيث ويحيل الشيخ في الأخير على المجلد الثالث عشر من سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، ثم يذكر أن الحافظ ابن حجر الذي ينقل عنه السيوطي أنكر عزو حديث أنس إلى أحمد... إلى تعقيبات أخرى كانت من توافق الخواطر بين ابن حجر والألباني. الأمر الذي يؤكد أن القواعد العلمية المقررة في علم مصطلح الحديث تظل هي القول الفصل فيما يتصل بصحة أو ضعف الحديث.

وروى الطبراني عن علي، قال: نزلنا منزلاً وآذتنا البراغيث فسببناها، فقال رسول الله ﷺ: لاتسبوها، فنعمت الدابة فإنها أيقظتكم لذكر الله[1]!

وأخرج البيهقي عن أنس قال: لعن رجل برغوثاً عند النبي ﷺ، فقال: لاتلعنه فإنه أيقظ نبياً من الأنبياء للصلاة.

وروى المستغفري في الدعوات عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: إذا آذاك البرغوث فخذ قدحاً من ماء واقرأ عليه سبع مرات: ﴿وما لنا أن لانتوكل على الله وقد هدانا سبلنا﴾ [سورة إبراهيم، الآية ١٢]، فإن كنتم مؤمنين فكفوا شركم عنا، ثم ترشه حول فراشك فإنك تبيت آمناً من شرها[2].

وروى الديلمي في مسند الفردوس[3]: ثنا أبو سعيد ثابت بن أحمد ابن عقيل الصيرفي (ثنا) أبو الحسن محمد بن القاسم الفارسي (ثنا) عبد الرحمن بن محمد الأنصاري (ثنا) بشر بن أحمد ثنا داوود بن الحسين (ثنا) عبد الله بن عبد الوهاب الخوارزمي (ثنا) عاصم بن عبد الله (ثنا) إسماعيل بن حكيم عن أبي مريم عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: يا أبا الدرداء، إذا آذاك البراغيث فخذ قدحاً من ماء واقرأ عليه سبع مرات: ﴿وما لنا ألا نتوكل على

(1) يعلق الشيخ الألباني على حديث علي رضي الله عنه بأن في سنده متهماً بالوضع وهو سعد بن طريف الذي كان يضع الأحاديث علاوة على أن هذا الحديث يختلف تماماً عن متن حديث أنس فإنه يتحدث عن قصة وقعت للصحابة وليس لنبي من الأنبياء...

(2) الحديث عن أبي ذر وكذا الحديث الآتي بعده عن أبي الدرداء، يقول عنه الشيخ الألباني: إن إسناده مظلم لأن فيه عبد الله بن عبد الوهاب الخوارزمي الذي يقول عنه أبو نعيم: إن في حديثه نكارة... ثم يحيل الشيخ مرة أخرى على المجلد الثالث عشر سالف الذكر.

(3) مسند الفردوس أو مختصر فردوس الأخيار لأبي نصر الديلمي... اختصره الشيخ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، وسماه تسديد القوس (في) مختصر مسند فردوس– كشف الظنون ج 2، طبعة مكتبة المثنى، بغداد: ص 1583– 1684.

الله﴾ الآية، فإن كنتم آمنتم بالله فكفوا شركم وأذاكم عنا، ثم ترش حول فراشك فإنك تبيت تلك الليلة آمناً من شرهم.

وروى ابن أبي الدنيا في «التوكل» أن عامل إفريقية(1)، كتب إلى عمر ابن عبد العزيز يشكو إليه الهوام والعقارب، فكتب إليه: وما على أحدكم إذا أمسى وأصبح أن يقول: ﴿وما لنا ألا نتوكل على الله﴾ الآية، قال زرعة بن عبد الله أحد رواته: وينفع من البراغيث.

مسألة:

روى الحافظ أبو بكر الخطيب في رواية مالك عن سليمان بن مهير الكلابي، قال: حضرت مالك بن أنس، وسأله رجل عن البراغيث: أملك الموت يقبض أرواحها؟ فأطرق طويلاً، ثم قال: ألها نفس؟ قال: نعم، قال: فإن ملك الموت يقبض أرواحها، ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ [سورة الزمر، الآية ٤٢].

وأيده بعضهم بما أخرجه الطبراني في معجمه الكبير وابن منده وأبو نعيم كلاهما في (معرفة الصحابة) من طريق جعفر بن محمد عن أبيه **عن الحارث ابن الخزرج عن أبيه**(2)، أن رسول الله ﷺ نظر إلى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار فقال: طب نفساً وقرَّ عيناً... الحديث وفيه: والله لو أردت قبض

(1) القصد إلى إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر الذي قدم القيروان سنة مئة وقد كان خير أمير وخير وال كما يذكر ذلك المؤرخون... وذكر أبو العرب في تاريخ إفريقية أن عمر بن عبد العزيز أرسل عشرة من التابعين يفقهون أهل المغرب في الدين. هذا وقد علق الألباني على الأثر الذي عزي لابن أبي الدنيا وفيه قول زرعة: وينفع من البراغيث، بأن زرعة مع كونه ليس صحابياً ولا تابعياً فهو مجهول ضعيف الحديث.

(2) يعلق الشيخ الألباني على حديث الحارث بن الخزرج عن أبيه بأنه موضوع، آفة سنده عمرو الذي كان يروي الموضوعات ولذا قال الحافظ: متروك الحديث.

روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو يأذن بقبضها!

وقال الجزولي المالكي في شرح الرسالة(1): مما يجب اعتقاده أن ملك الموت يقبض الأرواح من الجن والإنس والبهائم وجميع المخلوقات خلافاً للمبتدعة الذين يقولون: لايقبض إلا أرواح الثقلين: الإنس والجن.

وأورد القرطبي في التذكرة حديث جعفر بن محمد السابق ثم قال: وفي هذا الخبر مايدل على أن ملك الموت هو الموكل بقبض كل ذي روح.

وأورد ماأخرجه أبو نعيم في الحلية عن ثابت البناني(2)، قال: الليل والنهار أربع وعشرون ساعة، ليس منها ساعة تأتي على ذي روح إلا ملك الموت قائم عليها فإن أمر بقبضها قبضها وإلا ذهب، ثم قال: وهذا عام في كل ذي روح.

ثم نقل عن ابن عطية(3)، أنه قال: روي في الحديث أن البهائم كلها يتوفى الله أرواحها دون ملك الموت لأنه يعدم حياتها، قال: وكذلك الأمر

---

(1) القصد إلى أبي زيد عبد الرحمن الجزولي المتوفى (741= 1340) والذي كان من تلامذة أبي الحسن الصغير وأستاذاً للشيخ يوسف بن عمر الأنفاسي، وله شروح على رسالة الشيخ أبي زيد القيرواني: الأول في سبعة أجزاء، والثاني في ثلاثة، والثالث في جزئين. هذا- د. التازي: المغراوي وفكره التربوي، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج 1407=1986، ص28.

(2) يعلق الألباني على أثر ثابت البناني الذي عزاه لأبي نعيم في الحلية بأن ثابتاً ولو أنه تابعي ثقة فهو أثر مقطوع موقوف عليه... إلى آخرها. أورد الشيخ عن محمد بن الحسن بن علي ابن بحر الذي يوجد ضمن سند الأثر المذكور...

(3) القصد بابن عطية إلى القاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي المتوفى سنة 546هـ وهو مؤلف التفسير المعروف به المسمى المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز الذي طبعته أخيراً وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بتحقيق من المجلس العلمي بفاس ابتداء من عام 1395=1975.

في بني آدم إلا أنه شرف بتصرف ملك الموت وملائكة معه في قبض أرواحهم، انتهى.

والحديث الذي أشار إليه أخرجه أبو الشيخ في (كتاب العظمة)[1]، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن أيوب البغدادي (ثنا) أبو زيد القراطيسي (ثنا) الوليد بن موسى القرشي (ثنا) الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن الحسن عن أنس[2]، قال: قال رسول الله ﷺ: آجال البهائم وخشاش الأرض والقمل والبراغيث والجراد والخيل والبغال والدواب كلها والبقر وغير ذلك[3]، آجالها في التسبيح، فإذا انقضى تسبيحها قبض الله أرواحها وليس إلى ملك الموت منها شيء.

وقال العقيلي في (الضعفاء) ثنا يوسف بن يزيد (ثنا) الوليد بن موسى الدمشقي فذكره بسنده ومتنه سواء، ثم قال: لاأصل له من حديث الأوزاعي

---

(1) أبو الشيخ الأصبهاني عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان الحافظ أبو محمد الوزان المعروف بأبي الشيخ ابن حبان توفي سنة 369هـ. من تصانيفه طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها كما هو على غلاف مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق وكما طبع منها أخيراً في بيروت على ماأفاده الشيخ الألباني، وكذا كتاب العظمة وغير ذلك. إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين، إستانبول 1951. جزء 1، ص 447.

(2) يعلق الشيخ الألباني على حديث أنس: آجال البهائم بأنه حديث موضوع ويحيل مرة أخرى على تأليفه سالف الذكر حول الأحاديث الضعيفة. وقد نص الحافظ السيوطي نفسه على هذا في متن النص...

(3) تطرح في هذه الأيام مسألة ذكاة بعض الحيوانات عن طريق سلقها في الماء الحار... مثل الجنان (Langouste) والحلزون... إلى آخره وهل إن في ذلك تعذيباً للحيوان... ومعلوم أن كتب الفقه نصت على أن الحيوان الحلال الأكل لا مناقشة في طريق ذكاته ذبحاً أو نحراً أو إخراجاً من الماء أو سلقاً في الماء الحار...

ولا غيره، وقد أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات، وقال: موضوع، والمتهم به الوليد: أحاديثه بواطل يروي عن الأوزاعي ماليس من حديثه.

وقال الذهبي في (الميزان): الوليد بن موسى قال فيه الدارقطني منكر الحديث، وقواه أبو حاتم وقال غيره: متروك ووهاه العقيلي وابن حبان وله حديث موضوع انتهى. هذا الحديث مما أورده صاحب الفردوس، وعز تخريجه على ولده فبيض له في مسنده ولم يذكر له إسناداً وهو في كتابين شهيرين[1]، كما ترى [2].

الخاتمة:

من الأمثال المشتهرة العربية: أكلوني البراغيث، وهي لغة طيّئ، وفي التبيان لابن العماد: كان أبو هريرة يفلي ثوبه فيبدأ بالبراغيث ثم يعود إلى القمل، فقيل له في ذلك، فقال: أبدأ بالفرسان ثم أكر على الرجالة! وفي بعض المجاميع قال بعضهم: عمر الذباب أربعون يوماً، والبعوض ثلاثة أيام، والبرغوث خمسة أيام[3]...

---

(1) يعني كتاب الضعفاء للعقيلي وكتاب (العظمة)...

(2) لعل من تمام الفائدة بعد انتهاء الكلام عما يتصل بالأحاديث أن نذكر أن الشيخ الألباني، ذكر أنه كان على الحافظ السيوطي أن يحاول دعم ما قد يكون في تلك الأحاديث أو بعضها من معنى صحيح قد يوجد في النصوص الأخرى الثابتة ما يشهد له فيكتفي بها عن الاحتجاج بمثل تلك الأحاديث الواهية. هذا وعملاً بالحكمة السائرة «استتمام المعروف خير من ابتدائه» تطوع الشيخ الألباني بذكر بعض الأحاديث التي تنهى عن سب الدهر وسب الريح ولعن الديك ونحوه مما لايستحق اللعن...

(3) لم تتعرض الكتب العلمية الحديثة التي نتوفر عليها للأمد الذي يمكن أن تعيشه هذه الهوام.
Encylcopae Dia Universalis, Vol 2, P: 113, Vol 12, P: 818, Vol 16, P: 443- J. C. Beacournu: Bulletin de l'Institut Scientifique- Rabat 1978, N 2, P: 85- 86.

وقال علاء الدين الوداعي[1]: (متقارب)

براغيثنا فيهم جرأةٌ فبالأسر والقتل لايرجعون
كثيرو الإساءة مع أنهم قليلاً من الليل مايهجعون!

وقال أيضاً مضمناً: (طويل)

براغيث تسري في الظلام كأنها حرامية من مص مايسفك الدم،
قوارص تأتيني فيحتقرونها وقد يملأ القطر الإناء فيفعم!

وقال أيضاً: (طويل)

براغيث فيها كثرة فكأنها علينا من الآكام يحتفرونها
يقولون لي: صفها! فقلت: أعندكم قوارص تأتيني فتحتقرونها؟!

وقال الصاحب جمال الدين بن مطروح[2]: (خفيف)

رب برغوث ليلة بت منه وفؤادي في قبضة التسعينا!
أمكنت قبضة الثلاثين منه! فسقته الحمام في سبعينا(3)!!

(1) هو علي بن المظفر بن إبراهيم الكندي الوداعي، ويقال له ابن عرفة، كان عارفاً بالحديث والقراءات له (التذكرة الكندية) أدركه أجله بدمشق عام 716= 1316.

(2) القصد إلى جمال الدين بن مطروح أبي الحسن يحيى بن عيسى... من أهل صعيد مصر... وتنقلت به الأحوال... واتصل بخدمة السلطان الملك الصالح أبي الفتح أيوب... وهو صاحب القصيدة في الفرنسيين عندما سمع بتأهبهم مرة ثانية لحرب مصر! ترجمه ابن خلكان الذي كان من أصدقائه ومن مراسليه، وهو الذي قال عنه: إن أدواته جميلة... وقد ذكر من طرفه ماأوردنا بعضه في دراستنا لحديث الرحالة المغاربة عن القدس والخليل.

(3) من الطريف أن نقف في شعر ابن مطروح الذي أورده السيوطي هنا، على إشارة جد هامة لما عرفه العرب في حسابهم القديم مما عرف باسم حساب العقد أو العقود وهو أن =

وقال ابن عساكر في تاريخه: أنشدنا أبو عبد الله محمد بن الحسن بن منصور الموصلي الشاعر الضرير لنفسه في البراغيث: (بسيط)

مـاللبـراغيـث أشبـاه تقـاس بـهـا إلا أفـاعٍ بقـيـعـان الـفـلا رقش
ورب ليـل طـويـل بـت سـاهـره حتى الـصـبـاح وليلي طاير دَغِش
وللبراغيث جيش قـد ضنيت بـه على قتالي في الظلماء منكمش
كأن ظهر فراشي حين يفرش لي منهن بالحسك المبثوث منفرش!
فلو رأيت انفرادي في الظلام وما فيهن إلا ظلوم واثب هرش!
حسبتني ملكاً للروم أوقعه صرف الزمان بأرض أهلها حبش(1)!
فأنكروا منه لوناً غير لونهم فكلما ملثوا من لحمهم نهشوا!!
أنظر إلى مقلتي من طول ماسهرت منهن كيف اعترى أجفانها العمش!!

= يؤدي المرء الأرقام التي يريدها عن طريق اتخاذ أوضاع خاصة لعقود أصابعه: (La dac-tylonomie)، مثلاً إذا أراد أن يقول 30 جمع طرفي الإبهام والسبابة، وإذا أراد التعبير عن 70 وضع طرف إبهامه على العقد الوسط من سبابته، وإذا أراد التعبير عن 90 وضع طرف سبابته على قاعدة إبهامه. وأنت إذا عرفت أن الشاعر يتحدث عن طريقته للانتقام من البرغوث، وتصورت مع هذا وضع الأصابع وإحكامها القبضة على هذا البرغوث، تصورت إذن معنى مايقصده من ضيق صدره الذي أمسى لا يتجاوز قبضة التسعين وما يقصده من عرك البرغوث في قبضة الثلاثين ثم القضاء عليه في قبضة السبعين. – د. التازي: الرموز السرية.
CH. Pellat: Hisab al Akd,Ency . de l'islam, nouvelle édition T. III, P: 482, 1965.

(1) يمكن أن نتصور التشبيه في هذا الشعر إذا ماجعلنا نصب أعيننا منظراً لوجود لأصحاب القبعة الزرق حالياً- غشت 1993- في الصومال... هذا وقد وجدنا على هامش الورقة رقم 5 طرة تتضمن شعراً ناقصاً من البحر الخفيف لاصلة له بالبرغوث وهي تقول:

يـاالجسم من لطفه أودع الجمـ ـر خفـا يا الحشا وطيب الهواء
فـغـدا حسه مراتع أنهـ ـر الـهـوى...

وقال صاحب الشهاب المنصوري: (منسرح)

أذى البـراغيـث لـم يـدع أحـدا يـرقـد لـيلا إذا الـبَـرَى غِـيـثـا[1]!
فيـأكلون إلى الصبـاح كـمـا تـأكـل حكـامنـا المواريـثـا!!

وقال أيضاً: (طويل)

وليـل طويـل بات همي مجمعا به، ومنامي في دجاه تشـتـتـا
إذا شرب الناموس خمر دمي شدا وإن دخل البرغوث أذني زغرتا!!

وقال أيضاً: (متقارب)

ولـيـل تـغـوص براغـيـثـه بـلحـمي، وناموسـه أعـرص
إذا شـربـوا مـن حـمـيـا دمي تـرى ذا يـغـنـي، وذا يـرقـص!!

وقال أيضاً ابن صارة[2]: (مخلع البسيط)

لـيل الـبـراغـيـث والـبـعـوض لـيـل «طـويـل» بـلا غـمـوض
فـذا يـنـزي بـلا سـرور وذا يـغـنـي بـلا عـروض!!

(1) ينبغي أن نعود إلى التعليق الذي ينص على أن سلطان البرغوث يكثر مع نزول الغيث. ولا أدري ماذا يقصد بصاحب الشهاب المنصوري، وهل أنه معيار الديلمي صاحب شهاب الدولة منصور (ت 450= 1058).

(2) أبو محمد عبد الله بن صارة الشنتريني، وربما كتب بالسين سارة، سكن إشبيلية وتعيش بالوراقة وتجول في بلاد الأندلس. المقري: نفح الطيب، تحقيق إحسان عباس، ج 1، ص 499، بيروت 1388= 1968– د. حسن الوراكلي: ابن صارة الشنتريني، تطوان 1406= 1986.

وفي تاريخ ابن عساكر أنشد أبو العيناء[1]، لآدم بن عبد العزيز في البراغيث ببغداد: (طويل)

تطاول في بغداد ليلي ومن يبت ببغداد يلبث ليله غير راقد
بلاد إذا زال النهار تناقزت براغيثه من بين مثنى وواحد

وقال آخر : (خفيف)

للبراغيث صار جسمي مقيلا ففؤادي من شرهم في عذاب
طفح السكر والشراب عليهم فتقايوا دمي على أثوابي!!

وقال آخر: (طويل)

بعوض وبرغوث وبق[2] لزمنني حسبن دمي خمرا فلف بها الخمر!!
فيرقص برغوث لزمر بعوضة وبقهم سكت ليستمع الزمر!!

(1) أبو العيناء محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر الهاشمي أديب فصيح من ظرفاء العالم، اشتهر بنوادره وطرائفه... أصله من اليمامة ومولده بالأهواز... ومنشؤه ووفاته بالبصرة، كف بصره بعد الأربعين من عمره... أدركه أجله عام 283= 896. هذا وقد روى الشعر عند الجاحظ هكذا:

بلاد إذا جن الظلام تقافزت براغيثها من بين مثنى وواحد

– ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 4، ص 33.

(2) ينبغي لكي نقدر فظاعة مثل هذه الهوام أن الفقهاء يذكرون أن البق عيب من عيوب الدور يخول الإقالة في البيع، قال راجزهم:

والبق عيب من عيوب الدور ويوجب الرد على المشهور

هذا ولم يفت الفقهاء أن يخصصوا حيزاً كبيراً للدم الذي تخلفه البراغيث على ثياب الإنسان وعلى جسمه، وهكذا وجدنا الدميري يذكر أنه يعفى عن قليل الدم في الثوب والبدن لعموم البلوى به وتعذر الاحتراز منه... والحكم على هذا النحو فيما يتصل بالبق والبعوض وما=

وقال آخر: (كامل)

رقصت براغيث الشتا فأجابها (م) الناموس يشدو بالغناء المعلم
وتواجد البق الكثيف لطبعه طربا على شرب المدامة من دمي!

وقال آخر: (بسيط)

ليل البراغيث ليل لانفاد له لا بارك الله في ليل البراغيث!
كأنهن بجسمي مذ حللن به بدءا الشهود على مال المواريث[1]!!

وقال بعض الأعراب[2]، يصف البراغيث وقد سكن مصر: (طويل)

تطاول بالفسطاط[3] ليلي ولم أكن بأرض الغضا ليلي علي يطول

= أشبهه... ولشيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام موقف أشبه بهذا الذي ذكرناه، وقد أفادنا الشيخ الألباني في (تقييده) أن هناك في أقوال السلف مايدعم هذا القول، قال: ويحضرني في ذلك ماأخرجه البخاري في صحيحه عن طريق عبد الرحمن بن أبي نُعم قال: كنت شاهداً لابن عمر، وسأله رجل عن دم البعوض، فقال: فمن أنت؟ قال: من أهل العراق، قال: انظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوض. وقد قتلوا ابن النبي ﷺ... وسالم بن عبد الله بن عمر هو الذي قال: ياأهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة!!

(1) يروي الجاحظ هذين البيتين على هذا النحو:

ليل البراغيث عنّاني وانصبني لا بارك الله في ليل البراغيث
كأنهن وجلدي إذ خلون به أيتام سوء أغاروا في مواريث!

–الزركلي: الأعلام ج 9، ص 203.

(2) نسب الجاحظ البيتين لأبي الرماح الأسدي: انظر كتاب الحيوان بتحقيق عبد السلام محمد هارون، ص 389.

(3) كانت الفسطاط من أجل المدائن، أنشأها عمرو بن العاص بعد فتح مصر سنة 22 من الهجرة وهي أقدم من القاهرة، كان بها عدة مساجد محكمة البناء وعدة حوانيت وحمامات ومعاصر ومساكن جليلة... وحدث أنه في عام 564هـ. جاءت الأخبار بأن الفرنج جاءت إلى ثغر =

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة   وليس لبرغوث علي سبيل[1]!!

وقال أبو منصور عبد الله بن سعيد بن مهدي الخواقي الكاتب[2]، في البرغوث: (وافر)

وأحدب ضامر يسري بليل   إلى النوام مفتتن الجفون

تسلمه الثلاثون اختمارا   إلى سبعين في أسر المنون[3]!!

= دمياط في سبعين مركباً... ثم كسروا عساكر الفسطاط ودخلوا القاهرة من خلف السور... وصاروا يقتلون من وجدوه من المسلمين وفرضوا على أهل مصر والقاهرة أموالاً جزيلة فعندئذ أشار الوزير (شاور) على الخليفة بإحراق الفسطاط خوفاً من أن يستولي عليها الفرنج فأذن لهم في حرقها حيث استمرت النار طوال شهرين فكان يرى دخانها من مسيرة ثلاثة أيام... وتحول الناس إلى القاهرة... ابن إياس: بدائع الزهور، طبعة الهيئة العامة للكتاب 1402=1982، ص 232.

(1) نسبت هذه الأبيات في كتاب الحيوان للجاحظ إلى أبي الرماح الأسدي، وقد روي البيت الأول هكذا:

تطاول بالفسطاط ليلي ولم يكن   بحنو الغضى ليل علي يطول

هذا وقد ذكرت بهذين البيتين أيامي في السجن في أعقاب المطالبة باسترجاع الاستقلال عام 1944، عندما كنا نصلى بجحيم هذه الطفيليات وقد كان مما أنشدته:

على كل خيط من قميصي قملة   تروح على رغمي بجسمي تنحت

فأحصدها في منجل الظفر بكرة   وعند المَسَالِمْ أذْرِها كيف تنبت؟!

(2) كان أبو منصور هذا فرضياً حاسباً وهو منسوب إلى خواف من نواحي نيسابور، سكن بغداد وبها أدركه أجله عام 480= 1087من كتبه خلق الإنسان، رتبه على حروف المعجم.

– ابن خلكان: الوفيات ج 1، ص 96 /97.

– الزركلي: الأعلام ج 4، ص 223/222.

(3) راجع التعليق السابق [ص ٢٤٩]حول حساب العقد الذي كان مستعملاً عند العرب لأداء الأرقام...

وقال ابن دريد في أماليه(1): أنشدنا الرياشي، قال: بلغني أن ابن أبي الزوائد، قال وهو ببغداد: (خفيف)

يابن يحيى(2) ماذا بدا لك؟ ماذا؟ أمقاماً أرادت أم انجباذا؟
فالبراغيث قد تنور منا سامر ماتلوذ منه ملاذا!
فنحك الجلود طورا فتدمى ونحك الصدور والأفخاذا!
فسقى الله طيبة الوبل سحا وسقى الكرخ والهراة الرذاذا

وقال مجد الدين المبارك بن كامل بن منقذ(3)، في البراغيث: (بسيط)

(1) هو محمد بن الحسن بن دريد الأزدي من أئمة اللغة العربية والأدب، صاحب المقصورة الدريدية، ولد في البصرة، وانتقل إلى عمان، فأقام بعض الوقت ثم رحل إلى نواحي فارس، ثم رجع إلى بغداد واتصل بالمقتدر العباسي، وهناك أدركه أجله عام 391=933 ، من كتبه الجمهرة، وتقويم اللسان والأمالي، ذكر أنه كان مواظباً على شرب الخمر، قال ابن شاهين: كنا ندخل عليه فنستحي لما نرى عنده من العيدان والشراب المصفى، أما الرياشي فهو العباس بن الفرج ابن علي بن عبد الله الرياشي البصري، لغوي، راوية عارف بأيام العرب، وقد أدركه أجله بالبصرة أيام فتنة صاحب الزنج عام 257= 871، له كتاب «الإبل والخيل» وغير ذلك مما روى عنه المبرد...

(2) القصد إلى جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي (ت 187= 803) وزير هارون الرشيد، انقادت له الدولة، فكان يحكم بما يشاء فلا ترد أحكامه إلى أن نقم الرشيد على البرامكة فكان في مقدمة الذين صفاهم... والبرامكة يرجعون في أنسابهم إلى الفرس .

(3) أورد الدميري هذين البيتين كلغز، وهما منسوبان لمجد الدين أبي الميمون الكناني، ولا شك أن القصد إلى سيف الدولة ابن منقذ، المسمى المبارك بن كامل بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني، كان معاصراً للأمير مرهف سفير صلاح الدين إلى المغرب وهو من أمراء الدولة الصلاحية بمصر، ولد بقلعة شيزر، وذهب مع توران شاه إلى اليمن وناب عنه في زبيد عام 569... ثم رحل إلى دمشق ثم إلى مصر... للشعراء فيه كثير من المدائح، أدركه أجله بالقاهرة عام 589= 1193.

=

ومعشر يستحل الناس قتلهم ... كما استحلوا دم الحجاج في الحرم!
إذا سفكن دما منهم فما سفكت ... يداي من دمه المسفوك غير دمي!!

وقال بعضهم : (سريع)

لاتَسُبِّ البرغوث إن اسمه ... بِرٌّ وغَوْثٌ لك لو تدري:
فبرُّه مص دم فاسد(1) ... وغوثه الإيقاظ في الفجر!

= هذا وقد أورد الجاحظ مجموعة مهمة من الشعر الذي قيل في البرغوث مما يدل على أن هذا الحيوان– على صغر حجمه– ظل مشغلة للناس مقلقاً لراحتهم في أعز الأوقات التي ينشدون فيها راحتهم.

وهكذا روي لمحبوب بن أبي العشنط قطعة كان منها قوله:

الليل نصفان: نصف للهموم فما ... أقضي الرقاد، ونصف للبراغيث

ونقل عن آخر قوله:

لقد علم البرغوث حين يعضني ... ببغداد أني بالبلاد غريب!

وعن آخر قوله:

وإن امرأ تؤذي البراغيث جلده ... ويخرجنه من بيته لذليل !! إلخ

وبدوره أورد الدميري في كتابه حياة الحيوان الكبرى طائفة من الأشعار كان فيها مالم يأخذه السيوطي، وقد كان من لطائف ذلك ماقاله أبو الحسن بن سكرة الهاشمي المتوفى سنة 385، في مليح يعرف بابن برغوث:

بليت ولا أقول بمن؟ لأني ... متى ما قلت مَن هو يعشقوه!
حبيب قد نفى عني رقادي ... فإن أغمضت أيقظني أبوه !!

(1) يتحدث العلم الحديث عن الحذر ما أمكن من لسعة البرغوث التي قد تكون سبباً في نقل أمراض خطيرة إلى الإنسان، أبرزها الطاعون والتيفوس والحمى.

وقال عز الدين أحمد بن موسى بن قرصة الفيومي[1]: (بسيط)

لا تحقرنَّ من الأعداء من قصرت ... يداه عنك وإن كان ابن يومين!
فإن في قرصة البرغوث معتبرا ... فيها أذى الجسم والتسهير للعين!

وقال السديد محمد بن فضل الله بن كاتب المرج[2]: (طويل)

لمن أشتكي البرغوثَ، ياقوم؟ إنه ... أراق دمي ظلما وأرق أجفاني!
وما زال بي كالليث في وثباته ... إلى أن رماني كالقتيل وعراني!!
إذا هدأت في صبرت تجلدا ... ويخرج عقلي حين يدخل آذاني!!

وقال الصلاح الصفدي[3]، في (أعيان العصر): ذكر أصحاب الخواص أن البرغوث إذا دخل في أذن أحد وضع الإنسان أصبعه في سرته، وقال: سبقتك فإن البرغوث يخرج منها!

وقال أبو عامر بن شهيد[4]، يصف برغوثاً: «أسود زنجي وأهلي

(1) أحمد بن موسى بن محمد عز الدين المعروف بابن قرصة: أديب مصري كثير النظم، كان لايتكلم إلا معرباً، مولده الفيوم، كان ناظراً للديوان بقوص وبها أدركه أجله عام 710= 1311، له ديوان شعر وكتاب من الأدب اسمه «كتف المذاكرة وتحف المحاضرة».

(2) [هو محمد بن فضل الله بن أبي نصر القبطي، سديد الدين المعروف بابن كاتب المرج الصعيدي، تعانى الآداب والكتابة، ونظم الشعر، وولي وكالة بيت المال بقوص. مات سنة بضع وأربعين وسبع مئة. اظر ترجمته في الدرر الكامنة ٥/ ٣٩٥ – ٣٩٧./ المجلة].

(3) الصلاح الصفدي هو خليل بن أيبك بن عبد الله أديب مؤرخ كثير التصانيف الممتعة على نحو السيوطي، ولد في صفد بفلسطين وتعلم بدمشق... وتولى ديوان الإنشاء في صفد وحلب ومصر وأدركه أجله بدمشق وهو يتولى وكالة بيت المال عام 764= 1363 له زهاء مئتي مصنف، منها الوافي بالوفيات...

(4) أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن شهيد من أشجع فهو أبو عامر الأشجعي وزير أكابر الأندلسيين أدباً وعلماً مولده ووفاته بقرطبة عام 426=1035، له تصانيف بديعة... منها حانوت عطار، والتوابع والزوابع، الأخيرة في كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة تأليف ابن بسام =

وحشي: ليس بوان ولا زميل، وكأنه جزء لايتجزأ من ليل، أو شونيزة أو بنتها عزيزة، أو نقطة مداد، أو سويداء قلب فؤاد، شربه عب، ومشيه وثب، يكمن نهاره، ويسري ليله، يدارك بطعن مؤلم، ويستحلّ دم كل كافر ومسلم، مساور للأساورة، يجر ذيله على الجبابرة، يتكفر بأرفع الثياب، ويهتك ستر كل حجاب، ولا يحفل[1] ببواب، يرد مناهل العيش العذبة! لايمنع منه أمير! ولا ينفع فيه غيرة غيور، وهو أحقر كل حقير، شره مبثوث، وعهده منكوث، وكذلك كل برغوث! كفى بهذا نقصاً للإنسان، ودالاً على قدرة الرحمن...! » في مفردات ابن البيطار عن ابن زهر[2]، أن شحم الثعلب إذا طلي به سوط أو عود وجعل في إحدى زوايا البيت فإن البراغيث يجتمعن عليه.

انتهى التأليف وتمّ والله أعلم

= 542. القسم الأول المجلد الأول، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان- ص 295، يتيمة الدهر ج2 ص 53.

(1) لايحفل: لايكترث...

(2) هذا كلام نقله ابن البيطار عن خواص ابن زهر- وليس ابن زهير كما في المخطوط، هذا ويلاحظ أن في عداد مبيدات الحشرات والهوام اليوم نصب نحو شريط ملطخ بمادة لزجة تغري البعوض والذباب وما أشبه بلحسها فتلصق بها...

وقد ورد في الدميري مايقرب من هذا حيث أورد فائدة مجربة صحيحة للقضاء على البراغيث وهي أن تأخذ قصبة فارسية وتلطخها بلبن حمارة وشحم تيس وتغرسها في وسط الدار فإنها تجتمع إلى العود.

- ابن البيطار: الأول من كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، طبعة القاهرة 1291- 1875.

الملك الظاهر بيبرس

في

شعر معاصريه

الدكتور أحمد فوزي الهيب

مقدمة:

هو السلطان الملك الظاهر[١]، ركن الدكن أبو الفتوح بيبرس[٢]، بن عبد الله البندقداري[٣]، الصالحي النجمي الأيوبي[٤]، التركي سلطان الديار المصرية والبلاد الشامية والأقطار الحجازية[٥].

ولد عام ٦٢٠هـ[٦]، وقيل: عام ٦٢٥هـ[٧]، في صحراء القپچاق[٨]، والقپچاق قبيلة تركية عظيمة، طلبت عام ٦٤٠ هـ من ملك أولان التركماني أن يجيرها من التتار الذين هددوها، ولكنه غدر بها، فأغار عليها، وقتل وسبى الكثير منها، وكان بيبرس فيمن أسر، فبيع ونقل إلى بلاد السلطنة الأيوبية حيث اشتراه الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار، ثم انتقلت ملكيته إلى السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بعدما صادر ممتلكات أيدكين عام ٦٤٤هـ [٩]، فجعله من مماليكه البحرية[١٠]، وسرعان ما ظهرت مواهبه[١١]، فترقى واستمر في ذلك إلى أن صار أستاذه أيدكين من جملة أمرائه[١٢].

كان بيبرس طموحاً جداً، وقد وفقه هذا إلى المشاركة في كثير من الأحداث الهامة والحروب التي كانت تقوم كثيراً بين المماليك أنفسهم من

جهة[١٣]، وبينهم وبين أعدائهم من جهة ثانية، حتى صار له شأن عظيم مع الملك الناصر يوسف والملك المغيث الأيوبيين، ومما يدل على ذلك أنه لما دخل إلى القاهرة قبيل موقعة عين جالوت ركب السلطان الملك المظفر قطز للقائه، وأنزله في دار الوزارة، وأقطعه قصبة قليوب[١٤]، وكان آخر هذه الأحداث الهامة التي أسهم فيها إسهاماً كبيراً قبل أن يصل إلى السلطنة هو اشتراكه مع المظفر قطز في معركة عين جالوت في ٢٥ من رمضان عام ٦٥٨ هـ، والتي انتصر فيها المماليك على التتار لأول مرة انتصاراً كاسحاً، وقتلوا قائدهم (كتبغانوين) مع كثيرين منهم، ثم تبعوهم يقتلونهم في كل موضع[١٥]. وأظهر فيها بيبرس شجاعة نادرة[١٦]، كما أرسله قطز في أثرهم يتتبعهم إلى أطراف البلاد[١٧]. وهكذا أعاد قطز الأمن إلى نصابه في جميع بلاد الشام وأقيمت الخطبة له فيها[١٨]، وصار سيد الموقف في بلاد الشام كلها من الفرات إلى مصر[١٩].

وكان السلطان المظفرقطز قد وعد بيبرس بنيابة حلب، ولكنه رفض أن يعطيه إياها ولم يف بوعده له ليضعف مركزه، وأعطاها لصاحب الموصل، فحقد عليه بيبرس[٢٠]، واتفق على قتله مع جماعة من المماليك، وسنحت لهم فرصة تحقيق ذلك قبل وصولهم مع قطز إلى القاهرة في مكان اسمه القُصَير، يقع اليوم في محافظة الشرقية بمصر[٢١].

وبعد مقتل قطز من البدهي أن تصير السلطنة إلى قاتله ركن الدين بيبرس اتباعاً للعرف السائد آنذاك، ولأنه أقوى أمراء المماليك البحرية، وصاحب فكرة القتل، بالإضافة إلى مواقفه المشرفة في محاربة المغول[٢٢]. لذلك صعد إلى قلعة الجبل لتتم مراسيم استلامه للسلطنة رسمياً، وكان ذلك في يوم الأحد ١٧ من ذي القعدة عام ٦٥٨هـ [٢٣].

وعلى الرغم من أن الظاهر بيبرس رابع سلاطين الدولة المملوكية

الأولى[٢٤]، فإنه يعد المؤسس الحقيقي لها، وذلك لما فعله من أعمال عظيمة في مختلف المناحي خلال فترة سلطنته التي بلغت ما يقرب من عشرين عاماً[٢٥]، لأنه توفي يوم الخميس ٢٨ من المحرم عام ٦٧٦ هـ بدمشق [٢٦]، الأمر الذي جعله من أعظم سلاطين المماليك[٢٧].

ولقد فصّل المؤرخون القدامى والمعاصرون من عرب وأجانب الحديث عن أعماله العظيمة المتنوعة الشاملة، وملؤوا في ذلك الصفحات الكثيرة[٢٨]، الأمر الذي يدل على جدارته بالسلطنة، وعلى سبقه لسابقيه وللاحقيه من السلاطين. ويكفي أن نعلم أنه استطاع أن يقضي على أعدائه في الداخل والخارج، أو أن يخمدهم، وأنه أقام علاقات طيبة مع معظم الدول المجاورة، وتميز من جميع حكام المسلمين آنذاك بحمايته للحرمين الشريفين وللخلافة العباسية التي أحياها في القاهرة من جديد بعدما قضى عليها التتار في بغداد عام ٦٥٦ هـ، وأن حدود دولته امتدت من أقصى بلاد النوبة جنوباً إلى الفرات شمالاً، ومن برقة غرباً إلى العراق شرقاً[٢٩].

الشعر الذي قيل في الملك الظاهر بيبرس:

كنت أتمنى لو أن الشعر المتصل بالظاهر بيبرس الذي وصل إلينا قد أنصفه، أو أعطاه حقه من الذكر مثلما فعل التاريخ والمؤرخون، ولكنه لم يفعل. و الذي أرجحه أن الشعر والشعراء قد أعطوه كثيراً من هذا الحق، أو أكثر مما وصل إلينا من الشعر، بيد أن هذا الشعرلم يصل إلينا كاملاً لأسباب عدة، منها:

١ ـ ضياع مخطوطاته لأسباب كثيرة. وما أكثر المخطوطات الضائعة.

٢ ـ مخطوطات كثيرة ذات صلة بما تقدم تنتظرمن ينفض عنها الغبار، ويحققها ويطبعها وينشرها.

٣ ـ كتب كثيرة تتعلق بهذا الموضوع تحتاج إلى تحقيق وطباعة جديدة، بعد أن قدم العهد بها حتى غدت نادرة جداً، لا يستطيع الباحثون أن يصلوا إليها إلا بصعوبات بالغة، فضلاً عن أنها قد طبعت منذ زمن طويل طبعات غير دقيقة أو علمية.

٤ ـ كتب طبعت محققة، ولكن بأعداد قليلة جداً سرعان ما تلاشت واختبأت في بعض المكتبات العامة أو الخاصة في البلاد العربية والأجنبية، الأمر الذي حال بينها وبين الباحثين، وجعل وجودها كعدمها.

٥ ـ ضياع كثير من الشعر بفعل الشعراء أنفسهم أو مؤلفي الكتب، وبخاصة أصحاب الطبقات والمؤرخون وغيرهم الذين أكثروا من حذف قصائد المديح أو أبياته بعامة عند حديثهم عن أصحابها، وهذه ظاهرة تحتاج إلى دراسة مستقلة في غير هذا الموضع.

ولا شك إضافة إلى ذلك في أن لعجمة الملك الظاهر بيبرس، ولضعف مستواه الثقافي والأدبي، ولغرقه حتى أذنيه في الأعمال العسكرية والسياسية والإدارية والاقتصادية وغيرها دوراً في ذلك.

ولكننا ينبغي ألا نبالغ في تضخيم هذا الدور، وذلك لأن الظاهر بيبرس وأكثر سلاطين المماليك قد تعربوا، واتخذوا العربية لساناً رسمياً لهم، فضلاً عن أنهم أبقوها لغة رسمية لدولتهم ودواوينها ومراسلاتها، وقلدوا أسلافهم الأيوبيين في استماعهم للشعراء، واتخاذ شعرهم وسيلة إعلامية، تقف بجانبهم، ليفيدوا مما لديها من إمكانات إيجابية، وبخاصة إنهم يعيشون في بلاد عربية، ويحكمون شعباً عربياً باسم دين، لغته ولغة قرآنه الكريم وحديثه النبوي الشريف العربية، الأمر الذي يجعلهم يختلفون إلى حد كبير عن السلاطين العثمانيين الذين وإن شابهوهم في بعض الجوانب فإنهم يختلفون عنهم في عدم اتخاذهم العربية لغة رسمية لدولتهم، كما لم يتخذوا

إحدى المدن العربية عاصمة لدولتهم، إضافة إلى غير ذلك من الاختلافات. لذلك يجب أن نميز بين موقفيهما من اللغة العربية وآدابها.

وفي هذا البحث لن أقترب مما قاله المؤرخون في رسمهم لصورة الملك الظاهر بيبرس وأعماله إلا بالقدر الذي يضيء الطريق أمام فهم ما قاله الشعراء عنه وعنها. وسأكتفي بما وصل إلينا، أو بما استطعت الوصول إليه من شعر تحدث عنه وعن انتصاراته وأعماله وغير ذلك، وقد بلغ مئة وثمانين بيتاً تقريباً، جمعته من المصادر المشار إليها. ورجوت من وراء ذلك الوصول إلى صورة الملك الظاهر بيبرس في شعر عصره، أو كيف كان الشعراء يرونه؟ وكيف استطاعوا التعبير عن هذه الرؤية؟ ولعل هذا يؤكد أقوال المؤرخين، أو يضفي عليها زيادة ما في هذا الجانب أو ذاك. وكلا الأمرين لا يخلو ـ كما أعتقد ـ من فائدة ما للأدب العربي من جهة، وللتاريخ من جهة ثانية.

الملك الظاهر بيبرس في شعر معاصريه:

من البديهي أن يكون تركيز الشعراء في أشعارهم على الجانب العسكري، وما يتصل به من صفات وأعمال لدى الملك الظاهر بيبرس أكثرَ من تركيزهم على غيره من الجوانب، وذلك لأن هذا الجانب وما يتعلق به كان أكبر وأوضح من غيره من الجوانب في شخصية عظيمة ذات جوانب متعددة ثرية، ويتضح هذا بجلاء إذا رجعنا إلى أي مصدر أو مرجع يتحدث عن ذلك.

ولعل أكثر معارك الظاهر بيبرس العسكرية بعد سلطنته إثارة لشاعرية الشعراء، هي المعركة التي حدثت عام ٦٧١هـ بينه وبين التتار على نهر الفرات الذي خاضه مع جنده بخيولهم وأسلحتهم ودروعهم نحو التتار، وقتلوا وأسروا منهم الكثير، ولم ينج منهم إلا النزر اليسير، الأمر الذي كان له أطيب الأثر في نفوس المسلمين الذين لم تكسر عندهم بعد كسراً تاماً أسطورة التتار الذين لا يغلبون على الرغم من الانتصار في معركة عين

جالوت، لأنها حدثت بعدها بمدة قليلة.

ومن الشعراء الذين وصلت إلينا أشعارهم في هذه المعركة شهاب الدين محمود[٣٠]، الذي قال قصيدة رائية، وصفها ابن تغري بردي بأنها طنانة[٣١]، وليتها وصلت إلينا كاملة.

بدأها الشهاب محمود بقوله مخاطباً الظاهر بيبرس[٣٢]:

سِرْ حيثُ شئتَ لكَ المهيمنُ جارُ ... واحكمْ فَطَوْعُ مرادِكَ الأقدارُ

لَمْ يبقَ للدينِ الذي أظهرتَهُ ... يا ركنَهُ عندَ الأعادي ثارُ

وهذه البداية تظهر الروح الدينية التي كانت سائدة قوية في ذلك العصر، ولا غرو في ذلك، فالشاعر لا تربطه بالممدوح ـ شأنه في ذلك شأن الأمة العربية ـ إلا رابطة الدين الذي كان يحكم باسمه الملوك شعوبهم آنذاك، والذي كانت الحروب تشتعل باسمه حقاً أو باطلاً. كما تبين هذه المقدمة أيضاً صورة بيبرس في عين الشاعر، وهي صورة تتميز بالسطوة والقوة ونفاذ الأحكام، ويبدو هذا عندما جعل الشاعر الأقدار طوع أمر بيبرس تأتمر بأمره، ولا تخالف له أمراً، وهذه المبالغة التي قد يعترض عليها بعضنا كانت شائعة في ذلك العصر على الرغم من تضاؤل حدتها عما كانت عليه من قبل، وبخاصة لدى شعراء الدولة الفاطمية، ولا سيما ابن هانئ. ولا شك في اختلاف خلفيتها عند شعراء الفاطميين الذين كانوا يعبرون بها عن حقيقة اعتقادهم من خلال مذهبهم الإسماعيلي، وبالتالي فهي عندهم أقرب إلى الحقيقة ـ إن لم نقل هي الحقيقة ذاتها في نظرهم ـ منها إلى المبالغة، أقول لا شك في اختلاف خلفيتها لدى الشعراء الفاطميين عن خلفيتها لدى شعراء المماليك الذين أرادوا بها التفخيم والتعبير عن إعجابهم الكبير بما يرون.

وبعد ذلك انتقل الشاعر إلى وصف المعركة، فقال(٣٣):

لَمّا تراقصتِ الرؤوسُ وحُرِّكَتْ   مِنْ مطرباتِ قِسيِّكَ الأوتارُ
خضْتَ الفراتَ بسابحٍ أقصى مُنَى   هُوجِ الصَّبَا مِنْ نعلِهِ آثارُ
حملَتْكَ أمواجُ الفراتِ ومَنْ رأى   بحراً سواكَ تُقِلُّهُ الأنهارُ
وتقطَّعَتْ فرقاً ولمْ يكُ طَوْدَهَا   إذْ ذاكَ إلاّ جيشُكَ الجرارُ
رشَّتْ دماؤهمُ الصعيدَ فلمْ يطِرْ   منهمْ على الجيشِ السعيدِ غبارُ

رسم الشاعر الشهاب محمود صورة للظاهر بيبرس تتميز بالشجاعة والفروسية، فعندما اشتد أوار المعركة اندفع في نهر الفرات الغزير العميق بحصانه الأصيل السريع الذي لا تستطيع الريح الشرقية الهائجة أن تشق له غبارا. ولم ينس الشاعر هنا صفة الكرم التي نجدها في تشبيهه بالبحر، وهي صفة تميز بها بيبرس، أتى بها الشاعر مغتنماً ذكر النهر وخوضَ بيبرس فيه، وصاغها بصيغة الاستفهام الإنكاري الذي زادها قوة وتأكيداً وجمالاً (ومن رأى بحراً سواك تقله الأنهار). وانتقل بعد ذلك إلى الحديث عن جيش الظاهر الذي قطع أمواج الفرات فرقاً، وشبهه بالطود، ووصفه بأنه جرار. ولكل ما تقدم إيحاؤه الجمالي والبلاغي. ثم تحدث عن دماء قتلى التتار وجراحهم الكثيرة التي بللت أرض المعركة فحالت دون تطاير الغبار.

وبعد ذلك انتقل الشهاب محمود إلى الحديث عن نتائج هذه المعركة، فقال(٣٤):

شكرتْ مساعيَكَ المعاقلُ والورى   والتربُ والآسادُ والأطيارُ
هذي منعْتَ وهؤلاءِ حَمَيْتَهم   وسقيْتَ تلكَ وعمَّ ذا الأيسارُ

إنه جعل القلاع والناس والأرض والوحوش تشترك معاً في شكر الظاهر بيبرس، لأن فضله عمها جميعاً، وقد وضح كيفية ذلك في قوله:

هذي منعت وهؤلاء حَمَيْتَهم وسقيت تلك وعم ذا الأيسارُ

ثم ختم أبياته التي وصلت إلينا بقوله(٣٥):

فلأملأنَّ الدهر فيكَ مدائحا تبقى - بقيتَ - وتذهبُ الأعصارُ

إنه أخذ عهداً على نفسه أن يمدح الظاهر بيبرس مدائح كثيرة خالدة على مدى الأيام والعصور، ولم ينس أن يدعو له بالبقاء في أثناء ذلك، وتميز هذا الدعاء بالرشاقة والإيجاز والجمال.

وفي هذه الوقعة أيضاً قال الحكيم الموفق عبد الله بن عمر الأنصاري(٣٦):

الملكُ الظاهرُ سلطانُنَا نفديه بالأموالِ والأهلِ
اقتحمَ الماءَ ليطفي به حرارةَ القلبِ منَ المغلِ

لقد عبر عن حب الناس الكبير للظاهر بيبرس، الأمر الذي جعلهم يفدونه بأموالهم وأهليهم، كما يبدو في قوله (سلطاننا) فخر الشاعر به وبما حققه، ثم وصف اقتحامه البطولي لمياه الفرات الغزيرة وراء التتار، وعلل ذلك تعليلاً له دلالته النفسية التي تعبر عما تغتلي به القلوب من كره وحقد تجاه المغول، لما فعلوه معهم من وحشية تسمو عليها الوحوش الكاسرة.

ووصف هذا الانتصار أيضاً محيي الدين بن عبد الظاهر قائلاً(٣٧):

تجمعَ جيشُ الشركِ منْ كل فرقةٍ وظنوا بأنَّا لا نُطيقُ لهم غَلْبَا
وجاؤوا إلى شاطي الفراتِ وما دَرَوا بأنَّ جيادَ الخيلِ تقطعُهَا وَثْبَا
وجاءت جنودُ اللهِ في العُدَدِ التي تميسُ لها الأبطالُ يومَ الوغى عُجْبَا
فَعُمْنَا بسدٍ من حديدٍ سباحةً إليهمْ فما اسطاعَ العدوُّ له نَقْبَا

وتبدو الروح الدينية واضحة في وصفه لجيش المغول بأنه جيش

الشرك، وفي نعته لجند الظاهر بيبرس بأنهم جند الله، كما تبدو أيضاً في ذلك الاقتباس بالبيت الأخير (فما اسطاع العدو له نقبا)(٣٨). وتحدث كذلك عن ظن المغول الخاطئ بأن نهر الفرات سيحميهم، ولم يدروا أن خيل المسلمين لا يعجزها ذلك، كما تحدث عن عدة الجيش بعامة لأنها جزء هام من قوته. واللافت للنظر حديث الشاعر في البيت الأخير بأسلوب جمع المتكلمين (فعمنا)، مع أن المصادر لم تشر إلى اشتراكه في هذه المعركة، الأمر الدال على أنه كان يرى أن الظاهر بيبرس وجيشه يقاتلون باسمه واسم الأمة كلها، وأن هذه المعركة معركته، والانتصار انتصاره.

ولأنتقل بعد ذلك إلى شعراء من نوع آخر، وهم شعراء شهدوا هذه المعركة، ومنهم الشيخ ناصر الدين حسن بن النقيب الكناني(٣٩)، الذي قال فيها (٤٠):

ولمّا ترامينا الفراتَ بخيلِنا سَكَرْنَاهُ منّا بالقُوى والقوائمِ
فأوقفتِ التيارَ عنْ جريانِهِ إلى حيثُ عُدْنا بالغِنَى والغنائمِ

وصف الشاعر هنا خيل المسلمين قد حبست مياه الفرات عن الجريان بقوتها وبقوائمها الكثيرة التي تحولت إلى سد منيع لا تستطيع المياه منه نفاذاً، لذلك سكنت وتوقفت إلى أن عاد الجيش بالغنائم الوفيرة منتصراً، وعلى الرغم من أنه من البدهي أن يتحدث الشاعر بأسلوب المتكلمين لأنه كان مشتركاً في المعركة، فإن لهذا أيضاً دلالته التي أشرنا إليها قبل قليل.

ومن الشعراء الذين شهدوا هذه المعركة أيضاً وخاضوا غمارها بدر الدين يوسف المهمندار(٤١)، وكان شيخاً متجنداً(٤٢)، الأمر الذي جعله شاهداً عليها، وأكسب شعره الواقعية والثقة، ونجده قد وصف غبار المعركة الذي كاد يمنع الرؤية لولا ضياء أسنة الرماح وظبات السيوف، كما وصف أيضاً جبن التتار وسوء تقديرهم للموقف وخيبتهم، ثم تحدث عن جيش المسلمين وعدته وقطعه للفرات وسرعته في الوصول إلى التتار

المهزومين وقتله لهم(٤٣):

لو عـايـنَـتْ عـينـاكَ يـومَ نـزالِـنَـا ... والخيلُ تطفحُ في العجاجِ الأكْدَرِ
وسنا الأسنةِ والضياءُ منَ الظُّبَى ... كَشَفَا لأعينِنا قتامَ العِثيَرِ
وقد اطلَخَمَّ الأمرُ واحتدمَ الوغى ... وَوَهَى الجبانُ وساءَ ظنُّ المجتري
لرأيت سداً مِنْ حديدٍ ما يُرى ... فوقَ الفراتِ وفوقَهُ نارٌ تَرِي
ورأيتَ سيلَ الخيلِ قد بلغَ الزُّبى ... ومنَ الفوارسِ أبحراً في أبحرِ
طَفَرَتْ وقدْ منعَ الفوارسُ مدَّها ... تجري ولولا خيلُنَا لمْ تَطْفِرِ
حتى سبقْنَا أسهماً طاشَتْ لنا ... منهمْ إلينا بالخيولِ الضُّمَّرِ
لم يفتحوا للرمْيِ منهمْ أعيناً ... حتى كُحِلْنَ بكلِّ لدنٍ أسمرِ
فتسابقوا هرباً ولكنْ رَدَّهُمْ ... دونَ الهزيمةِ رمحُ كلِّ غَضَنْفَرِ

ثم تحدث الشاعر بعد ذلك عن نهاية المعركة وكيف أن القتلى قد ملؤوا الفضاء الواسع، وسدوا الطرق، فقال(٤٤):

ملؤوا الفضاءَ فعنْ قليلٍ لمْ ندعْ ... فوقَ البسيطةِ منهمُ مِنْ مُخْبِرِ
سدَّتْ علينا طُرْقَنَا قتلاهمُ ... حتى جَنَحْنَا للمكانِ الأوعرِ

كما وصف أيضاً خيل المسلمين وكيف تعثرت برؤوس المغول تعثراً منعها من أن تنطلق بأقصى سرعتها، وخاضت في بحور دمائهم التي جرت كالأنهار، فتلطخت حتى غدا أشهبُها أشقرَ(٤٥):

ما كانَ أجرى خيلَنَا في إثرِهمْ ... لَوْ أنَّها برؤوسهمْ لَمْ تعثُرِ
مِنْ كلِّ أشهبَ خاضَ في بحرِ الدما ... حتى بَدَا لعيونِنَا كالأشقرِ
وَجَرَتْ دماؤُهمُ على وجهِ الثرَى ... حتى جَرَتْ منها مجاري الأنْهُرِ

كما تحدث أيضاً عن صرخات جند المسلمين التي فلقت بقوتها

الصخور[٤٦] :

كمْ قَدْ فلقنا صخرةً مِنْ صرخةٍ ولكمْ ملأنا مَحْجِراً مِنْ مَحْجَرِ

وبعد ذلك رسم صورة جميلة متميزة للظاهر بيبرس، وهو يتبع المغول بسيفه البتار الذي علته دماء قتلاهم وقد التصق بها الغبار، فغدا وكأنه في غمده لم يسل، ولكن أي غمد هذا[٤٧]!!

والظاهرُ السلطانُ في آثارِهِمْ يذْري الرؤوسَ بكلّ عَضْبٍ أبترِ

ذهبَ العجاجُ معَ النجيعِ بصقلِهِ فكأنَّهُ في غمدِهِ لَمْ يُشْهَرِ

وختم قصيدته هذه مخاطباً غيره من الشعراء الذين وصفوا المعركة سماعاً من غير أن يحضروها مفتخراً ببلائه وبشعره، فما راءٍ كمن سمع[٤٨]:

إنْ شئْتَ تمدحهُ فقفْ بإزائِهِ مثلي غداةَ الروعِ وانظمْ وانثرِ

وبعد، فلقد تساءلتُ عن سبب إلحاح الشعراء على وصف هذه المعركة، وتركيزهم عليها خلافاً لغيرها من المعارك، ثم رجحت أن هذا الإلحاح ربما كان بسبب الوقت الذي حدثت فيه، فقد حدثت في ١٩ من جمادى الأولى عام ٦٧١ هـ تقريباً، وذلك لأن الظاهر قد رحل عن منبج في ١٨ من جمادى الأولى عام ٦٧١ هـ إلى الفرات[٤٩]، وهذا التاريخ يوافق ١٩ من كانون الأول (يناير) عام ١٢٧٢م[٥٠]، وهو وقت صعب لأنه يقع في فصل الشتاء الذي يتميز ببرودته الشديدة في هذا المكان من السلطنة المملوكية، الواقع في شمالي بلاد الشام، كما تكثر فيه مياه نهر الفرات، ويرتفع مستواها بسبب الأمطار الغزيرة التي تسقط على ينابيعه وعلى مايجاوره، الأمران اللذان يجعلان خوض الفرات عملية ليست عادية، وإنما عملية متميزة فريدة تحتاج إلى جرأة وشجاعة واقتدار.

ومن معارك الظاهر بيبرس التي نظم فيها الشعراء قصائدهم، تلك

المعركة التي حدثت بالقرب من نهر جيحان في بلاد الروم عام ٦٧٥ هـ، وتحالف فيها ضده التتار والروم والكرج وجيش البَرْوَاناه، وحمل فيها بنفسه بصدق(٥١)، وكان «يكر كالأسد الضاري ويقتحم الأهوال بنفسه، ويشجع أصحابه، ويُطيِّب لهم الموت في الجهاد إلى أن أنزل الله تعالى نصره عليه، وانكسر التتار أقبح كسرة، وقتلوا، وأسروا، وفر من نجا منهم، فاعتصموا بالجبال، فقصدتهم العساكر الإسلامية»(٥٢). ومن القصائد التي وصلت إلينا في وصفها قصيدة الشهاب محمود التي استهلها بقوله(٥٣):

كذا(٥٤) فلتكنْ في اللهِ تمضي العزائِمُ وإلا فلا تجفو الجفونَ الصوارمُ(٥٥)
عزائمُ حاذَتْها الرياحُ فأصبحتْ مخلَّفَةً تبكي عليها الغمائمُ

والروح الدينية واضحة جلية تبدو في البيت الأول، وتحدث بعد ذلك عن ضخامة جيش الظاهر بيبرس، وسرعة تحركه اللتين تجعلان الأرض الواسعة الأرجاء ضيقة كالخاتم، الأمر الذي يدل على مدى اهتمام الظاهر بجيشه، وهذا جانب هام من جوانب شخصيته(٥٦).

بجيشٍ تظلُّ الأرضُ منهُ كأنَّها على سَعةِ الأرجاءِ في الضيق خاتَمُ
كتائبُ كالبحرِ الخِضَمِّ جيادُهَا إذا ماتهادَتْ موجُهُ المتلاطِمُ

وانتقل بعدذلك إلى الملك الظاهر بيبرس ، وصوره وقد أحاطت به هذه الكتائب،وجعل النصر عبداً يخدمه، والأقاليم تحن إليه تتمنى أن يفتحها(٥٧):

تحيطُ بمنصورِ اللواءِ مُظَفَّرٍ لهُ النصرُ والتأييدُ عبدٌ وخادمُ
مليكٌ لأبكارِ الأقاليمِ نحوَهُ حنينٌ، كذا تَهْوى الكرامَ الكرائمُ

وتحدث أيضاً عن كثرة القلاع المنيعة التي افتتحها سلماً وحرباً على الرغم من حصانتها التي لم تحل بينهما وبين مصيرها المحتوم(٥٧).

فكمَ وطئَتْ طوعاً وكرهاً جيادُهُ معاقلَ قُرطاها السُها والنعائمُ

كما ألح على الجانب الديني، فصور الدين يلوذ بركن الظاهر بيبرس، وأفاد في ذلك من لقبه. وهو ركن الدين، كما أشار إلى أن للدين في كل ساعة من الظاهر بيبرس بشارة تسر الهدى، بينما تكون في الوقت نفسه للكفر مأتماً وللشيطان بكاء وحزناً(٥٨).

مليكٌ يلوذُ الدينُ مِنْ عزماتهِ بركنٍ لهُ الفتحُ المبينُ دعائمُ

مليكٌ لهُ بالدينِ في كل ساعةٍ بشائرُ للكفارِ منها مآتمُ

جلا حينَ أقذى ناظرُ الكفرِ للهدى ثغوراً بكى الشيطانُ وَهْيَ بواسمُ

وإضافة إلى ذلك تحدث عن تصميمه الذي لا يعرف إلا الوصول إلى هدفه مهما كلفه ذلك، وصور ذلك تصويراً جميلاً بقوله(٥٩):

إذا رام شيئاً لم يعقْهُ لِبُعْدها وشقتِها عنهُ الإكَامُ الطواسمُ

فلوْ نازعَ النسرين أمراً لنالهُ وذا واقعٌ عجزاً وذا بعدُ حائمُ

ثم انتقل إلى وصف جيش الظاهر بيبرس وقد سالت الأرض بمواكبه المنتصرة، وأحاط الأعداء برماحه التي صارت سوراً منيعاً صلباً(٦٠):

وسالتْ عليهمْ أرضُهُمْ بمواكبٍ لها النصرُ طوعٌ والزمانُ مسالمُ

أدارت بهمْ سوراً منيعاً مُشَرَّفاً بِسُمْرِ العوالي مالَهُ الدهرَ هادمُ

وتحدث أيضاً عن أصل هذا الجيش التركي، وصور أفراده وكيف يجمعون بين صفة الجمال في السلم وصفة الشجاعة في الحرب(٦١):

مِن التركِ أمَّا في المغاني فإنَّهُمْ شموسٌ وأما في الوغى فضراغمُ

ومع ذلك فإن جيشهم إنما يظهر على أعدائهم بفضل قائدهم الملك الظاهر بيبرس(٦٢):

غدا ظاهراً بالظاهرِ النصرُ فيهمُ تبيدُ الليالي والعدى وهوَ دائمُ

وأخيراً صور ملوك الأعداء وأمراءهم في نهاية هذه المعركة أذلة قد غدت أموالهم غنائم للمسلمين(٦٣):

فكم حاكمٍ منهمْ على ألفِ دارعٍ غدا حاسراً والرمحُ في فيهِ حاكمُ
وكم مَلِكٍ منهمْ رأى وَهْوَ مُوثَقٌ خزائنَ مايحويهِ وَهْيَ غنائمُ

وختم قصيدته هذه بتهنئة الظاهر بيبرس ووصفه بأنه ملك الإسلام الذي غدت أيام نصره على أعدائه مواسم وأعياداً للمسلمين، والذي بذل روحه الغالية رخيصة في سبيل الله(٦٤):

فياملكَ الإسلامِ يامَنْ بنصرهِ على الكفرِ أيامُ الزمانِ مواسمُ
تهنَّ بفتحٍ سار في الأرض ذكرهُ سُرى الغيثِ تَحْدُوهُ الصَّبَا والنعائمُ
بذلْتَ لهُ في اللهِ نفساً نفيسةً فوافاك لا يثنيهِ عنكَ اللوائمُ

ثم تحدث عن نتائج هذه المعركة، وكيف أدت إلى استسلام الحصون التي كانت عاصية، والتي حلم بفتحها ملوك الأرض ولكنهم لم يستطيعوا إليها سبيلاً، وختم أبيات قصيدته هذه بدعائه لله تعالى أن تستمر انتصارات بيبرس على الكفر دائماً(٦٥):

ولمَّا هزمْتَ القومَ ألْقَتْ زمامَهَا إليكَ الحصونُ العاصياتُ العواصمُ
ممالكُ حاطَتْهَا الرماحُ فكم سَرَتْ على رجلٍ فيها الرياحُ النواسمُ
تبيتُ ملوكُ الأرضِ وهْي مُنَاهُمُ وليسَ بها منهمْ معَ الشوقِ حالمُ
ولولاكَ ماأومى إلى برقِ ثغرِها لعزةِ مثواهُ منَ الشامِ شائمُ
أقمتَ لها بالخيلِ سوراً كأنَّها أساورُ أضحتْ وهْيَ فيها معاصمُ
فلازلتَ منصورَ اللواءِ مُؤيَّداً على الكفرِ ماناحَتْ وأبكَتْ حمائمُ

وتحدث شاعر آخر عن أصل الظاهر بيبرس التركي، وجعله أسد الترك وركنهم الذي أخذ الثأر من التتار بعد الخوف منهم، فقال(٦٦):

فيا أسدَ التركِ ويا ركنَهُمْ ويا آخذَ الثارِ بعدَ المخافهْ

وذكر هذا الشاعر أيضاً بعض أعماله العظيمة المتميزة مثل انتصاره على الأعداء، وجبره للمحتاجين، وقطعه للفرات، ثم إحيائه للخلافة العباسية(٦٧) :

كسرتَ الطغاةَ جبرْتَ العُفاةَ قطعْتَ الفراتَ وصلْتَ الخِلافَهْ

وإضافة إلى ذلك تحدث الشعراء عن سرعة انتقاله من بلد إلى بلد في سلطنته الواسعة(٦٨)، الأمر الذي كان له أثره في تثبيت أركانها وفي القضاء على الأعداء، وقد وصف ذلك أحد الشعراء بقوله(٦٩):

يوماً بمصرَ ويوماً بالشآمِ ويو ماً بالفراتِ ويوماً في قُرى حلبِ

ووصف أيضاً اتساع سلطنته وحسن تدبيره لها، فقال(٧٠) :

تدبِّرُ الملكَ مِنْ مصرٍ إلى يَمَنٍ إلى العراقِ وأرضِ الرومِ والنُوبِ

ولعل هذا هو الذي جعل محيي الدين بن عبد الظاهر يخاطبه بأنه ملك الأرض، وذلك عندما هنأه بفتحه لعكار سنة ٦٦٩ الذي كان له عزاء عن استعصاء عكا عليه(٧١):

يا مليكَ الأرضِ بُشرا كَ فقدْ نلتَ الإرادهْ

إن عكَّار يقيناً هوَ عكّا وزيادهْ

وجعل الشريف محمد بن رضوان الناسخ ينعته بأنه مالك الدنيا(٧٢):

ما الظاهرُ السلطانُ إلاّ مالكُ الـ ـدنيا بذاكَ لنا الملاحمُ تُخبِرُ

وتحدث الشعراء أيضاً عن حسن معاملة الظاهر بيبرس لأمرائه وجنده

وكثرة عطائه لهم، الأمر الذي كان يدفعهم لبذل أقصى ما يستطيعون في جهاد الأعداء، والأبيات التالية تصور تمليكه الأراضي المفتوحة للأمراء المجاهدين بعد فتح قيسارية عام ٦٦٣[٧٣] :

فتىً جعلَ البلادَ مِنَ العطايا فأعطى المدنَ واحتقرَ الضياعا
سمعنا بالكرامِ وقدْ أرانا عياناً ضعفَ ما فعلوا سماعا
إذا فعلَ الكرامُ على قياسٍ جميلاً كانَ ما فعلَ ابتداعا

وأما بالنسبة إلى الرعية فلقد أبطل الظاهر بيبرس ما كان قد أحدثه الملك المظفر قطز من ضرائب، وأقام العدل بينهم، فضج الناس له بالدعاء، ومالت إليه قلوبهم، فقال أحد الشعراء في ذلك[٧٤] :

لمْ يبقَ للجورِ في أيامكُمْ أثرٌ إلا الذي في عيونِ الغيدِ مِنْ حَوَرِ

وإضافة إلى ذلك كان الظاهر بيبرس شديداً في قضائه على المنكرات التي كانت منتشرة في بداية سلطنته كالخمر والحشيش وغيرهما[٧٥]، فجعل الحد على ذلك القتل، ونفذ ذلك عندما أمسك ابن الكازروني وهو سكران، فأمر بصلبه وفي حلقه جرة خمر، وجعله عبرة لغيره، ووصف ذلك الحكيم شمس الدين بن دانيال[٧٦]، في قوله[٧٧] :

لقدْ كانَ حدُّ السكرِ منْ قبلِ صلبِهِ خفيفَ الأذى إذْ كانَ في شرعِنا جَلْدَا
فلما بدا المصلوبُ قلتُ لصاحبي ألا تُبْ فإنَّ الحدَّ قَد جاوزَ الحدَّا

ولا تخفى التورية في الشطر الأخير.

وتحدث عن ذلك أيضاً أبو الحسين الجزار[٧٨]، في قوله[٧٩]:

قدْ عُطِّلَ الكُوبُ مِنْ حبابِهْ وأُخْلِيَ الثغرُ مِنْ رضابِهْ
وأصبحَ الشيخُ وَهْوَ يبكي على الذي فاتَ مِنْ شبابِهْ

وصور ابن دانيال مدى جدية تطبيق قرار منع الخمر والحشيش وهيبة الظاهر التي تجاوزت الإنس الى الجن تصويراً طريفاً في قوله(٨٠):

نهى السلطانُ عنْ شُربِ الحُمَيَّا وصيَّرَ حدَّهَا حدَّ اليماني
فما جسرَتْ ملوكُ الجنِّ خوفاً لأجلِ الخمرِ تدخلُ في القناني

وينبغي ألا نفهم من هذا اعتراض هؤلاء الشعراء على ذلك، وإنما الذي أرجحه أنهم قالوا ذلك تدفعهم روح الدعابة، والذي يرجح ذلك قول ناصر الدين بن النقيب(٨١)، الذي صور أثر ذلك على إبليس، وكيف قرر مغادرة السلطنة المملوكية إلى غيرها(٨٢):

منعَ الظاهرُ الحشيش معَ الخمـ ـرِ فولّى إبليسُ مِنْ مصرَ يسعى
قال مالي وللمقامِ بأرضٍ لمْ أُمَتَّعْ فيها بماءٍ ومرعى

وقول ابن المُنَيِّر(٨٣)، في ذلك أيضاً مخاطباً الظاهر بيبرس(٨٤):

ليسَ لإبليسَ عندنا أربُ غيرُ بلادِ الأميرِ مأواهُ
حَرَمْتَهُ الخمرَ والحشيشَ معاً حَرَمْتَهُ ماءَهُ ومرعاهُ

ويرجح ذلك أيضاً تناول ابن دانيال لهذا الموضوع بأسلوب قصصي فيه روح الدعابة والإضحاك واضحة بجلاء(٨٥)، وختم قصته بقصيدة صور فيها إبليس قد مات، وخلا منه الربع، فاستقامت الأمور، وصلحت، وأريقت الخمر، وكسرت أوانيها، كما تحدث عن الخلعاء ومواقفهم من ذلك فقال(٨٦):

ماتَ ياقومُ شيخُنا إبليسُ وخلا منه ربعُهُ المأنوسُ
هو لو لم يكن كما قلتُ ميْتاً لمْ يُغَيَّرْ لأمرِهِ ناموسُ
أينَ عيناهُ تنظرُ الخمرَ إذْ عُطـ ـلَ منها الراووقُ والمحريسُ
ومواعينُها تُكَسَّرُ والخمَّـ ـارُ مِنْ بعدِ كسرِهَا محبوسُ
وذوو القصفِ ذاهلونَ وقد كا دَتْ على سيلِها تسيلُ النفوسُ

كَمْ خليعٍ يقولُ ذا اليومُ يومٌ ... مثل ما قيلَ قَمْطَرِيرٌ عبوسُ
وفتى قائلٍ لقدْ هانَ عندي ... بعدَ هذا في شُرْبِها التجريسُ

وتحدث ابن دانيال أيضاً في هذه القصيدة عن قلع الحشيش وحرقه، فقال(٨٧):

أينَ عيناهُ والحشائشُ يُحْرَقْـ ... ـنَ بنارٍ تُراعُ منها المجوسُ
قَلَعُوها منَ البساتينِ إذْ ذا ... كَ صغاراً خضراءَ وهْيَ عروسُ

كما تكلم عما آلت إليه أمور البغاء وأهله بالطريقة نفسها(٨٨)، وطلب من هؤلاء جميعاً الرحيل من هذه البلاد، لأنها بلاد عفاف، فلا مقام لهم فيها بقوله(٨٩):

ارحلوا هذهِ بلادُ عفافٍ ... وسعودُ الخلاعِ فيها نحوسُ

ولم يجد أحد الشعراء الذين أضرت بهم هذه الإصلاحات إلا أن يستنجد بإبليس، ويستنهضه، ويطلب منه أن يحتال ليعيد الخمر والمعاصي إلى ما كانت عليه(٩٠):

الخمرُ يا إبليسُ إنْ لم تقمْ ... وتُوسِعُ الحيلةَ في ردِّها
لأنفَقَتْ سوقُ المعاصي ولا ... أفلحْتَ يا إبليسُ مِنْ بعدِها

وإضافة إلى ما سبق ذكره من إصلاحات اجتماعية أخلاقية عُني الظاهر بيبرس بالحياة الفكرية والثقافية والدينية، فبنى المدارس في نواحي بلاد سلطنته، ومنها المدرسة الظاهرية بالقاهرة التي لم يأذن بالشروع في بنائها إلا بعد أن رتب لها وقفها الذي يضمن لها الإيرادات المالية اللازمة لاستمرارها، كما أمر ألا يستعمل فيها أحد بغير أجرة، ولا ينقص من أجرته شيء. ثم افتتحها عام ٦٦٢هـ بعدما تم بناؤها، وزودت بخزانة كتب تشتمل على

أمهات الكتب في سائر العلوم وبنى بجوارها مكتباً لتعليم أيتام المسلمين كتاب الله تعالى، وأجرى لهم الجرايات والكسوة(٩١)، وكان افتتاحها باحتفال رسمي حضره العلماء والقراء والمحدّثون والمدرسون والشعراء، وقررت فيه الدروس، وأقيمت المناظرات وأنشدت القصائد، ثم مُدَّتْ الأسمطة، فأكل الحاضرون ولقد كان أبو الحسين الجزار حاضراً ذلك، فوصفه قائلاً(٩٢):

ألا هكذا يبني المدارسَ مَنْ بنى ... وَمَنْ يتغالى في الثواب وفي الثنا
لقدْ ظهرَتْ للظاهرِ الملْكِ همَّةٌ ... بها اليومَ في الدارينِ قدْ بلغَ المُنى
تجمَّعَ فيها كلُّ حُسْنٍ مفرَّقٍ ... فراقَتْ قلوباً للأنامِ وأعْيُنَا

وكذلك حضر السراج الوراق هذا الاحتفال فوصفه، وتحدث عن حب الظاهر بيبرس للعلم والعلماء، وقارن هذه المدرسة بالمدرسة النظامية الشهيرة وفضلها عليها نظاماً، كما فضل الملك الظاهر على غيره من الملوك، وذكر حسنها وجمال محرابها وكرم بيبرس، فقال(٩٣):

مليكٌ لهُ في العلمِ حبٌ وأهلِهِ ... فللهِ حبٌ ليسَ فيهِ مَلامُ
فشيَّدَها للعلمِ مدرسةً غدا ... عراقٌ إليها شَيِّقٌ وشآمُ
ولا تذكرنْ يوماً نظاميّةً لها ... فليس يُضاهي ذا النظامَ نظامُ
ولا تذكرنْ مَلْكاً فبيبرسُ مالكٌ ... وكلُّ مليكٍ في يديهِ غلامُ
ولمَّا بناهَا زعزعَتْ كلَّ بيعةٍ ... متى لاحَ صبحٌ ما استقرَّ ظلامُ
وقدْ برزَتْ كالروضِ في الحسنِ أنبأتْ ... بأنَّ يديْهِ في النوالِ غَمَامُ
ألَمْ ترَ محراباً كأنَّ أزاهراً ... تفتَّحَ عنهنَّ الغداةَ كمامُ

وتحدث في هذه المناسبة أيضاً جمال الدين يوسف بن الخشاب، فنوّه بفضل الظاهر بيبرس، وبتفوقه على الملوك والخلفاء، وبفضل أمرائه وجنوده، ثم تحدث عن المدرسة الظاهرية وعلمائها، ودعا له بالبقاء والخلود وعلى حاسديه بالفناء(٩٤):

قصد الملوكُ حماكَ والخلفاءُ ... فافخرْ فإنَّ محَلَّكَ الجوزاءُ
أنتَ الذي أُمراؤُهُ بينَ الورى ... مثلُ الملوكِ وجندُهُ أُمراءُ
ملكٌ تزيَّنَتِ الممالكُ باسمهِ ... وتجمَّلتْ بمديحهِ الفصحاءُ
وترفَّعَتْ لعلاهُ خيرُ مدارسٍ ... حلَّتْ بها العلماءُ والفضلاءُ
يبقى كما يبقى الزمانُ وملكُهُ ... باقٍ لهُ ولحاسديهِ فَنَاءُ
دامتْ لهُ الدنيا ودامَ مخلَّدا ... ما أقبلَ الإصباحُ والإمساءُ

وبعدما أنشد الشعراء قصائدهم أفيضت الخلع، وكان يوماً مشهوداً(٩٥).

وفضلاً عن ذلك شملت إصلاحات الظاهر بيبرس السلطة القضائية، فجعل عام ٦٦٣هـ في مصر قاضياً لكل مذهب من المذاهب الإسلامية الأربعة الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي، وكان لا يقضي بها قبل ذلك سوى قاض شافعي فقط، وسر الناس بذلك، وعبر أحد الشعراء عن ذلك بقوله(٩٦):

لقد سرَّنا أن القضاةَ ثلاثةٌ ... وأنكَ تاجَ الدينِ(٩٧) للقومِ رابعُ
فلا عجبٌ أنْ وسَّعَ اللهُ في الهدى ... مذاهبَنَا بالعلمِ فالشرعُ واسعُ
تفرَّقتِ الآراءُ والدينُ واحدٌ ... وكلٌّ إلى رأيٍ منَ الحقِ راجعُ
فهذا اختلافٌ صارَ للناسِ رحمةً ... كما اختلفتْ في الراحتينِ الأصابعُ
فكمْ رُخَصٍ أبدَوْا لنا وعزائمٍ ... هُدِينَا بها فهْي النجومُ الطوالعُ
بهمْ بُنْيَةُ الإسلامِ صحَّتْ وكيفَ لا ... تصحُّ وهُمْ أركانُها والطبائعُ

ومثلما رافق الشعر الظاهر بيبرس في حياته الحافلة بالأعمال الجليلة،رافقه أيضاً إلى مثواه الأخير، ورثاه بعد وفاته في دمشق في ٢٨ من المحرم عام ٦٧٦هـ(٩٨)، وإن اختلف مستوى الرفقة. فهذا محيي الدين بن عبد الظاهر قد وصف فداحة الخطب الذي لا يستطيع القلب أن يتحمله، ولا الصبر الجميل أن يحيط به، لأنه مصيبة تنوء بحملها الجبال، فقال(٩٩):

ما مثلَ هذا الرزءِ قلبٌ يحمِلُ ... كلا ولا صبرٌ جميلٌ يجمِلُ
اللهُ أكبرُ إنَّها لمصيبةٌ ... منها الرواسي خيفةً تتقلقلُ

ثم تحدث عن مآثره التي كانت بها تطيب الدنيا، وعن مننه التي كانت تطوق أعناق الجميع، وعن آرائه الصائبة وعزائمه القوية(١٠٠) :

لهفي على الملكِ الذي كانت به الـ ... ـدنيا تطيبُ فكلُّ قفرٍ منزلُ
الظاهرُ السلطانُ مَنْ كانَتْ لهُ ... مِنَنٌ على كلِّ الورى وَتطَوُّلُ
لهفي على آرائِهِ تلكَ التي ... مثلُ السهامِ إلى المصالحِ تُرْسَلُ
لهفي على تلكَ العزائمِ كيف قدْ ... غفلَتْ وكانت قبل ذا لا تغفلُ

وبعدذلك انتقل إلى تصوير أثر موته على الرماح التي كانت ترافقه في جهاده(١٠١):

ما لِلرماحِ تخوَّلَتْها رعدةٌ ... لكنَّها إذْ ليسَ تَعْقِلُ تعقلُ

كما تحدث أيضاً عن موته، وكيف كان سهماً أصاب مقاتل القلوب جميعها، ولم ير له مثيل من قبل(١٠٢):

سهمٌ أصابَ وما رُئي مِنْ قبلِهِ ... سهمٌ لهُ في كلِّ قلبٍ مَقْتَلُ

ودفن الظاهر بيبرس في المدرسة الظاهرية بدمشق، ولما تزل إلى الآن قائمة معروفة باسم المكتبة الظاهرية الشهيرة، وكذلك لما يزل قبره معروفاً فيها واضح المعالم(١٠٣). وكانت هذه المدرسة من قبل داراً لرجل اسمه (العقيقي)، فاشتراها ابن الظاهر بيبرس الملك السعيد، وأمر أن تغير معالمها، وتبنى مدرسة للشافعية والحنفية(١٠٤). وقد ذكر ذلك محيي الدين بن عبد الظاهر أيضاً في قوله(١٠٥):

صاحِ هذا ضريحُهُ بينَ جفنيَّ م ... فزوروا مِنْ كلِّ فجٍ عميقِ

كيفَ لا وهْوَ منْ عقيقِ جفوني ... دفنوهُ منها بدارِ العقيقي

ولا شك في أن ما قيل في رثائه، أو ما وصلنا منه أقلُّ من القليل، ولا يتناسب مع كونه خير ملوك الترك على الإطلاق(١٠٦) . إذ لم يصل إلينا من رثائِه سوى ما قاله محيي الدين بن عبد الظاهر، الأمر الذي يدل على إخلاص ابن عبد الظاهر ووفائه، ولكنه في الوقت نفسه يدعونا إلى أن نتساءل: ألم يرثه أحد من الشعراء غير ابن عبد الظاهر؟ وإن كان بعضهم قد رثاه فأين شعره؟ ولعلي أستطيع أن أعلل هذا بضياع هذا الرثاء مع غيره من الشعر الذي ضاع أو إلى خوف الناس من كبار أمراء المماليك الذين كانوا يطمعون بالسلطنة من جانب آخر، وعندما يصلون إليها فلن يرحموا أتباع الظاهر بيبرس والمخلصين له، أو على الأقل سيحرمونهم من وظائفهم أو عطاياهم. وربما يعترض على هذا الزعم معترض قائلاً: إن ابنه الملك السعيد محمد قد تولى السلطنة بعده. فأقول: هذا صحيح، ولكنه عندما تولى السلطنة كان صغيراً في الثامنة عشرة من عمره، وكثير من الناس ومن الشعراء كانوا يرجحون أن أمراء أبيه لن يمكنوه من الاستمرار في السلطنة، إن لم أقل إنهم كانوا متأكدين من ذلك، لما عرف من طيشه، ولما عرف من

طمعهم بالسلطنة، ولقد تحقق ذلك، إذ أجبروه على التنازل عن السلطنة بعد مدة وجيزة لأخيه الصغير سلامش الذي سرعان ما عزله أتابك العسكر قلاوون بعد أشهر قليلة من سلطنته(١٠٧).

والحقيقة أن هذا الشعر الذي وصل إلينا في الملك الظاهر بيبرس لم يوفه حقه، بل ولا جزءاً صغيراً من هذا الحق ولقد صدق القائل فيه بعد موته(١٠٨):

تاريخُهُ في الملوكِ أضحى ... يحيِّرُ العربَ والأعاجمْ
فاكتبْهُ بالتبْرِ لا بِحِبْرٍ ... واعجبْ لأخبارِهِ العظائمْ
اختارَهُ اللهُ مِنْ إمامٍ ... لقمعِ أهلِ الفسادِ صارمْ
قدْ أظهرَ العدلَ في الرعايا ... وأبطلَ الجَوْرَ والمظالمْ

ولقد كان جديراً بشاعر كالمتنبي أو أبي تمام أو غيرهما من الفحول يستطيع أن يوفيه حقه. ولكن لكل عصر شعراءه الذين يعيشون فيه، ويتأثرون بما فيه، ويدورون في فلكه، ويسمهم بميسمه. ومهما حلقوا فإن لقدرتهم على الطيران حدوداً لا يستطيعون تجاوزها من جهة، وإن لهم جمهورَهم وقيَمَه الفنية التي تفرض عليهم مسارهم وكيفية إبداعهم من جهة أخرى. وذلك لأنهم يقولون أشعارهم لجمهور عصرهم الذي لن يستحسنه إلا إذا كان موافقاً لما يريد ويستحسن من قيم فنية ومثل أدبية.

ومع ذلك كله فإن في هذا الشعر الذي تحدث عن الظاهر بيبرس خيراً كثيراً، ولا سيما إذا نظرنا إليه من خلال القيم الفنية والمثل الأدبية، التي كانت سائدة في ذلك العصر. ولقد وفق إلى حد كبير في أن يرسم صورة مشرقة واضحة - وإن كانت غير كاملة - لجوانب عدة من جوانب شخصية بطل شامخ من أبطال أمتنا، استطاع أن يغير وجه التاريخ، وأن يرد التتار على أدبارهم

خاسرين، وأن يسهم إسهاماً حاسماً في إسدال الستار على الفصل الأخير من فصول الحروب الصليبية الوحشية، وأن يمد في عمر الخلافة العباسية العربية مايزيد على قرنين ونصف من الزمن، وأن يقوم بأعمال جليلة في جميع المجالات السياسية والعسكرية والإدارية والاقتصادية والثقافية وغير ذلك من المجالات.



الهوامش

(١) لقب نفسه أولاً بالملك القاهر، فقيل له: إن هذا اللقب لا يفلح من يلقب به ، فعدل عنه حينئذ إلى الملك الظاهر. (البداية والنهاية ٧/ ٢٣٦).

(٢) بيبرس، بكسر الباء الأولى، وسكون الياء، ثم فتح الباء الثانية، وسكون الراء والسين. ومعناه باللغة التركية أمير فهد (النجوم الزاهرة ٧/ ٩٤). وضبط الاسم بفتح الباء الأولى في دائرة المعارف الإسلامية ٨/ ٤٨٦، وفي كتاب الأعلام للزركلي من غير إشارة إلى مصدر. لذلك أرجح الضبط الأول الوارد في النجوم الزاهرة.

(٣) نسبة إلى الأمير الذي اشتراه، وهو علاء الدين أيدكين البندقدار (النجوم الزاهرة ٧/ ٩٤). والبندقدار: حامل كيس البندق خلف السلطان أو الأمير (العصر المماليكي في مصر والشام ٤٢٠).

(٤) نسبة إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب السلطان الأيوبي الذي صادره من أيدكين البندقدار (سمط النجوم العوالي ٤/ ١٨).

(٥) النجوم الزاهرة ٧/ ٩٤.

(٦) العبر في أخبار من غبر ٥/ ٣٠٨ والنجوم الزاهرة ٧/ ٩٤ ودائرة المعارف الإسلامية ٨/ ٤٨٦.

(٧) النجوم الزاهرة ٧/ ٩٥.

(٨) بكسر القاف وسكون الباء، وضبط القلقشندي القاف بالفتح (النجوم الزاهرة ٧/ ٩٤).

(٩) النجوم الزاهرة ٧/ ٩٥ - ٩٦.

(١٠) نسبة إلى بحر النيل، لأن السلطان الصالح أيوب اختار لهم جزيرة الروضة وسط النيل لتكون لهم مستقراً (العصر المماليكي ٥).

(١١) دائرة المعارف الإسلامية ٨/ ٤٨٦.

(١٢) سمط النّجوم العوالي ٤/ ١٨.

(١٣) دائرة المعارف الإسلامية ٨/ ٤٨٦ - ٤٨٧.

(١٤) النجوم الزاهرة ٧/ ١٠١.

(١٥) البداية والنهاية ٧/ ٢٣٤.

(١٦) دولة الظاهر بيبرس ٤٠، دائرة المعارف الإسلامية ٨/ ٤٨٧.

(١٧) تتمة المختصر ٢/ ٢٩٧.

(١٨) دولة الظاهر بيبرس في مصر ٤١.

(١٩) العصر المماليكي ٣٧.

(٢٠) دولة الظاهر بيبرس في مصر ٤١.

(٢١) النجوم الزاهرة ٧/ ١٠١-١٠٢.

(٢٢) العصر المماليكي ٣٩.

(٢٣) النجوم الزاهرة ٧/ ١٠٢.

(٢٤) بدائع الزهور ١/ ٣٠٨.

(٢٥) النجوم الزاهرة ٧/ ١٧٧.

(٢٦) العبر في خبر من غبر ٥/ ٣٠٨.

(٢٧) تاريخ المماليك البحرية ٤٨.

(٢٨) لا أجد مجالاً للحديث عنها في هذا البحث، ويكفي أن ننظر إلى ثبت المصادر والمراجع التابع لهذا البحث على سبيل المثال.

(٢٩) انظر على سبيل المثال النجوم الزاهرة ٧/ ١٩٠، ودائرة المعارف الإسلامية ٨/ ٤٨٧ وما بعدها، وكتاب دولة الملك الظاهر بيبرس في مصر.

(٣٠) شهاب الدين محمود بن سلمان بن فهد الحلبي الدمشقي الحنبلي (٦٤٤- ٧٢٥هـ) ولي الإنشاء في دمشق، ثم في مصر، ثم صار كاتب السر في دمشق إلى أن توفي فيها. وكان شيخ صناعة الإنشاء في عصره وإضافة إلى ذلك كان شاعراً. (فوات الوفيات ٤/ ٨٢).

(٣١) النجوم الزاهرة ٧/ ١٥٩.

(٣٢) البداية والنهاية ٧/ ٢٧٩.

(٣٣) النجوم الزاهرة ٧/ ١٥٩- ١٦٠.

(٣٤) فوات الوفيات ١/ ٢٤٠.

(٣٥) النجوم الزاهرة ٧/ ١٦٠.

(٣٦) فوات الوفيات ١/ ٢٣٩.

(٣٧) فوات الوفيات ١/ ٢٣٨.

(٣٨) قال الله تعالى في سورة الكهف ٩٧: ﴿فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا﴾.

(٣٩) ناصر الدين الحسن بن شاور بن طرخان بن الحسن المعروف بابن النقيب النفيسي (... - ٦٨٧ هـ) شاعر قاهري من شعراء مذهب التورية (فوات الوفيات ١/ ٣٢٤).

(٤٠) البداية والنهاية ٧/ ٢٧٩ والنجوم الزاهرة ٧/ ١٦٠.

(٤١) بدر الدين يوسف بن سيف الدولة بن زماخ الحمداني، مهمندار العرب، (٠٠٠ بعد ٦٨٠ هـ) شيخ متجند، له شعر جيد. (فوات الوفيات ٤/ ٣٤٩).

(٤٢) فوات الوفيات ٤/ ٣٤٩.

(٤٣) فوات الوفيات ٤/ ٣٥٠.

(٤٤) المصدر نفسه.

(٤٥) فوات الوفيات ٤/ ٣٥١.

(٤٦) المصدر نفسه.

(٤٧) المصدر نفسه.

(٤٨) المصدر نفسه.

(٤٩) النجوم الزاهرة ٧/ ١٥٩.

(٥٠) استخرجته بوساطة الحاسوب.

(٥١) النجوم الزاهرة ٧/ ١٦٨.

(٥٢) المصدر نفسه.

(٥٣) ذيل مرآة الزمان ٣/ ١٧٨.

(٥٤) تأثر الشاعر هنا بمطلع قصيدة أبي تمام في رثاء محمد بن حميد الطوسي، وهو:

كذا فليجلِ الخطب وليفدح الأمر ... فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

(ديوان أبي تمام ٦٧٠) .

(٥٥) وتأثر في قصيدته هذه بسيفية المتنبي التي مطلعها :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم ... وتأتي على قدر الكرام المكارم

(ديوان المتنبي بشرح العكبري ٣/ ٣٧٨).

(٥٦) ذيل مرآة الزمان ٣/ ١٧٨.

(٥٧) النجوم الزاهرة ٧/ ١٧٠.

(٥٨) المصدر نفسه.

(٥٩) المصدر نفسه.

(٦٠) ذيل مرآة الزمان ٣/ ١٧٩.

(٦١) المصدر نفسه.

(٦٢) النجوم الزاهرة ٧/ ١٧١.

(٦٣) النجوم الزاهرة ٧/ ١٧٠.

(٦٤) ذيل مرآة الزمان ٣/ ١٨٠.

(٦٥) المصدر نفسه.

(٦٦) بدائع الزهور ١/ ٣١٤.

(٦٧) المصدر نفسه.

(٦٨) انظر دائرة المعارف ٨/ ٤٨٩.

(٦٩) بدائع الزهور ١/ ٣٣٢.

(٧٠) السلوك ١/ ٦٣٨.

(٧١) المختصر في أخبار البشر ٧/ ١٠.

(٧٢) فوات الوفيات ١/ ٤٠٦.

(٧٣) السلوك ١/ ٥٣١.

(٧٤) بدائع الزهور ١/ ٣١١.

(٧٥) انظر السلوك ١/ ٥٥٣.

(٧٦) شمس الدين محمد بن دانيال الموصلي الحكيم (٦٤٧- ٧١٠هـ) كان فاضلاً أديباً ذا نظم حلو ونثر عذب ونوادر عجيبة، له كتاب طيف الخيال، وكان له دكان كحل في القاهرة. (فوات الوفيات ٣/ ٣٣٠).

(٧٧) بدائع الزهور ١/ ٣٤٣.

(٧٨) أبو الحسين الجزار، يحيى بن عبد العظيم (٦٠٣ - ٦٧٩ هـ) شاعر مصري مشهور

من شعراء مذهب التورية، وكان زميلاً للسراج الوراق، وأصله جزار، والجزارة مهنة أهله، ولكنه تأدب ونجح في ذلك. (فوات الوفيات ٤/ ٢٧٨).

(٧٩) السلوك ١/ ٥٥٤.

(٨٠) فوات الوفيات ١/ ٢٤٦.

(٨١) مرت ترجمته من قبل [برقم (٣٩)، وانظر تعليق صاحب الاعلام في هامش ترجمته ٢ : ١٩٣ ، ٨: ٤٧ / المجلة] .

(٨٢) فوات الوفيات ١/ ٢٤٥.

(٨٣) هو القاضي ناصر الدين أحمد بن محمد قاضي الإسكندرية (٦٢٠ - ٦٨٣ هـ) كان عالماً فاضلاً أديباً خطيباً شاعراً. قال عنه العز بن عبد السلام: ديار مصر تفتخر برجلين في طرفيها. ابن المنير بالإسكندرية، وابن دقيق العيد بقوص. (فوات الوفيات ١/ ١٤٩).

(٨٤) فوات الوفيات ١/ ٢٤٥.

(٨٥) انظر بدائع الزهور ١/ ٣٢٦ وما بعدها .

(٨٦) بدائع الزهور ١/ ٣٢٧.

(٨٧) المصدر نفسه.

(٨٨) بدائع الزهور ١/ ٣٢٨.

(٨٩) المصدر نفسه.

(٩٠) فوات الوفيات ١/ ٢٤٦.

(٩١) خطط المقريزي ٢/ ٣٧٩.

(٩٢) السلوك ١/ ٥٠٤.

(٩٣) خطط المقريزي ٢/ ٣٧٩.

(٩٤) المصدر نفسه.

(٩٥) خطط المقريزي ٢/ ٣٧٩.

(٩٦) بدائع الزهور ١/ ٣٢١ - ٣٢٢.

(٩٧) أي تاج الدين بن بنت الأعز قاضي الشافعية.

(٩٨) النجوم الزاهرة ٧/ ١٧٥.

(٩٩) بدائع الزهور ١/ ٣٣٩.

(١٠٠) المصدر نفسه.

(١٠١) المصدر نفسه.

(١٠٢) المصدر نفسه.

(١٠٣) زرته ورأيته بنفسي كما زرت المدرسة الظاهرية أو المكتبة الظاهرية كما تسمى اليوم.

(١٠٤) النجوم الزاهرة ٧/ ١٧٦.

(١٠٥) فوات الوفيات ١/ ٢٤١.

(١٠٦) بدائع الزهور ١/ ٣٤٢.

(١٠٧) تتمة المختصر ٢/ ٣٢٤.

(١٠٨) بدائع الزهور ١/ ٣٤٢.



المصادر والمراجع

- ابن إياس: محمد بن أحمد الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ت: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢م.

- ابن تغري بردي: يوسف الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٩٦٣م.

- ابن شاكر: محمد الكتبي، فوات الوفيات ت: ، إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٧٣م.

- ابن كثير: أبو الفداء الحافظ الدمشقي، البداية والنهاية، ت: أبو ملحم وزملائه، دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان، ١٩٨٥م.

- ابن الوردي: عمر بن المظفر، تتمة المختصر في أخبار البشر، ت: أحمد رفعت البدراوي، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٠م.

- أبو تمام: شرح ديوان أبي تمام، إيليا حاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨١م.

- أبو الفداء: إسماعيل، المختصر في أخبار البشر، دار الكاتب اللبناني، بيروت ١٩٦٠م.

- حسن: علي إبراهيم، تاريخ المماليك البحرية، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٧م.

- حمزة: عبد اللطيف، الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول، دار الفكر الغربي ١٩٦٨م.

- الذهبي: محمد بن أحمد، العبر في خبر من غبر، ت: صلاح الدين المنجد، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت ١٩٦٦م.

- الزركلي: خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٤م.

- سرور: محمد جمال الدين، دولة الظاهر بيبرس في مصر، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦٠م.

- عاشور: سعيد عبد الفتاح، العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٦م.

– العصامي: عبد الملك بن حسين المكي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي المطبعة السلفية ـ القاهرة ١٣٨٠هـ.

– المتنبي: أبو الطيب أحمد، بن الحسين، ديوان المتنبي بشرح العكبري، ضبطه وصححه السقا والأبياري وشلبي، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٨م.

– المقريزي: أحمد بن علي، خطط المقريزي (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار)، طبعة مصورة عن طبعة دار الطباعة المصرية بالقاهرة ١٢٧٠هـ مكتبة المثنى ـ بغداد.

– السلوك لمعرفة دول الملوك: صححه وضبط حواشيه محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٧م.

– اليونيني: قطب الدين موسى بن محمد، ذيل مرآة الزمان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ١٩٦٠م.

– دائرة المعارف الإسلامية: إعداد وتحرير خورشيد والشنتناوي ويونس، القاهرة طبعة كتاب الشعب.



نظرات في كتاب

ما اتفق لفظه واختلف معناه

لابن الشجري أبي السعادات هبة الله بن علي (ت ٥٤٢هـ)

الدكتور محمّد أحمد الدّالي

الشريف أبو السعادات هبة الله بن علي العلويّ الحسني المعروف بابن الشجري(*) (ت ٥٤٢ هـ) من جِلَّة أئمة العربية في المئة السادسة. نُشر من آثاره «الأمالي»(١) و «الحماسة»(٢) و «مختارات شعراء العرب»(٣).

ورابع هذه الآثار «ما اتفق لفظه واختلف معناه»، وقد حظي بعناية الدكتور عطية رزق، وهو الجزء ٣٤ من النشرات الإسلامية التي يشرف عليها المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت، وطبع بدار المناهل ببيروت ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢م.

ولم ينته إلينا من هذا الكتاب إلا نسخة يتيمة محفوظة في مكتبة برلين برقم (٣١٤٢)، وعِدَّة أوراقها ١٤٩ ورقة، وقد سقط منها الكراسة السادسة التي فيها بقية باب الراء وباب الزاي وأول باب السين (مقدمة المحقق ز).

جمع ابن الشجري في كتابه ١٦٧٠ لفظ مما اتفق لفظه واختلف معناه، وهو أجلُّ ما انتهى إلينا في بابه(٤) وأوسعه. قال مؤلفه يبيِّن منهجه فيه (ص ١):

هذا كتاب جمعتُ فيه من الكلم العربية ما وجدته مبدّداً في الكتب

اللغوية مما اتفق لفظاً واختلف معنى، وأضفت إليه ذكر الشواهد عليه من الكتاب العزيز والشعر القديم وكلام الرسول عليه السلام وصحابته عمَّهم الله بالرضوان، وجعلته أبواباً كل باب منها في ضمن حرف من حروف المعجمة [كذا] ليتناول الكلمة طالبها من بابها».

بذل الدكتور المحقق جهداً عظيماً في قراءته في مخطوطته اليتيمة وفي التعليق عليه. فعارض مادة الكتاب ببعض المعجمات المطبوعة، وخرَّج ما عرف مصدره من أقوال اللغويين، وخرّج الآيات والأحاديث والأشعار، وصنع له الفهارس المفصلة. على أنها خلت من فهرس ما انفرد به الكتاب من مواد لغوية وفهرس المسائل النحوية اللذين ذكر المحقق في مقدمته (م) أنه صنعهما، وهما أعظم نفعاً للمعنيين باللغة والعربية من غيرهما، وهم إليهما في حاجة شديدة.

أمران تنبهت عليهما خلال قراءتي للكتاب:

أولهما: كثرة نقل ابن الشجري من «المجمل» لابن فارس وتعويله عليه في جمع مادة كتابه، سواء أصرَّح بنقله منه أو عن صاحبه أم لم يصرح. وسيأتي ذكر ذلك خلال المقالة (انظر ما يأتي برقم ١٤، ١٦، ١٩، ٢٢، ٢٣)

وثانيهما: نقل علم الدين السخاوي في كتابه «سفر السعادة وسفير الإفادة» من كتاب ابن الشجري. فقد صرَّح السخاوي بنقله عن ابن الشجري ولم يسمِّ الكتاب، قال في (سفر السعادة) (ص ٩١٨): «قال شيخ شيخنا أبو السعادات ...» هو أبو السعادات ابن الشجري شيخ أبي اليمن الكندي شيخ السخاوي، فنقل السخاوي كلام ابن الشجري في «عنقاء مغرب» من كتابه هذا ص ٢٥٩. وكنى عنه بـ «بعض علمائنا» في سفر السعادة (ص ١٠٠٧) ونقل كلامه في قول أبي تمام:

ليالينا بالرَّقْمَتين وأهلَها سقى العهدَ منك العهد والعهدُ

وكلام ابن الشجري في كتابه هذا ص ٢٤٧.

وعوَّل السخاوي في كثير مما ذكره مما اتفق لفظه واختلف معناه خلال تفسيره لقصيدته «ذات الحُلَل ومهَاة الكِلَل» (سفر السعادة ٨٧٨ - ١٠٧٩) على كتاب ابن الشجري هذا، انظر كلامه على الألفاظ الآتية:

اللفظ	سفر السعادة وسفير الإفادة	ماتفق لفظه واختلف معناه
الكنتي	٩١٥	٢٤٤
النصر	٩٢٨	٤٢٥ - ٤٢٦
العرارة	٩٣٤	٢٥٠
العقدة	٩٤٨	٢٥٣
الغار	٩٥٤	٣٠٧
الديك	٩٦٧	١٥٣

ووقفت خلال قراءتي في الكتاب في غير موضع من متن الكتاب ومن حواشي المحقق وعلَّقتُ على مواضع منهما. وهذا ذكر أمثلة منها تدل على ماوراءها.

١ - ص ٤س ٣ - ٧ «قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ على الكافِرِينَ تَؤُزُّهُم أَزًّا﴾ [سورة مريم ١٩:٣٨] قال ابن دريد: تزعجهم إزعاجاً. قال ابن فارس: تغويهم. وقال أبو إسحق الزجاج: تزعجهم حتى يركبوا المعاصي. وقال أبو عبد الرحمن اليزيدي: تغويهم وتهيجهم ...».

قال المحقق في التعليق عليه: «لم يذكر ابن دريد هذا التفسير في كتاب الجمهرة ولا في الاشتقاق المطبوعين، وربما كان ذلك في نسخة من

نسخهما المخطوطة، أو قد يكون المؤلف قد خلط بين قول ابن فارس وقول ابن دريد، إذ إن هذا التفسير الذي ينسبه إلى ابن دريد قد ذكره ابن فارس في المقاييس ١/١٣ (أز) نقلاً عن أهل التفسير كما يقول. ومع ذلك فقد نقل عن ابن دريد بيتاً للشاعر رؤبة شاهداً على ذلك. هذا وما نسبه المؤلف إلى ابن فارس .... في المجمل، راجع المجمل ١/٧٩ (أ). ثم إني لم أجد تفسيراً لهذه الآية في كتاب إعراب القرآن للزجاج. غير أن التهذيب ١٣/٢٨٠ (أز) قد أورد هذا التفسير رواية عن الفراء. قارن اللسان ٧/١٧١ (أز) وراجع معاني القرآن للفراء ٢/١٧٢حيث قال: تزعجهم إلى المعاصي وتغريهم بها» اهـ.

وفيما قاله المحقق في التعليق على مواضع من المتن أشياء:

أولها قوله «لم يذكر ابن دريد ... وربما كان ذلك في نسخة من نسخهما المخطوطة» وهو قول غريب فيه مجازفة. وذلك أن الجمهرة والاشتقاق لم يشتملا على كل كلام ابن دريد، فإن وجدنا له كلاماً هما مظنة له ولم يشتملا عليه جاز أن نظن أن المطبوع منهما غير تام. ومثل هذا لا يقال إلا بعد دراسة مخطوطات الكتابين. فإذا علمت أن الجمهرة طبعت عن نسخ عالية من رواية تلامذته، وهم أبو علي القالي، وأبو أسامة جنادة بن محمد الأزدي، وأبو سعيد السيرافي، وابن خالويه (انظر مقدمة تحقيق المجتنى 19 ـ 20) = صحّ عندك أن ذلك الظن ليس بشيء ولم يقم على معرفة بالكتاب. وأما الاشتقاق فليس بمظنة لتفسير ألفاظ القرآن.

والذي يمكن أن يقال هنا: لعل كلام ابن دريد في «غريب القرآن» له، ولم ينته إلينا (مقدمة تحقيق المجتنى 30).

وثانيها قوله: «أو يكون المؤلف قد خلط ... أهل التفسير كما

يقول». فلا يُقْدَمُ على توهيم المؤلف إلا بعد الوقوف على كتب ابن دريد. والذي يقال هنا: لم أجد ماذكره المؤلف فيما بين يدي من كتب ابن دريد.

وثالثها قوله «ومع ذلك نقل عن ابن دريد بيتاً للشاعر رؤبة». يريد مع ماذكره، ولا معنى له. ونقل ابن فارس بيتي رؤبة وهما بيتان من أرجوزة وكل مشطور منها بيت، وهما في الجمهرة ٥٦/١ (ط. دار العلم للملايين)

ورابعها قوله «ثم إني لم أجد تفسيراً لهذه الآية في كتاب إعراب القرآن للزجاج غير أن ...» إلى آخر كلامه. قلت: لم يقع كلام الزجاج في مطبوعة كتابه معاني القرآن و إعرابه. وقوله بعد ذلك:« غير أن التهذيب .... قد أورد هذا التفسير عن الفراء ...» غير دقيق، فما نقله ابن الشجري عن الزجاج ليس هو مما في تهذيب اللغة معزواً إلى الفراء، فالذي في التهذيب ٢٨٠/١٣: «قال الفراء: أي تزعجهم إلى المعاصي وتغريهم» وكذا في معاني القرآن للفراء ١٧٢/٢. وعبارة الزجاج: تزعجهم حتى يركبوا المعاصي.

وقول أبي عبد الرحمن اليزيدي في غريب القرآن له ١١٢.

٢ ـ ص ٧ آخر سطر «وجاء عن ابن عباس: أزلزلت الأَرْض أم بي أُرض. والأُرْض باطن حافر الدابة»

ضبط في الموضعين بضم الهمزة، والصواب «الأَرْض» بالفتح، انظر المعجمات (أرض)، وسفر السعادة ٩٦٦ وأغلب الظن أن السخاوي نقل عن ابن الشجري .

٣ ـ ص٨ س ١ ـ ٢ «وفي تكملة الإيضاح: الأرض: ما حول حوافر الدابة، قال:

ولم يقلِّبْ أرضَها البَيْطارُ ولا لحبليه بها حَبارُ»

وعبارة أبي علي في تكملة الإيضاح له ١٣٩ ـ ولم يحل عليه المحقق ـ: وكذلك أرض الدابة لما يلي حوافرها ، قال:

ولم يقلِّب أرضَها البيطارُ»

فأنشد هذا البيت وحده. ووقع في البيت الثاني سقط، وصوابه: «ولا لِحَبْلَيْه».

٤ ـ ص ١٣ س ٣ ـ ٦ «والأبا مقصور: وجع يأخذ المعزى والضأن عن شمّ أبوال الأروى، قال:

فقلت لكنّازٍ تَركَّلْ فإنَّها أباً لا إِخالُ الضَّأْنَ منه نَواجِيا

كذا وقع، والبيت لابن أحمر، والمؤلف إنما نقل من المجمل ٨٥، والذي فيه: توكَّلْ فإنه.

أما قوله فإنها فصوابه «فإنه»

وأما تركَّل فقد وقع «توكل» كما في المجمل، في الجمهرة ١٠٩٠ (ط. دار العلم للملايين)، والمبهج ٨٥، وديوان الفرزدق (قطعة مصورة طبعت بمجمع اللغة العربية بدمشق، ص ١١)، وأصل مقاييس اللغة ٤٦/١ (وجعله المحقق تركل)، والتقفية ٩٩، وأصلين من أصول الأفعال للسرقسطي ١٢٢/١، والاقتضاب ١٣٢، والتاج (أ ب و)، وليس بتصحيف كما زعم الأستاذ عبد السلام هارون فيما علقه على المقاييس

ووقع «تدكل» بالدال في الهمز لأبي زيد ٢٩، وتهذيب اللغة ١١٩/١٠ و ٦٠٤/١٥، والأفعال للسرقسطي ١٢٢/١ عن بعض أصوله، واللسان (أ ب و ، د ك ل). وقال الأزهري في التهذيب ١١٩/١٠ عقب إنشاده إياه شاهداً على تدكل: إذا تدلَّل وانبسط: «ويروى توكل، ومعناهما واحد»، ووقع في مطبوعة اللسان (د ك ل) عن هذا الموضع من التهذيب

«ويروى تركل» بالراء؟

وغيَّره جامع شعر ابن أحمر، فجعله «توقل» غير معتمد على مصدر رواه كذاك، ولم ينبه على تغييره!!

وروي في الفصول والغايات ١٧١ «تبيّن». وروي في العين ٤١٨/٨ «تحمَّل».

ولا معنى لـ «تركل» بالراء، قال ابن فارس في المقاييس ٤٣٠/٢: «الراء والكاف واللام أصل يدل على جنس من الضرب بالرِّجْل». وأما التوكّل فقد قال فيه ١٣٦/٦: «الواو والكاف واللام أصل صحيح يدل على اعتماد غيرك في أمرك .... والتوكل منه، وهو إظهار العجز في الأمر والاعتماد على غيرك». وأما «تدكل» فقد قال فيه ٢٩١/٢، «الدال والكاف واللام أُصَيْل يدل على تعظُّم، يقال: تدكّل الرجل: إذا تعظم في نفسه».

٥ ـ ص ١٣ س ٧ «الأُروى: جمع الأُروية، وهي أنثى الوعل وهو تيس الجبل» علق المحقق عليه بقوله في الحاشية(٣): لم يذكر المؤلف سوى معنى واحد لهذا اللفظ [أي الأروى] وكان المنتظر أن يأتي بمعان أخرى له حتى يتفق وعنوان الكتاب. فهل سقط شيء من الناسخ؟.

قلت: لا، لم يسقط شيء! وإنما لم يذكر المؤلف سوى معنى واحد للأُروى لأنه ليس من هذا الباب [ما اتفق لفظه واختلف معناه]، وأخطأ المحقق فجعله من هذا الباب ورقمه برقم ٢٨ من أرقام مواد الكتاب. وابن الشجري إنما فسّر لفظ «الأُروى» المذكور في الكلام الذي نقله عن المجمل من غير تصريح «عن شمّ أبوال الأروى» انظر التعليق الذي قبل هذا.

وضبط الأُروى والأُروية بضم الهمزة، والصواب «الأَرْوَى» بالفتح، «والأُرْوِيَّة» بضم الهمزة وكسرها، انظر الصحاح (روي) وغيره.

٦ ـ ص ١٤ س ١١ ـ ص ١٥ س ٧ «قال ابن دريد: أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة، قال: لما فرغ أمير المؤمنين علي عليه السلام من حرب الجمل فرّق في رجال ممن أبلى خمس مئة درهم. وكان فيمن أخذ رجل من بني تميم. فلما خرج إلى صِفين خرج ذلك الرجل معه، فرجع إلى الكوفة وقد عضّته الحرب، فقالت له ابنته: أين خمس المئة؟ فقال:

إِنَّ أَبَاكِ فَرَّ يَوْمَ صِفِّيْنْ » الثمانية الأبيات

قال المحقق في التعليق على قول المؤلف «قال ابن دريد» : لم ترد هذه القصة لا في الجمهرة ولا في الاشتقاق لابن دريد». قلت: بل هي في الاشتقاق ص ١٣٦، وانظر سفر السعادة ٣٩ وتخريج الخبر ثمة. وروى ابن الشجري هذا الخبر في أماليه ٢٦٥/٢. ونسبت الأبيات إلى زيد بن عتاهية التميمي في اللسان وعنه في التاج (ح ر ر).

٧ ـ ص ١٥ س ٥ قول الراجز التميمي المذكور

وحاتماً يستنّ في الطائينْ

هذا خطأ مخلّ بالوزن وصوابه «الطائيّينْ». وقوله «حاتماً» كذا وقع أيضاً في أماليه، وسفر السعادة ٣٩، والذي في مطبوعة الاشتقاق «وحاجباً». وأخشى أن يكونا محرّفين، والصواب «وحابساً» كما في اللسان والتاج. وهو حابس بن سعد الطائي، كان على الرجّالة من الميسرة من اللواء في جيش معاوية، انظر شرح نهج البلاغة ٣٠٢/٣ (وفيه حابس بن سعيد)، وانظر ترجمته ومصادرها في تهذيب الكمال ١٨٣/٥ برقم ٩٩٠

٨ ـ ص ١٥ س ٧ قول الراجز التميمي المذكور:

لا خَمْسَ إلا جَنْدَلُ الإِحَرِّينْ

علق المحقق بقوله «لم يرد في معجم البلدان جندل الإحرين اسماً

لموضع ما».

قلت: أنَّى له أن يظن أن جندل الإحرين اسم مكان؟! وليس هو من أسماء الأمكنة فيورده ياقوت أو غيره ممن صنف في هذا الباب.

والجندل: الحجارة، والإحرين: جمع حرة، يريد: ليس لك اليوم إلا الحجارة والخيبة، عن النهاية في غريب الحديث والأثر ١/٣٦٥.

٩ - ص ١٥ س ٧ قول الراجز التميمي المذكور.

والخَمْسُ قَدْ أَجْشَمَتْكَ الأُمَرَّيْنْ

كذا ضبطه، وهو خطأ يخل بالوزن، والأبيات من مشطور السريع، وعروضه موقوفة مخبونة « مَعُولانْ» فنقلت إلى «فَعُولانْ». وصوابه: «أجْشَمَنْكِ» وكذا كان في أصل أمالي ابن الشجري [٢/٢٦٥] فغيَّره المحقق المدقق الدكتور محمود الطناحي، فجعله « جَشَّمَنْكِ » أثبته من اللسان (ح ر ر) [وفي اللسان روايتان أخريان: تُجَشِّمُكِ، يُجشِمنَكِ] وقال في التعليق عليه: «في الأصل أجشمنك، ولا يستقيم به الوزن» وهذا سهوٌ غريب منه على علمه وفضله، وأجشمنكِ وجشَّمنكِ سواء في الوزن والمعنى والرواية.

ووقع في كتاب الشعر (أو شرح الأبيات المشكلة الإعراب لأبي علي) ١٤٠ (بتحقيق الدكتور الطناحي) «يُجَشِّمُكِ» وهو خطأ مخل بالوزن، وضبطه الدكتور حسن هنداوي على الصواب(شرح الأبيات المشكلة الإعراب المسمى إيضاح الشعر ١٥٩) «يُجْشِمُكِ». وهو صواب على رواية ضبط أصلي كتاب أبي علي «الخِمْس» بكسر الخاء، وكذا ضبط في أصلي كتابه «لاخِمْسَ إلا..»، فقال الدكتور الطناحي في التعليق عليه، «وهو صحيح، مِن ورد الماء خِمْساً، ويضبط بفتح الخاء، قال الخطابي [غريب

الحديث له ٢٠٣/٢ والإحالة عليه من الدكتور الطناحي]: «والخَمْس بفتح الخاء أليقُ بمعنى الحديث، يعني الخمس المئات التي أخذوها يوم الجمل» اهـ ونقل ابن الأثير في النهاية ٣٦٥/١ كلام الخطابي بتصرف.

قلت: الصواب «لاخَمْسَ... والخَمْسُ» بفتح الخاء قولاً واحداً. وكسر الخاء خطأ ممن رواه أو ضبطه، وما لجندل الإحرّين والخِمْس بالكسر؟! وإنما أخطأ من أخطأ لأنه لم يعرف الخبر أو لم يحضره، أو لأنه لم يتأمل المعنى ولم يتنبه على أن الكلام مع كسر الخاء لامعنى له.

وضبطه الأستاذ عبد السلام هارون ـ رحمه الله ـ في وقعة صفين ١٦٩ «يجشّمك» مع ضبطه «والخَمْس» بالفتح، وهو خطأ مخل بالوزن وصوابه «تُجْشِمُكِ».

١٠ ـ ص ٦٠ س ١٠ ـ ١١ «وقرأ بعض أصحاب الشواذ ﴿إنَّ الباقِرَ تَشابَهُ علينا﴾ [سورة البقرة ٢: ٧٠] بضم الهاء لأنه أراد تتشابه.

لم يعلق المحقق على القراءة. وقراءة الجمهور ﴿إنَّ البَقَرَ تَشَابَهَ علينا﴾. والقراءة التي ذكرها المؤلف ـ وهي «الباقر» و «تشابَهُ» بالتاء وبالشين المخففة وبضم الهاء ـ لم أجدها. والذي وجدته ﴿إن الباقر يَشَّابَهُ﴾ بالياء وتشديد الشين وضم الهاء، وهي قراءة عزيت إلى محمد ذي الشامة في مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه ٧، والكشاف ٢٨٨/١، وعزيت إلى يحيى بن يعمر في إعراب القرآن للنحاس ٢٣٦/١ وعزا أبو حيان في البحر ٢٥٣/١ قراءة (الباقر) إلى عكرمة ويحيى، وعزا قراءة (تَشَابَهُ) بالتاء وبالشين المخففة وبضم الهاء إلى الحسن، وروي عنه (تَشَّابَهُ) بتشديد الشين، وهي قراءة الأعرج، وعزا قراءة (يَشَّابَهُ) بالياء وتشديد الشين وضم الهاء إلى ابن مسعود، وذكر أن محمداً المعيطي المعروف بذي الشامة قرأ (تَشَبَّهُ).

١١ - ص ٦٣ س ١١ - ١٢ «قال الزجاج: وقرأ بعضهم ﴿وطور سيناء﴾ [سورة التين ٩٥: ٢]

لم يعلق المحقق على القراءة. وقول الزجاج في معاني القرآن وإعرابه له ٣٤٣/٥، ولم ينص على ضبط السين. وقال أبو حيان في البحر ٤٨٩/٨ - ٤٩٠: «وقرأ الجمهور ﴿سِينينَ﴾ ... وقرأ عمر بن الخطاب وعبد الله وطلحة والحسن سِيناءَ، بكسر السين والمد، وعمر أيضاً وزيد بن علي بفتحها والمد ...».

١٢ - ص ٩٦ آخر سطر قول الشاعر

غَذَتْهُ بَيْنَ أنهار ونَخْلٍ وزرع بينها وأُصول جَفْنِ

كذا وقع، وهو تصحيف صوابه: غَذِيَّةُ بينِ أنهار ..» كما في سفر السعادة ١٠٢٣. والبيت للنمر بن تولب، وقد خرّجه المحقق، وانظر تخريجه في سفر السعادة. ورواية شعر النمر «سَقِيَّةُ بينِ» وهي الرواية في سائر المصادر وانظر شعر النمر (شعراء إسلاميون ٣٩٠). وغذيةٌ وسقية فَعيلة بمعنى مفعولة. وضبط في بعض المصادر سُقية بضم السين؟ ولا أعرف وجهه. وأجاز البكري في السمط ٤١٥ الرفع والنصب في «سقية»، والناصب لها قوله «تريك» في بيت قبله، وهو:

أَلَم تَرَها تريكَ غداة قامت بملء العين من كرم وحُسْنِ
سَقِيَّةَ ....البيت

١٣ - ص ٩٧ س ١٢ «وكان أبو عبيدة يقول: جمرات العرب ثلاث: بنو ضبّة بن أُدّ، وبنو نمير بن عامر، وبنو الحارث بن كعب ....» إلى آخر كلامه.

لم يعلق المحقق على قول أبي عبيدة في جمرات العرب. وقوله في

الديباج لـه ٧٧، والنقائض له ٩٤٦، والكامل ٧٧٨، والفصوص ٣/٢٨٥، وسفر السعادة ١٠٢٤، والمصادر المذكورة في الكامل.

١٤ - ص ١١٨ آخر سطر - ١١٩ س ٥ «الحوفزان: بقلة. والحوفزان: لقب رجل وهو الحارث بن شريك بن مطر من بني ذهل بن شيبان بن ثعلبة، ولقّب بذلك لأنه حفزه بالرمح قيس بن عاصم المنقري يوم جَدُود. والحفز: الطعن هذا قول المحققين من أهل الأخبار. وزعم أبو الحسين بن فارس أن الذي طعنه بسطام بن قيس. وقد سبقه إلى هذه الغلطة ابن قتيبة في أدب الكاتب [كذا]».

وقال المحقق في التعليق عليه: قارن المجمل ١/٢٢٤ [كذا] (حفز). أما في المقاييس ٢/٨٥ (حفز) فقد ذكر الحوفزان ولم يستكمل القصة، وقال محقق الكتاب في الحاشية: كذا ولعل في الكلام نقصاً، ثم أكمله من المجمل .... **وهكذا نرى أن ابن الشجري كان يملك نسخة كاملة من كتاب المقاييس** ليس بها تلك الثغرات التي نراها في النسخة المطبوعة .... إلى آخر كلامه.

قلت: هذا كلام غريب من كل وجه. فالمؤلف لم يصرح بنقله من كتاب مقاييس اللغة، ولم يذكر المقاييس في كتابه هذا؛ فأنّى للمحقق أن يدعي أنه نقل من المقاييس وأن لديه نسخة تامة منه نقل منها ما نقل ؟! والمؤلف إنما نقل عبارة ابن فارس في المجمل ٢٤٤ (ح ف ز)، ولفظه: «وسمي الحوفزان لأن بسطام بن قيس حفزه بالرمح.... والحوفزان بقلة». «أما نص المقاييس ففيه سقط ظاهر كما قال محققه رحمه الله.

هذا، ولم يسمِّ ابن الشجري كتاب ابن فارس الذي نقل منه كلامه مصرحاً بنقله عنه في ٦٥ موضعاً (انظر فهرس الأعلام فيه ص ٥٩٤) إلا في

موضع واحد [ص ٤٧٨] في المادة ذات الرقم ١٥٩٩ منه (الهَجْر) قال في آخرها: «كل هذا في **مجمل ابن فارس**». على أن كثيراً من مواد الكتاب أو غير قليل منها نقله ابن الشجري من المجمل وإن لم يصرح بذلك. ولو تتبع المحقق ذلك، أو تولاه من يعنى به.

وقال المحقق في آخر كلامه: هذا ويلاحظ أن المؤلف يسمي كتاب ابن قتيبة أدب الكتاب، والمعروف أن اسمه أدب الكاتب».

وفيما قاله شيئان:

أولهما أن المثبت في متن الكتاب هنا أدب الكاتب، فصوابه «أدب الكتّاب» وكذا سماه المؤلف فيما يأتي من كتابه ص ٣٢٠.

وثانيهما أن قوله «والمعروف أن اسمه أدب الكاتب» قول مرسل. فالمشهور في اسم كتاب ابن قتيبة فيما وقفنا عليه من كتب التراجم وماإليها في ذكره أو ذكر شروحه «أدب الكاتب» واسمه عند ابن الشجري في هذا الكتاب ١١٩، ٣٢٠ «أدب الكتّاب» وهذا اسمه عند ابن خلدون في مقدمته ٥٥٣، وعند ابن السيد البطليوسي في شرحه المترجم بـ «الاقتضاب في شرح أدب الكتاب». ولا سبيل إلى القطع بأحدهما أن ابن قتيبة اختاره اسماً لكتابه (انظر مقدمة تحقيق أدب الكاتب ص ٩ ـ ١٠ م)

وما قاله ابن قتيبة أنّ حافز الحوفزان بسطام بن قيس = تابعه عليه ابن فارس في المجمل ٢٤٤، وأبو بكر الزبيدي في الاستدراك على سيبويه ص ١١٣ (بتحقيق د. حنا حداد)، وتابع أبا بكر الزبيدي علم الدين السخاوي في سفر السعادة ٢٤٠. والذي عليه المحققون ما قاله ابن الشجري أن حافزه قيس بن عاصم المنقري، انظر النقائض ١/٤٧، ١٤٦، ٣٢٨، والاشتقاق ٣٥٨، والاقتضاب ١٢٣، والأغاني ١٤/٨٠، وأمالي المرتضى ١/١١٣،

والمعجمات (ح ف ز).

١٥ ـ ص ١٢٣ س ٤ـ ٥ «قال ابن دريد: وكانت سادات العرب يصبغون العمائم بالزعفران. قال: وقد يريدون بالسِّبّ الشُّقَّة من الثياب ....».

قال المحقق: لم أجد هذا في الجمهرة والاشتقاق. قلت: بل هو في الجمهرة ١ / ٣١ (ط حيدر آباد) و ١/ ٧٠ (ط. دار العلم للملايين)، وفيما نقله ابن الشجري عنه تصرف يسير

١٦ ـ ص ١٤٤ س ١ ـ ٢ «وقال ابن فارس: الخِلَل جفون السيوف، قال: والخِلل أيضاً سيور تُلْبَس ظُهُورَ سِيَتَي القوس»

أحال المحقق في تعليقه على المقاييس ٢/٥٦ (خل).

وابن الشجري إنما نقل كلام ابن فارس من المجمل ٢٧٦، وهو لفظه فيه (كما في النسخ ص ج ط منه)، وأثبته محققه عن الأصل: «... السيور تلبس ظهور القسيّ على سِيَتِها» وكان فيه سيئها بالهمز، والوجه سِيَةٌ بغير همز، وفي اللسان (س ي ي): وكان رؤبة بن العجاج يهمز سئة القوس وسائر العرب لا يهمزونها ...».

أما المقاييس فعبارة ابن فارس فيه ٢/ ١٥٦: «والخِلة، جفن السيف والجمع خِلل، فأما الخِلل وهي السيور التي تلبس ظهور السيتين ..». ولفظ ابن فارس في المجمل ـ وهو ما حكاه ابن الشجري ـ غير لفظه في المقاييس

١٧ ـ ص ١٤٥ س ٤ ـ ٦ « وقال: الخال: الفحل الأسود من الإبل. والخال: الجبل الأسود. قال: حكاهما ابن الأعرابي»

قلت: وقع في مراتب النحويين ٦٦ وعنه في سفر السعادة ٨٩٤: الحبل الأسود، ولم أجد الخال الحبل الأسود ولا الجبل الأسود في التاج ولا

غيره من المعجمات. وحكي عن ابن الأعرابي أن الخال الجبل، انظر سفر السعادة ٨٨٦.

١٨ ـ ص ١٤٥ س ٧ «والخال جبل تلقاء الدَّثِنِيَّة»

كذا وقع، وصوابه: الدَّثِينَة» بفتح الدال وكسر الثاء المثلثة وياء مثناة تحتية، انظر معجم البلدان (الخال) ٢/٣٣٩، و (الدثينة) ٢/٤٤٠.

١٩ ـ ص ١٥٣ س ١ «والدِّيك طرف لسان الفرس، حكاه أبو عبيدة»

قال المحقق في التعليق عليه: لم أجد هذا المعنى للفظ في معاجم اللغة....

قلت : ما ذكره ابن الشجري نقله من المجمل ٣٤١ بلفظ صاحبه من غير تصريح بنقله منه. وعن ابن الشجري أخذه السخاوي في سفر السعادة ٩٦٧ من غير تصبريح بنقله عنه.

٢٠ ـ ص ١٦٧ س ٣ ـ ٧ «وقال أبو إسحق الزجاج: الساهرة وجه الأرض. وقال أبو عبد الرحمن اليزيدي في تفسير غريب القرآن كما قال أبو عبيدة: الساهرة الفلاة ووجه الأرض.» ... وقال ابن دريد: الساهرة الأرض البيضاء ...»

قلت: قول الزجاج في معاني القرآن وإعرابه له ٥/٢٧٩، وكلام اليزيدي في غريب القرآن وتفسيره له ١٩٧ وهو لفظ أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢/٢٨٥. وقول ابن دريد في الجمهرة ٢/٣٣٩ (ط. حيدر آباد) ٢/٧٢٣ ـ ٧٢٤ (ط. دار العلم للملايين) قال ابن دريد: «هكذا فسر أبو عبيدة في التنزيل». وعبارة أبي عبيدة في مجاز القرآن «الفلاة ووجه الأرض» كما ذكر ابن الشجري.

٢١ ـ ص ٢٠٨ س ١ ـ ٤ «الصوفة ..... وصُوفَةُ قوم كانوا في

الجاهلية ... قال أصحاب النسب: هم قبيلة. وقال أبو عبيدة: هم من أفناء قبائل فتشبكوا كما تشبَّكُ الصوفة»

قال المحقق في التعليق على قول أبي عبيدة: نقل المؤلف هذا القول عن ابن فارس، قارن بالمقاييس ٣٢٢/٣ (صوف).

قلت: بل نقل كلامه كله في هذه المادة من الجمهرة لابن دريد ٨٣/٣ (ط. حيدر آباد) ٨٩٣/٢ (ط. دار العلم للملايين). ونقل كلام ابن دريد ابن فارس في المجمل ٥٤٥ ـ ٥٤٦، والمقاييس ٣٢٢/٣ لكنه لم ينقل قول ابن دريد «قال أصحاب النسب هم قبيلة» الذي نقله ابن الشجري عنه.

٢٢ ـ ص ٢١١ آخر سطر «والصَّرْف: تزيين الكلام بالزيادة فيه في قول أبي عبيد القاسم بن سلاّم»

نقل السخاوي في سفر السعادة ١٠٠٤ ما ذكره ابن الشجري ولم يصرح بنقله منه. وفي الصحاح (ص ر ف) والمجمل ٥٥٤ (ص ر ف): «قال أبو عبيد: صرف الحديث [في نسخ من المجمل: الكلام]: تزيينه بالزيادة فيه». ولفظ أبي عبيد في غريب الحديث له ٣٥٢/٤ « .. قوله صرف الحديث يعني أن يزيد فيه ويحسّنه»

وقال المحقق في التعليق على قول أبي عبيد: «في المقاييس ٣٤٣/٣ (صرف) وإن لم يكن في كتاب الأجناس لأبي عبيد»

قلت : الذي في مطبوعة المقاييس «تزيين الكلام والزيادة فيه» وقد ذكرنا أن المؤلف لا ينقل عن المقاييس، وإنما يأخذ من المجمل.

٢٣ ـ ص ٢٢٥ س١١ ـ ١٢ «والضرير: الصبر على الشر، يقال ... والضرير النفس. كل هذا في كتاب ابن فارس»

قوله على الشر كذا وقع وهو تحريف صوابه «على الشيء» كما في

في المجمل ٥٦٢، والمقاييس ٣٦١/٣، والصحاح (ض ر ر)

وعلق المحقق هنا بقوله: انظر المقاييس ٣٦١/٣ غير أن ابن فارس قال: إن الضرير قوة النفس ولم يقل «لا النفس» [كذا] كما قال المؤلف هنا. ثم إننا نلاحظ أن المؤلف يقول: ... في كتاب ابن فارس ... فهل يعني بذلك المقاييس دون غيره؟

قلت: بل يريد المجمل وفيه «والضرير: النفس» كما نقل المؤلف عنه. وقد ذكرنا أن ابن الشجري عوَّل على مجمل ابن فارس كثيراً (انظر ماسلف برقم ١٤). ولم يتنبه المحقق على هذا، فكان يحيل على كلام ابن فارس في المقاييس، وابن الشجري إنما نقل عن المجمل، واللفظ الذي حكاه هو لفظ ابن فارس في المجمل. من أمثلة ذلك المواد الآتية التي نقلها أو نقل بعض ما أورده فيها من المجمل

المادة ورقمها	موضعها في الكتاب	موضعها في المجمل
٤٦٣ الذّمام	١٥٨	٣٥٤
٤٨٠ الرس	١٦٢	٣٦٦
٥٢١ السرّ	١٧٦	٢٦٠
٥٢٨ السحر	١٧٧	٤٨٨
٦٤١ الصرف	٢١١	٥٥٤
٦٤٦ الصلا	٢١٣	٥٣٨
٧٣٦ الظلم	٢٣٩	٦٠٢
٧٥٨ العلجوم	٢٤٥	٦٧٧
١٠٣٥ الفداء	٣٢٠	٧١٤

٢٤ ـ ص ٢٤١ س ٥ «العِرِفّان: الكَرَى ...»

قال المحقق في التعليق عليه: لم أجد هذا في المعاجم اللغوية.

قلت: قوله «العرفان الكرى» كذا وقع، وأخشى أن يكون وهماً من ابن الشجري. وقد اختلف في قول الراعي [ديوانه ١٨٦، وسفر السعادة

٣٦٦ وتخريجه ثمة]:

كفاني العِرِفَّانُ الكَرَى وكفيتُه   كِلاءَ الفلاة والنعاسُ معانِقُهْ

فقيل: هو الدليل الحاذق، وقيل هو اسم إنسان. ويروى: عرفان وكُلُوء، انظر السيرافي النحوي ٦٣٩.

٢٥ ـ ص ٢٤٧ س ٥ «جزاك الله والرحمُ خيراً أي وحِفْظُكَ الرحم»

كذا ضبطه، وصوابه «وحَفِظَكَ» وهو فعل ماض، وانظر سفر السعادة ١٠٠٨ وعن المؤلف نقل السخاوي وكنى عنه بـ «بعض علمائنا» ص ١٠٠٧

٢٦ ـ ص ٢٥٨ س ٥ من الأسفل قول الشاعر:

فلولا سليمان الخليفة حلَّقت   به من يد الحجاج عنقاءُ مغربُ

كذا أنشده ابن الشجري «مغربُ» بالرفع، وعنه نقل السخاوي في سفر السعادة ٩١٨ مصرحاً بنقله عنه ولم يسم الكتاب الذي ينقل منه. والبيت للفرزدق في ديوانه ١/١٩، وروايته فيه:

بهم من يد الحجاج أظفارُ مُغْرِبِ

وانظر تخريج المحقق له، وسفر السعادة

٢٧ـ ص ٢٨٥ س ٤ «والعِقْد من الرمل ما تراكم»

كذا أورده المؤلف بكسر العين وسكون القاف، ومنه نقل السخاوي في سفر السعادة ١٠١٧ من غير تصريح بنقله عنه. والذي نصوا عليه أنه العَقِد ككَتِف وجَبَل، انظر التاج (ع ق د).

٢٨ ـ ص ٢٨٥ س ٥ «العَقْص: إمساك اليد عن البذل بُخْلاً»

كذا أورده المؤلف بإسكان القاف، وعنه نقل السخاوي في سفر

السعادة ١٠١٨ من غير تصريح. وقد نصوا أنه العَقَص بالتحريك، عَقِص كفرح عَقَصاً، انظر التاج (ع ق ص).

٢٩ ـ ص ٢٨٧ س ١ «والعاتي الليل الشديد الظلمة»

قال المحقق: لم أجد هذا اللفظ في معاجم اللغة.

قلت: ماذكره المؤلف نقله عنه السخاوي في سفر السعادة ١٠٢٠ من غير تصريح. وقد ذكره الزمخشري في أساس البلاغة (ع ت و)، قال: ومن الاستعارة: الليل العاتي: الشديد الظلمة».

٣٠ ـ ص ٣٠٣ س ٣ من الأسفل: «الغيابة كالغبرة والظلمة تغشى. وقال ابن فارس: الغيابة ظل شعاع الشمس بالغداة والعشي، وظل الظُّلَم»

قال المحقق في التعليق عليه: لم يرد هذا في المقاييس ولا الصاحبي. كما لم يرد في سائر المعاجم.

قلت: لم يجده لأنه قد صحَّفه، وصوابه «الغَيَاية» بالياء المثناة التحتية. وقد ورد في المجمل ٦٨٧ ومنه نقل المؤلف، وهو في الصحاح واللسان (غ ي ي) وغيرهما.

٣١ ـ ص ٣٠٨ س ٣ «الغار: النساء»

لم يعلق عليه المحقق، ولم يرد هذا في المعجمات. ووقع في سفر السعادة ٩٥٤ ـ وعن المؤلف نقل من غير تصريح ـ : الغار: الفساد، ولم يرد في المعجمات.

٣٢ ـ ص ٤٨٢ آخرسطر «الهيرذان نبت والهيرذان اللص» قال المحقق في التعليق عليه: لم يرد هذا اللفظ في المعاجم

قلت: لم يجده لأنه صحّفه، وصوابه «الهَيْرُدَان» بالدال المهملة، انظر سفر السعادة ٤٨٧، والمحكم ٤/ ١٨٢، واللسان (هـ ر د).

هذا ما رأيتُ ذِكْرَه مما وقفتُ فيه خلال قراءتي في الكتاب، وعسى أن أكون قد أصبتُ في بعض ماقلت.

وبعد، فالفضل للدكتور المحقق في الكشف عن هذا الأثر النفيس، وتحقيقه التحقيق العلمي الجيِّد، وتعليقه عليه التعليقات النافعة المبينة عن الجهد العظيم المبذول فيه، وإخراجه في أبهى حلة.

وأعوذ بالله من التكلُّف لما لا أُحسن كما أعوذ به من العُجْب بما أحسن، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الثلاثاء ٦ ربيع الأول ١٤١٩ هـ

٣٠ حزيران ١٩٩٨م



الحواشي

(*) ترجمة في نزهة الألباء ٤٠٤ - ٤٠٦، ومعجم الأدباء ٦/ ٢٧٧٥ برقم ١٢٠٣، وسير أعلام النبلاء ٢٠/١٩٤، والمصادر التي ذكرها المحققون.

وانظر المقدمة الضافية التي كتبها الدكتور محمود الطناحي لتحقيقه «الأمالي» التحقيق العلمي المتقن الذي ينبغي له، أَعْظِم بما بذله من جهد طيب وبتحقيقاته النفيسة.

(١) حقّق آخر طبعاتها وهي طبعتها التامة تحقيقاً أيَّ تحقيق الدكتور محمود الطناحي، وطبعت في مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٩٢.

(٢) آخر طبعاته حققها تحقيقاً جيداً الأُستاذ عبد المعين الملوحي والأُستاذة أسماء الحمصي، وطبعت في وزارة الثقافة بدمشق ١٩٧٠.

(٣) آخر طبعاته حققها تحقيقاً جيداً الدكتور نعمان محمد أمين طه، وصدر في مطبوعات الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بالرياض، وطبع بدار التوفيقية بالأزهر ١٩٧٩.

(٤) مما انتهى إلينا من آثار في هذا الباب:

- ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه، للأصمعي، طبع بتحقيق ماجد الذهبي، دار الفكر بدمشق ١٩٨٦.

- الأجناس من كلام العرب وما اشتبه في اللفظ واختلف في المعنى، لأبي عبيد، حققه امتياز علي، وطبع في بمباي ١٣٥٦ هـ/ ١٩٣٨م

- ما اتفق لفظه واختلف معناه، لأبي العميثل، حقق آخر طبعة له الدكتور محمد شاكر سعيد، نادي جازان الأدبي، السعودية ١٩٩١.

- ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد، للمبرد، حققه العلامة عبد العزيز الميمني رحمه الله، القاهرة ١٣٥٠ هـ، وعن هذه الطبعة طبع بعناية الدكتور محمد رضوان الداية، دار البشائر بدمشق ١٩٩٢.

(*) وذكر القزاز القيرواني في كتابه «العشرات» (تحقيق الدكتور يحيى جبر، دار عمار بعمّان ١٩٨٤) ٩٩ لفظاً مما اتفق لفظه واختلف معناه مرتبة على الحروف، وعقد ابن بنين الدقيقي في كتبه «اتفاق المباني وافتراق المعاني» (تحقيق الدكتور يحيى جبر، دار عمار بعمّان ١٩٨٥) الباب الثاني منه لما اتفق لفظه واختلف معناه ذكر فيه ٦٠ لفظاً من هذا الباب.

ومما لم ينته إلينا فيما نعلم كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه، لابن اليزيدي أبي إسحق إبراهيم بن يحيى، وهو فيما ذكر نحو من ٧٠٠ ورقة (الفهرست ٥٦، وإنباه الرواة ١/ ١٩٠ -

١٩١، ووفيات الأعيان ٦/١٩٠) = وكتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه، للأحول أبي العباس محمد بن الحسن بن دينار (الفهرست ٨٧،، وإنباه الرواة ٣/٩٢).

ونظم غير ما شاعر وعالم باللغة معاني بعض الألفاظ المتفقة في اللفظ المختلفة في المعنى، انظر مقالة لكاتب هذه السطور (قواف اتفق لفظها واختلف معناها) ـ مجلة جامعة دمشق، المجلد ٦، العدد ٢٢، ١٩٩٠)



المصادر

أدب الكاتب، لابن قتيبة، تحقيق د. محمد الدالي، مؤسسة الرسالة ببيروت، ط ٣ / ١٩٩٦.

الاشتقاق، لابن دريد، تحقيق عبد السلام هارون، مؤسسة الخانجي بمصر ١٩٥٨.

إعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس، تحقيق د. زهير غازي زاهد، ط ٣، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية ببيروت ١٩٨٨.

الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، مؤسسة جمال للطباعة ببيروت.

الأفعال، لأبي عثمان المعافري السرقسطي، تحقيق الدكتور حسين محمد محمد شرف، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٧٥.

الاقتضاب، لابن السيد البطليوسي، طبعة مصورة، دار الجيل ببيروت ١٩٧٣

أمالي ابن الشجري، تحقيق د. محمود الطناحي، مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٩٢.

أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية بمصر ١٩٥٤.

البحر المحيط (تفسير البحر المحيط)، لأبي حيان، طبعة مصورة، دار الفكر ببيروت ١٩٧٨ .

تاج العروس من جواهر القاموس، للمرتضى الزبيدي، المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٦ هـ.

التقفية في اللغة، للبندنيجي، تحقيق د. خليل العطية، بغداد ١٩٧٦.

تكملة الإيضاح، لأبي علي الفارسي، تحقيق د. حسن شاذلي فرهود، جامعة الرياض ١٩٨١

تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، تحقيق د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة ببيروت ١٩٨٠ - ١٩٩٢

تهذيب اللغة، للأزهري، تحقيق جماعة من المحققين، القاهرة ١٩٦٦.

جمهرة اللغة، لابن دريد، حيدر آباد ١٣٤٤ هـ

وتحقيق د. رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين ببيروت ١٩٨٧.

الديباج، لأبي عبيدة، تحقيق د. عبد الرحمن العثيمين و د. عبد الله الجربوع، مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٩١

ديوان الراعي النميري، تحقيق راينهرت فايرت، منشورات المعهد الألماني ببيروت ١٩٨٠

ديوان (شعر) عمرو بن أحمر الباهلي، تحقيق د. حسين عطوان، مجمع اللغة العربية بدمشق.

دوان الفرزدق، تحقيق عبد الله الصاوي، القاهرة ١٩٣٦ .

ديوان الفرزدق، تحقيق عبد الله الصاوي، القاهرة ١٩٣٦.

ديوان (شعر) النمر بن تولب = شعراء إسلاميون

سفر السعادة وسفير الإفادة، لعلم الدين السخاوي، تحقيق د. محمد أحمد الدالي، دار صادر ببيروت ١٩٩٥.

سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق جماعة بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ببيروت ١٩٨١.

السيرافي النحوي، في ضوء شرحه لكتاب سيبويه، دراسة وتحقيق د. عبد المنعم فائز، دار الفكر بدمشق ١٩٨٣.

شرح الأبيات المشكلة الإعراب المسمى إيضاح الشعر، لأبي علي الفارسي، تحقيق د. حسن هنداوي، دار القلم بدمشق ودار العلوم والثقافة ببيروت ١٩٨٧.

شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية بمصر، ط ٢، ١٩٦٥.

شعراء إسلاميون، للدكتور نوري حمودي القيسي، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، ط ٢، بيروت ١٩٨٤.

العين، للخليل، تحقيق د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

غريب القرآن وتفسيره، لليزيدي، تحقيق د. عبد الرزاق حسين، مؤسسة الرسالة ببيروت ١٩٨٧.

الفصوص، لصاعد بن الحسن الربعي البغدادي، تحقيق د. عبد الوهاب التازي سعود،

المغرب ١٩٩٣ - ١٩٩٦

الفصول والغايات، للمعري، تحقيق حسن زناتي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٧.

الكامل، للمبرد، تحقيق د. محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة ببيروت، ط ٢، ١٩٩٣.

كتاب الشعر (أو شرح الأبيات المشكلة الإعراب)، لأبي علي الفارسي، تحقيق د. محمود الطناحي، مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٨٨.

الكشاف، للزمخشري، مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٩٦٨.

لسان العرب، لابن منظور، دار صادر ببيروت

المبهج، لابن جني، تحقيق د. حسن هنداوي، دار القلم بدمشق، ودار المنارة ببيروت ١٩٨٧.

مجاز القرآن، لأبي عبيدة، تحقيق د. فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٦٢.

المجتنى، لابن دريد، تحقيق د. محمد أحمد الدالي، الجفان والجابي للطباعة والنشر، قبرص ١٩٩٧.

مجمل اللغة، لابن فارس، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٤.

المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، تحقيق جماعة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٩٥٨ - ١٩٧٣ (لم يتم).

مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، لابن خالويه، نشره برجستراسر، المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٤.

مراتب النحويين، لأبي الطيب اللغوي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢،دار النهضة مصر ١٩٧٤.

معاني القران، للفراء، تحقيق محمد علي النجار و أحمد يوسف نجاتي، دار الكتب المصرية ١٩٥٥.

معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، تحقيق د. عبد الجليل شلبي، عالم الكتب ببيروت ١٩٨٨.

معجم الأدباء، لياقوت الحموي، تحقيق د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي ببيروت

١٩٩٣.

معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار صادر بيروت.

مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط ٢، ١٩٦٩.

نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لأبي البركات بن الأنباري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، ١٩٦٧.

النقائض، لأبي عبيدة، تحقيق بيفان، ليدن ١٩٠٥.

النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود الطناحي، مصر ١٩٦٣.

الهمز، لأبي زيد، نشره لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩١٠.

وقعة صفين، لنصر بن مزاحم، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بمصر، ط ٣، ١٩٨١.



نظرية التناص

صك جديد لعملة قديمة

الدكتور حسين جمعة

الخطاب النقدي العربي الحديث:

لست ممن ينكر على الخطاب النقدي الحديث عند العرب ما يعيشه اليوم من حالات تبعية، فضلاً عن أنها غير منظمة ولا متعاونة، فهو لا يزال ينهل من النقد الغربي ويحتذي به حذو القُذَّةِ بالقذة، ولا يزال النقاد العرب - كما يبدو لي - يتدربون نقدياً لإيجاد ما يسمى بنظرية نقدية قائمة على أسس تختص بهم[1]، وإن لم تتحقق حتى الآن؛ إذ لا زالت غائبة[2].

وهذا أمر لا يعيبه أحد، ولا ينتقص من مقومات الشخصية القومية والثقافية...و ... فأجدادنا قد عززوا مبدأ المثاقفة مع الآخر؛ فنهلوا مما لديه وطوعوه لحساب ثقافتهم... فتحولت الحضارة العربية بفعل المبدعين منهم من مرتبة التقليد إلى مرتبة الإبداع، وصارت مادة استلهام للآخرين من بعدُ. فالعاقل من ينتفع بما لدى الثقافات الأخرى دون أن تأخذه مظاهر الدهشة ومن ثم الاستلاب.

---

(١) انظر برج بابل ص ٧٤.

(٢) انظر غياب النظرية العربية ص ١٧٦.

ولعل الخطاب النقدي العربي يواجه حالة مشابهة لما واجهه من قبلُ عند الأجداد؛ إذا أهملنا تجاهل بعض أعلامه للتراث. لذا عليه أن يعي أن الجديد لم يستطع أن يذوب في القديم، وأن القديم لم يمت إلى غير رجعة، فالتراث مادة للثراء والانطلاق؛ إن لم نغلق أصحابه عليه.

ومن هنا فإني أرفض ما انتهت إليه حالة الخطاب النقدي عند بعض مفكرينا وأدبائنا، ومثقفينا، فهم بين حالين إما الاتباع والتقليد، وإما الانغلاق والتعصب، وقلَّ من جعل التراث منبعاً تجديدياً، ومادة يلجأ إليها إذا احتاج إليها دون أن يغلق عينيه عن كل ما يفيده من أي مصدر وفد إليه.

أما حالة الاتباع فيمثلها فئة انشدّت إلى الغرب وعزفت عن تراثها الأدبي والنقدي واللغوي، والديني... وأنكرت أن يكون هذا التراث قد قدّم إسهاماً يذكر في أي وجه من وجوه النشاط البشري. فكل رأي نقدي، أو فكري، وكل منهج أدبي إنما هو للغرب؛ وليس للتراث أي فضيلة. فقد طمس من ذاكرة أصحاب هذا الاتجاه أو أنهم غيبوه، في أحسن الحالات؛ علماً أن الخطاب التراثي يظهر بأشكال شتى في أنماط الخطاب النقدي المعاصر؛ إذا لم نقل إنه جزء أصيل وهام فيه. فما من حصيف ينكر أن يكون التراث ممتداً في الحداثة، أو ما بعد الحداثة. فاختلاف الأسلوب لا يعني اختلاف الجوهر؛ فالجوهر يظهر بأشكال جديدة قريبة أو بعيدة عن الأصل. ولعل جهل هذه الفئة بتراثها وبالثقافة الغربية مجتمعة؛ لأنها ذات اتجاه أحادي في أغلب الأحيان تنتمي إلى هذا المكان أو ذلك، أو إلى هذا

المذهب الفكري أو السياسي أو ذاك جعلها تبلبل الفكر العربي عامة، والخطاب النقدي والأدبي خاصة. فنقلت إلينا نتاج الغرب - وهذا النقل يحسب لها - ولكنها ضيعت الحقيقة في الكم الهائل من الترجمة غير الموحدة، إذا أحسنا الظن بها وقلنا: إن كثيراً من ترجماتها متناقضة؛ إما لعدم فهم طبيعة الأفكار المنقولة بدقة؛ وإما لعدم إتقانها لمنهج الغرب ولغته؛ فضلاً عن جهلها بتراثها. ولا شيء أدل على هذا من اطلاعنا على ترجمتهم لمصطلح (التناصية) فهو يزيد في ترجمة من سعى إلى نقله لتعريفنا به على عشرين مصطلحاً فهو النصوصية، وتداخل النصوص، والنص الظل؛ والمزاح والمفقود والغائب؛ وهلم جرا. فهل السبب يرجع إلى تبعية ثقافتنا للغرب أو يكمن في تجربة هذه الفئة غير الدقيقة؟، ولعله في كليهما معاً.

وأما حالة الفئة الثانية فقد أخذتها الحمية والغيرة على التراث وجعلت الغربيين مجرد نقلة لما لدينا من تراث، ولا سيما الديني منه واللغوي والفلسفي؛ وكأنهم لم يضيفوا شيئاً يستحق منا العودة إليه. ولعل الباحث الرصين أكرم ضياء العمري - على إعجابي به - يمثل هذه الفئة حين أرجع المناهج الغربية للعلوم الإنسانية إلى أرضية إسلامية؛ وكذا فعل عبد الملك مرتاض في نظرية التناص حين حصر هذه النظرية بمفهوم السرقات الأدبية المعروفة في النقد العربي القديم وجعل أصولها في آراء العرب القدماء[٣]. وهنا لابد أن أسجل إعجابي الشديد بما فعله حسين مروة وعابد الجابري وأمثالهما؛ إذ انفتحوا على الثقافة الغربية ولم يغلقوا عيونهم عن التراث؛

(٣) انظر الكتابة أم حوار النصوص ص ١٦.

فدورة الحضارة الإنسانية مستمرة؛ وعملية المثاقفة قائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. فعملية التأثر والتأثير – وإن اتخذت أشكالاً مشوهة... عند المقلدين – تصبح لدى المبدعين صناعة جديدة نحتاج إليها، وهو ما يفعله الغرب دائماً. لذا فإن الخطاب النقدي الغربي كان ينتقل سريعاً من شكل إلى شكل غيره بفعل الحوار المستمر والفعال على الساحة الغربية. ونحس هذا الأمر بقول مارك أنجينو: «مصطلح التناص مثله مثل استخدام مصطلح بنية وبنيوية... ومثلما كنا نستطيع أن نقول منذ خمس عشرة سنة: إن كل موضوع دراسة له بالضرورة بنية؛ وبذلك كان الناس بنيويين دون أن يعلموا، فإننا نقول اليوم: إن كل نص يتعايش بطريقة من الطرق مع نُصوص أخرى يتجذّر منذ ذلك في تناص؛ وإن الكلمة هي بالتالي ملك لكل الناس»(٤).

إنه حوار إيجابي قائم على الحرية والاحترام للآخر بين القديم والجديد وبين الجديد والجديد؛ مما جعل الغرب يتحرر من إسار التأثر الموروث والتقليد الأعمى، ويصوغ نظرياته النقدية في إطار أفكاره ومذاهبه وطبيعة أدبه؛ وتنتقل بعد ذلك لتغدو منهجاً للتفكير النقدي والفكري في الوقت نفسه للناس كافة(٥).

ولعل المتأمل في النظريات النقدية الغربية يدرك أثر التفاعل بينها وبين غيرها ولا سيما العربية؛ وهو تفاعل أخذ ينكشف في النصف الثاني

(٤) التناصية (مارك أنجينو) ص ٥٨.

(٥) انظر برج بابل ص ١٦.

من القرن العشرين؛ إثر رجة فكرية أيقظت الهمم... فما من أحد يشك أن أوربا عرفت ابن رشد وابن سينا وابن طفيل وابن خلدون وغيرهم من علماء العرب، وتأثرت بهم؛ وقد تسرب هذا الأثر إلى كثير من الميادين الثقافية ومنها النقد والأدب. وكان العرب من قبل – كما هو عليه الغرب اليوم – قد رجعوا جميعاً إلى الثقافة اليونانية، ولهذا نجد تشابهاً آخر في المصدر الثقافي، ولكن لكل ثقافة سمتها وخصائصها. ويعترف جيرار جينيت بهذا قائلاً: «لا ينبغي في البدء أن نعد أنماط التعددية النصية الخمسة تقسيمات قطعية لا تواصل بينها، ولا تقاطع متبادل. إن العلاقات بينها هي على العكس متعددة وحاسمة غالباً. فالجامعية النصية النوعية مثلاً تتكون على الدوام تقريباً وتاريخياً بطريقة المحاكاة (فيرجيل يحاكي هوميروس وغوزمان تحاكي لازاريللو إذن تتكون باتساعية نصّية»[٦].

وأعتقد أن نظرية التناص لا تختلف عن ذلك فهي تدين بنشأتها لجملة من النظريات الغربية أولاً وتُعد امتداداً للثقافات الأخرى كالعربية. وظهر هذا بكل وضوح عند أكبر نقادها رولان بارت (١٩١٥-١٩٨٠م)، كما ظهر في مفهومها وآلياتها وأشكالها... وفعاليتها.

وبناء على ذلك نشير بسرعة إلى أصولها الغربية، ثم نتوقف عند مفهومها، وبقية الموضوعات في إطار من التوضيح والموازنة بينها وبين مثيلاتها في العربية.

(٦) طروس الأدب على الأدب (جيرار جينيت) ص ١٣٣ وانظر ما بعدها، ومقال مرتاض «الكتابة وحوار النصوص».

أصول غربية لنظرية التناص:

تبين لنا – في ضوء مسيرة الحركة النقدية الغربية – أن كل نظرية نقدية كانت تمهد لأختها دون أن تلغيها؛ وإن اتجهت اتجاهاً مغايراً لها في أحيان كثيرة. بل إن كثيراً من النظريات ولدت في أحضان نظرية سابقة فكانت أشبه بالبنت لها كالتشريحية والتركيبية اللتين ولدتا في قلب البنيوية، وهي آخر ما انتهت إليه الحداثة.

أما نظرية التناص – وهي نظرية من نظريات ما بعد الحداثة – فإنها ولدت في أحضان السيمولوجية (السيميائية) والبنيوية ابتداء بالشكلانية وانتهاء بالتشريحية، وإن كانت مدينة بكثير من ملامحها لغيرهما.

وقد رصد حركتها التاريخية كل من الناقد مارك أنجينو في بحثه (التناصية)[٧]، وليون سُمفل في بحثه الذي يحمل العنوان نفسه[٨]. وقد انطلقت شرارتها الأولى من الشكليين في كتابات (شلوفسكي) ومن ثم (باختين) الذي اتجه بها نحو النص. ثم تسلمتها جوليا كريستيفا واستخدمت للمرة الأولى مصطلح التناص في كتاباتها وكانت تهتم بالإنتاج وتهمل التلقي والقارئ[٩].

(٧) انظر التناصية (مارك أنجينو) ص ٥٣ – ٧٨.

(٨) انظر التناصية (ليون سُمفل) ص ٨٩ – ١١٦، وانظر السيمياء والتأويل ٢٣-٢٥ و٣٥-٣٨ والخطيئة والتكفير ص ٦٤.

(٩) انظر: نظرية النص (رولان بارت) ص ٤٨ والتناصية (أنجينو) ص ٥٩ و٦١ والتناصية (ليون سُمفل) ص ٩١-٩٣ وانفتاح النص الروائي ص ٩٣ والخطيئة والتكفير ٣٢١-٣٢٢.

أما بارت - الذي بدأ سيمولوجياً في كتابه عن راسين سنة ١٩٦٣م وعناصر السيمولوجيا سنة ١٩٦٤م - فقد ظهر مصطلح التناص في بحثه (لذة النصّ سنة ١٩٧٣م)[١٠]. والقراءة السيمولوجية «تقوم على إطلاق الإشارات كدوالّ حرة لا تقيدها حدود المعاني المعجمية، ويصير للنص فعالية قرائية إبداعية... ويصير القارئ المدرب هو صانع النص»[١١]. ويقول بارت: «ليس النص مقترن الوجود بالمعنى ولكن بمروره وعبوره... ولا تتعلق تعددية النص في الحقيقة بغموض مضمونه ولكن بما نستطيع تسميته بالتعددية المضخمة للدوالّ التي تنسجه»[١٢]. وأصبحت القراءة على يد (لاكان) اتجاهاً جديداً «يقوم على مبدأ أن البنية الشاملة للغة هي بنية لا شعورية»[١٣].

بهذا حرر (لاكان) الدال من قيد المدلول، فأحدث صدعاً بين

(١٠) انظر الخطيئة والتكفير ص ٦٤ وبعد، والتناصية (أنجينو) ٦٦، والتناصية (سمفل) ٩٠ و١٠٤. ويعد بارت من رواد البنيوية السيمولوجية؛ وكان أخرج أبحاثه الأولى في ضوئها؛ ثم تحول عنها إلى البنيوية التشريحية بعد ست سنوات في كتابه (الكتابة في درجة الصفر) سنة ١٩٧٠م فصار رائداً لها؛ ومن بعد غدا فارساً للنص حين أصبح رائداً للتناص في كتابه (لذة النص) الذي ظهر سنة ١٩٧٣م وغير ذلك من الأبحاث. انظر الخطيئة والتكفير ص ٦٤- ٧٤.

(١١) الخطيئة والتكفير ص ٤٩، وانظر في معرفة النص ص ١٢ وبعد، و١٨ وبعد.

(١٢) من العمل إلى النص (رولان بارت) ص ١٥.

(١٣) الخطيئة والتكفير ص ٥١.

الحقيقة واللغة حين تركنا وجهاً لوجه مع الإشارات العائمة، وهي إشارات اعتباطية عند بارت.

ولكن جاك ديريدا (رائد البنيوية) رفع لواء علم النقد التشريحي، ولمع اسمه حين صدر كتابه (في النحوية) سنة ١٩٦٧م. وقد دعا إلى إحلال النحوية محل السيمولوجية، وادعى أن «هذا العلم لم يوجد بعدُ»(١٤).

فالتشريحية أكدت بعد السيمولوجية قيمة النص؛ لأنه أساس النقد ومنطلق عملية التلقي. ولهذا قال (ديريدا): «لا وجود لشيء خارج النص»(١٥).

فالتشريحية «تعمل من داخل النص لتبحث عن الأثر» على حد تعبير (ليتش)؛ وهكذا فعلت التناصية. ومفهوم الأثر - بهذا الإدراك والتحليل - ينبع من قلب النص عند ديريدا وليتش، ويمثل الوحدة النظرية في (النحوية)؛ مما جعله هدفاً للقارئ الناقد؛ ولم يخرج بارت عن ذلك(١٦).

وحين نتأمل مفهوم الأثر ندرك أنه مفهوم جمالي يحصّله القارئ بوساطة عناصر البنية النصية وشفراتها. وسبق إليه ابن طباطبا ثم قُنن بما يشبه لدى التناصية في نظرية (النظم) عند عبد القاهر الجرجاني. فهي قائمة على «تضافر بلاغيات الجملة مع نحوها لتأسيس جماليتها بعيداً عن قيد

(١٤) المرجع السابق ص ٥٢ وقد ترجم كتاب ديريدا (في النحوية) إلى اللغة الإنكليزية سنة ١٩٨٣م وصدر عن جامعة كولومبيا.

(١٥) الخطيئة والتكفير ص ٥٦ وانظر فيه ٣٢١ وانظر نظرية النص (بارت) ص ٤٨.

(١٦) الخطيئة والتكفير ص ٥٦ وانظر فيه ٣٢١ وانظر نظرية النص (بارت) ص ٤٨.

المدلولات» كما أحسبه «سحر البيان الذي أشار إليه القول النبوي»[١٧]، «إن من البيان لسحرا»[١٨].

إذاً؛ أخذت التشريحية تتحول نحو اتجاه نقدي جديد يمكن تسميته بالتناصية وفق نظرة شمولية. والبنيوية - عامة - قدَّمت إسهامات كبرى في صياغة جملة من مبادئ نظرية التناص ولاسيما ما يتصل بالوظيفة الشعرية. وكان (رومان جاكبسون) أحد روادها ونقادها المشهورين؛ وهو من حصر الوظيفة الجمالية أو الشعرية في إسقاط العلامات اللغوية من محور الاختيار باعتباره استبدالياً على المحور التركيبي باعتباره محوراً تأليفياً تبعاً للعلاقات الدلالية في التماثل والتضاد والتنافر... و... ثم أخذ مفهوم الوظيفة الجمالية يرتقي في إطار السياق الشعري لا المرجعي[١٩].

وقد أفادت نظرية التناص من ذلك كله؛ وإن حاول بعض نقادها أن

(١٧) انظر الخطيئة والتكفير ص ٥٣ و١١٧ و١٢١-١٢٢ و٣١٧، ودلائل الإعجاز ص ٨١- ٨٩ و١٠٦ ومنهاج البلغاء وسراج الأدباء (١٢٤). وأعتقد أن ابن طباطبا سبق الجميع إلى مفهوم الأثر في (عيار الشعر ص ٢٩) ولم يتنبه عليه الغذامي في (الخطيئة والتكفير).

(١٨) الجامع الصغير من حديث البشير النذير (١/ ٣٣١ حديث رقم ٢٤٥٨).

(١٩) انظر قضايا الشعرية (رومان جاكبسون) ص ٣٣ وانظر السيمياء والتأويل (شولز) ٤٦-٤٨ و٥٢ و٧٤ و٨٨ وما أورده الغذامي في الخطيئة والتكفير ص ١٥ فقد ذكر أن حازم القرطاجني سبق جاكبسون إلى التعريف بمهمة وظيفة الاتصال، وراجع حاشية (١٧) من هذا البحث وحاشية ١٢٩ وانظر في معرفة النص (ص١١ و٢٩٠-٢٩١).

يربطوا بين النصوص السابقة والنصّ الموجود وتفسير المتلقي له. وهذا الربط ينطلق من النص ذاته؛ فيقول (بول دي مان): «يعتمد التفسير اعتماداً مطلقاً على النص؛ كما أن النص يعتمد اعتماداً مطلقاً على التفسير»[٢٠]. أما (بارت) فقد جعل الأثر الفني للنص لا يتوقف؛ لأن تحليله «ينكر وجود مدلول نهائي»[٢١].

إن هذه الإشارات كافية لتؤكد لنا مدى الفائدة التي قدمتها النظريات النقدية الغربية لنظرية التناص؛ ولتبرز أن الغرب حاول أن يجعل النظرية اللاحقة مبنية على السابقة دون أن يلغيها؛ لأنها غدت ملك الأجيال والإنسانية.

وهذا يفرض علينا أن نتبين بسرعة نشأة نظرية التناص ومفهومها.

مفهوم نظرية التناص:

برزت عدة نظريات في الغرب جعلت النص منطلقاً لها؛ أما التناصية فقد جعلته فحوى خطابها؛ وقلصت المسافة بين النص المقروء والنص المكتوب ثم بينهما وبين النصوص الأخرى؛ وإن ميزت ما بينها[٢٢].

ولمعت أسماء كثيرة في سماء نظرية التناص؛ في أمريكا وفرنسا خاصة؛

---

(٢٠) انظر الخطيئة والتكفير ص ٥٧ و٣٢٢؛ ولو تأملنا ما ورد عند عبد القاهر لتبين أنه سابق في ذلك لدي مان؛ انظر دلائل الإعجاز ص ٣٠٥ و٣٧٤-٣٧٨.

(٢١) نظرية النص (بارت) ص ٤٧ وانظر فيه ٣٢، ومن العمل إلى النص ص ١٤.

(٢٢) انظر من العمل إلى النص (بارت) ص ١٨ والسيمياء والتأويل (شولز) ٣٦.

مثل جوليا كريستيفا، وجيرار جينيت ورولان بارت، وميشيل أريفي، ولوران جيني، وجان ريكاردو، وميشيل ريغايتر؛ وغيرهم كثير. وقد سبقت جوليا كريستيفا في ذلك؛ إذ نشرت أبحاثاً لها سنة (١٩٦٦-١٩٦٧م) أرست فيها مصطلح (التناصية) وسبقت إليه، وعرفته؛ ولكنه لم يكن التعريف الأخير فقالت: «النص جهاز لساني يعيد توزيع نظام اللغة واضعاً الحديث التواصلي؛ نقصد المعلومات المباشرة في علاقة مع ملفوظات مختلفة سابقة أو متزامنة»[٢٣].

وقبل أن أقف عند اختلاف أعلام نظرية التناص في الغرب حول تعريف جامع موحد له أشير إلى أنه لا يقابل مصطلحَ (التناصية) المعروف مصطلحٌ عربي مستمد من اللغة؛ وإن لمسنا في مادة (نص) ما يوحي بمعاني المصطلح ودلالته. ففي اللسان: النص أصله منتهى الشيء ومبلغ أقصاه، ونص المتاع نصاً: جعل بعضه على بعض، ونصصت الحديث: رفعته.

ولهذا يمكن أن نشتق من هذه المادة ما «يتولد منها عدة دوالّ لها رموزها الواقعية التي نلحظ بينها قدراً من التقارب»؛ فتناص القوم: اجتمعوا[٢٤].

وإذا كان الغربيون قد حددوا المصطلح بالتناصية أو تداخل النُصوص،

---

(٢٣) نظرية النص ص ٣٣ وراجع فيه ص ٢٣ و٣٧ وانظر التناصية (أنجينو) ٥٩-٦٠ وانفتاح النص الروائي ص ٩٣ وقضايا الحداثة ص ١٤٧ والخطيئة والتكفير ٣٢٢ وانظر في معرفة النص ص ١١٨ وبعد.

(٢٤) لسان العرب مادة: نص.

أو التناص فقد ظهر لي أن التناصية أكثر اتساعاً وشمولاً لمبادئ النظرية ومرجعيتها في الرد على غيرها(٢٥).

وعلى الرغم من اتفاقهم على اسم المصطلح؛ وعلى الرغم من أن مجلة (تل كولtelquel) أصبحت مكاناً لكتابات أكثرهم حتى غدت عَلماً لهم لكنهم لم يتفقوا على تعريف واحد(٢٦).

فالتناصية عند (مارك أنجينو) «هي تقاطع في النص مؤدًّى مأخوذ من نصوص سابقة»(٢٧).

ويقترح (لوران جيني) تعريفاً لها: هي «عمل يقوم به نص مركزي لتحويل نصوص وتمثلها ويحتفظ بريادة المعنى»(٢٨). ويعرفها (ميشيل ريغايتر) قائلاً: «إن التناص هو أن يلحظ القارئ علاقات بين عمل وأعمال أخرى سبقته أو جاءت بعده»(٢٩). ويقول (بارت): «إن تبادل النصوص أشلاء نصوص دارت أو تدور في فلك نص يعتبر مركزاً وفي النهاية تتحد معه... كل نص هو تناص، والنصوص الأخرى تتراءى فيه بمستويات متفاوتة». «واللغة هي النظام العلامي الوحيد الذي يمتلك القدرة على تفسير الأنظمة

---

(٢٥) انظر التناصية انجينو ص ٦٥ و٧٢-٧٤ والتناصية (سمفل) ٩٠و٩٤ وانفتاح النص الروائي ٩٣-٩٥ وقضايا الحداثة ١٣٧.

(٢٦) انظر التناصية (سُمفل) ٩١.

(٢٧) التناصية (أنجينو) ص ٦٠، ومثله في (انفتاح النص الروائي ص ٩٢).

(٢٨) التناصية (أنجينو) ص ٦٩.

(٢٩) طروس الأدب على الأدب (جيرار جينيت) ص ١٢٦.

الدلالية الأخرى، وعلى تفسير نفسه بنفسه أيضاً»[٣٠].

ويظهر لنا مما تقدم، ومما قدمته مظان نظرية التناص التي اطلعنا عليها أنها تتجه إلى النص وحده لتجعله فحوى الخطاب في بنائه الكلي والجزئي، ومن ثم تنظر إليه باعتباره شبكة لا متناهية من الشفرات، والتقاطعات الإشارية التي يدركها المتلقي. فهو غير قابل للتحجيم، لأنه يستجيب دائماً للانتشار؛ وإن كان مبنياً على الاقتباسات الكثيرة لنصوص سابقة؛ وهذه مزية له. فالتناصية «قدر كل نص مهما كان جنسه، لا تقتصر حتماً على قضية المنبع أو التأثير: فالتناص مجال عام للصيغ المجهولة التي يندر معرفة أصلها؛ استجلابات لا شعورية عفوية»[٣١].

ولهذا يصر (بارت) على الدور العظيم للمتناص (تلقي النص بفعل قراءته)؛ لأنه «يعمل داخل نظام لغوي وثقافي» ينبع من النص لا المنشئ[٣٢]. فالمتلقي يتعامل والنص مركباً فيعمد إلى تفكيكه ثم إعادة تركيبه ليصل إلى ما توحيه شفراته؛ وفي ضوء النصوص التي يقربها النص إليه، أو تقفز إلى ذاكرته.

وقد لحظ الباحث محمد مفتاح هذه الآلية المعقدة؛ فبعد أن عرف

(٣٠) نظرية النص (بارت) ص ٣٨ و٤٤ وانظر الخطيئة والتكفير ص ٣٢١-٣٢٢ ومتاهة التناص (حلال الخياط) ص ٥٤، والأدب العام المقارن ص ٢٧.

(٣١) نظرية النص ص ٣٨ وانظر الخطيئة والتكفير ص ٦٢ وبعد و٣٢٠ وبعد.

(٣٢) الخطيئة والتكفير ص ٥٧ وانظر (من العمل إلى النص بارت ص ٢٠) وانفتاح النص الروائي ص ٩٤-٩٦.

التناصية – وهو تعريف قاصر عما أشرنا إليه من تعريفات ونابع منها – بقوله: هي «تعالق نصوص مع نص حديث بكيفيات مختلفة»(٣٣). قال: إنها انتهت لدى عدد من الغربيين «إلى ظاهرة لغوية معقدة تستعصي على الضبط والتقنين؛ إذ يُعتَمد في تمييزها على المتلقي»(٣٤).

وهذا كله حق لا مراء فيه فنظرية التناص جعلت علاقة المتلقي بالنص علاقة وجود؛ وهو لا يتحقق إلا بالقارئ لبنائه وشفراته؛ فهو ليس تابعاً للمنشئ، فهذا ليس أباً للنص وإنما اسم طبع فوقه، ولا يزوره إلا ضيفاً؛ على حد تعبير بارت. ويقول بارت أيضاً: «النقد الذي يعد خطاباً حول النص أصبح بالياً؛ وإن حدث لأحد المؤلفين التحدث عن نص قديم فإنه لن يكون حينئذ أي منتج نص جديد».

فالنص «لن يكون امتلاكاً، وهو يتمركز في حقل التبادل اللامتناهي للشفرات، وذلك ليس بحجّة للكاتب» ولهذا كله «يصبح التفسير نفسه نصّاً»(٣٥).

نستدل من نشأة نظرية التناص ومفاهيمها الأولى – عدا ما قالته جوليا كريستيفا – أنها انتصرت للنص والمتلقي وعزفت عامدة عن المؤلف؛

(٣٣) تحليل الخطاب الشعري /استراتيجية التناص ص ١٢١ وانظر متاهة التناص ٥١.

(٣٤) تحليل الخطاب الشعري ص ١٣١ ومتاهة التناص ص ٥١.

(٣٥) انظر على الترتيب الوارد للنصوص في (نظرية النص ص ٤٨ و٥٠ و٤٨) وراجع فيه ص ٤٦ وفي (من العمل إلى النص ص ١٧ و١٩) وانظر انفتاح النص الروائي ص ٩٥- ٩٦ والخطيئة والتكفير ص ٥٧ و٧٥ و٣٢٢.

وهي رؤية معروفة في السيميائية؛ مما جعلها تركز وظيفة النقد في الكشف عن شفرات النص، ووظيفة الناقد في الكشف عن نظام النص وقوانينه الداخلية المتحكمة في بنائه، فضلاً عن إنكارها للتدرج في الإنتاج. وهذا ما يوضحه بارت: «فالكلام كله سابقه وحاضره يصب في النص، ولكن ليس وفق طريق متدرجة معلومة؛ ولا بمحاكاة إرادية؛ وإنما وفق طريق متشعبة، صورة تمنح النص وضع الإنتاجية وليس إعادة الإنتاج»[٣٦].

هكذا انتصرت التناصية للنص والقارئ على حساب المؤلف الذي أعلنت موته على يد بارت[٣٧]. وتجاهلت أن التناص عند المنشئ كان إنتاجاً قائماً على تفاعل لغوي ثقافي بين نصين سابق ولاحق؛ أي أن هناك نصوصاً كثيرة سابقة كونته. وهو ما أقرَّ به بارت نفسه كما يستشف من قوله: «يستطيع الأثر الفني تقليدياً، وبخطوطه العريضة أن ينطلق من علمين: تاريخي وفقهي لغوي»[٣٨]. أما ميشيل ريفاتير فإنه يبالغ في مقولته حتى يجعل كل نص انبثق من النصوص السابقة إنما هو «الصورة الوحيدة لأصل الشعر». وقاربه لوران جيني فكل شيء «خارج التناص يصبح ببساطة غير قابل للإدراك»[٣٩].

---

(٣٦) نظرية النص ص ٣٩ وانظر فيه ٤٤ و٤٥ وراجع حاشية ١٩ و١٢٩ من هذا البحث، والسيمياء والتأويل ٧٩ و٨٩.

(٣٧) انظر كتاب موت المؤلف (رولان بارت).

(٣٨) نظرية النص (بارت ص ٤٥) وانظر قضايا الحداثة ص ١٤٠- ١٤٣.

(٣٩) السيمياء والتأويل (روبرت شولز) ص ٨٩ وانفتاح النص الروائي ص٩٤ على توالي القول.

إن المنشئ في المنظور التاريخي اكتسب خبرات وثقافات تأصلت في نصه سواء أستمد ذلك بوعي أم بغير وعي؛ مما يعزز لدينا فكرة أن المنشئ أياً كان ترتيبه الزماني إنما هو حلقة في سلسلة حلقات سابقة ولاحقة ولم يمت البتة. فهو لم ينطلق من فراغ، فهو متشبع بنصوص كثيرة سابقة له، بمعنى أنه ليس حراً في إبداعه الإنتاجي؛ ولكنه في الوقت نفسه ليس منعزلاً عنه. وهذا ما يعترف به رولان بارت إذ يقول: «كل نص هو تناص والنصوص الأخرى تتراءى فيه بمستويات متفاوتة، وبأشكال ليست عصية على الفهم بطريقة أو بأخرى. إذ نتعرّف نُصوص الثقافة السابقة والحالية: فكل نص ليس إلا نسيجاً جديداً من استشهادات سابقة»[٤٠]. وكانت جوليا كريستيفا قد قالت: «إن كل نص هو عبارة عن لوحة فسيفسائية من الاقتباسات، وكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى»[٤١]؛ ولكن المتناص لا يتجه إليها إلا في ضوء إيحاءات النص المقروء.

فالنص شبكة لا متناهية من العلاقات المرتبطة بنصوص أخرى، وذات نظام لغوي مبني على شفرات متعددة - على حد قول التناصيين -.

ونرى أن هذا النص قد اعتلج في صدر المؤلف المنشئ قبل أن يعتلج في صدر المتلقي؛ وفيه تقاطعات لغوية ثابتة - كما نرى - تنبئ بوضعها التاريخي الزماني والمكاني والثقافي. مما يجعل المنشئ ومن ثم القارئ الأخير - وإن كان محظوظاً - صلة الوصل بين السابق واللاحق الذي سيأتي

(٤٠) نظرية النص ص ٣٨ وانظر فيه ص ٢٦.

(٤١) الخطيئة والتكفير ص ١٣ و٣٢٢ وانظر فيه ٣٢٣- ٣٢٤.

بعده... فلو أمتنا الأول لأمتنا الثاني، ولما كان للفعل الثقافي أثر في اللاحق؛ وكلنا يعرف أن الثقافة إنما هي عملية تراكمية.

ويتضح لنا مما تقدم أن هناك منتجاً ونصّاً وثقافة؛ وأي تشكيل جديد لنص جديد يعيش وسط هذه الأركان الثلاثة؛ وكل ركن يرتبط بالآخر بوساطة النص مرة، وبوساطة عملية المثاقفة المستمرة مرة أخرى؛ فأي منشئ ليس معلقاً في الهواء حتى لو أطلقنا له الحرية للعبث بالنص.

وإني موقن أن التجربة الإبداعية الشعرية والنقدية للعرب قد انتهت إلى ذلك سواء ما يرتبط منها بتعلق نص مع نصوص أخرى، أم ما يرتبط بالبناء اللغوي للتجربة النصية عند المتلقي.

أما تداخل النصوص فقد انتهى العرب شعراء ونقاداً إليه بشكل فطري واعٍ. فامرؤ القيس – مثلاً – لم يتركه الإرث النصّي حراً؛ إذ تدافعت عليه الأشعار (القوافي) فطفق يتخير من نصوصها المرجان والدر ويبعد الزهيد المرذول ليجعل لنفسه موضعاً بين الشعراء، ولتكون تجربته النصية متميزة من غيرها. فهو يمارس مرحلة ما قبل النص، ومن ثم الشروع النصي الإبداعي (مرحلة النص)، ليصل إلى النص المتخيل، الذي ينتجه فيقول[٤٢]:

---

(٤٢) ديوان امرئ القيس (ص ٢٤٨. أذود: أدفع. القوافي: القصائد. عنينه: أتعبنه). وانظر ما ذكره ابن رشيق عن هذه الأبيات وعن مسألة صناعة الشعر في كتابه (العمدة ١/ ٢٠٠) ففيه إشارات تدل على سبقه لإدراك مفهوم عملية التلقي. وراجع ما أورده بدران في (النص والنص المضاد والنص الظل ٤٤).

أَذُودُ القوافـيَ عنّـي ذِيـاداً ذِيـادَ غُـلامٍ جَـرِيٍّ جـوادا
فـأعزل مَرْجانهـا جانبـاً وآخذ من درهـا المُسْتجادا
فلمـا كـثرن وعنّيْنَـه تخـير منهُـنَّ سـرّاً جيـادا

فنظرية التناص قائمة في أعلى مفهوم لها على أن النص الإبداعي إنما هو النهر الأخير لكل الفروع التي تنتهي إليه. وهذا عينه ما فعله امرؤ القيس وما قننه محمد بن سلام الجمحي (المتوفى ٢٣١هـ) قبل نحو ألف سنة من أرباب التناصية؛ حين قال عن شاعرنا ومن سبقه من الشعراء: «ما قال ما لم يقولوا، ولكنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها واستحسنتها العرب واتبعته فيها الشعراء»[٤٣].

ولو توقف أحدنا عند كلمته (ما قال... ابتدعها... اتبعته فيها...) لتيقن أن هذا الكلام حمّال لمفهوم التناص الذي يقول به التناصيون وإن لم يستعمل مصطلحهم. وهو نفسه ما نلمحه في قول كعب بن زهير؛ إن لم يكن أشد وضوحاً[٤٤]:

مـا أرانـا نقـول إلا رَجيعـاً ومُعـاداً مـن قولنـا مكـروراً

ومن صميم ما أشرنا إليه نلمس مقالة (بارت): «انبثاق اليوم من

(٤٣) طبقات فحول الشعراء ١/٥٥ وفيه كلام دقيق من صميم التناص، وانظر حاشية (١٢٣) من البحث.

(٤٤) شرح ديوان كعب بن زهير ص ١٥٤ وبيته هذا ينسب خطأً إلى أبيه زهير؛ مع شيء من التحريف، وهو ليس في ديوان زهير: انظر الخطيئة والتكفير١٤٣ و٣١٨.

الأمس»، وما قاله من قبل عن تواري نصوص سابقة في نص جديد[٤٥] فإذا تذكرنا أن (بارت) كان مدرساً للأدب الفرنسي والكلاسيكي في جامعة الإسكندرية بمصر (سنة ١٩٤٩م) قبل أن يستقر بباريس في الكلية الفرنسية حتى وفاته سنة ١٩٨٠م[٤٦]، أدركنا أن كثيراً من مقولاته مستوحىً من النقد العربي وتراثه اللغوي والأدبي...

وبعدُ؛ فإن منتج النص يشعر بوعي كامل بأنه محاط بمنظومة كبرى من النصوص والخبرات والثقافات، يتكيف معها تبعاً لطبيعته. وإذا كان هذا النمط من التناص أكثر شيوعاً لما يتصف به من وعي كامل بالنُصوص السابقة؛ فهذا لا يعني أن نهمل تلك الإشارات الهائلة التي تتشكل في منطقة اللاوعي عند المنتج.

وهنا يصبح لزاماً علينا أن نشير إلى ما انتهى إليه عبد الملك مرتاض حين فرق بين التناص الذي يقابل عند العرب مفهوم (السرقة)[٤٧]، وما دخل فيه من مصطلحات، وبين التناصية، فهذا المصطلح (عنده) يعني النظرية. فهي «تبادل التأثير بدون قصد غالباً، وبقصد غير قائم على السرقة الأدبية الموصوفة أحياناً». ثم قال في الصفحة التالية: هي «تحاور طائفة من

---

(٤٥) نظرية النص (بارت/ ٣٨) وانظر الخطيئة والتكفير ص ١٤.

(٤٦) انظر الخطيئة والتكفير ص٦٤ وفي معرفة النص ص ٢٨٦.

(٤٧) انظر الكتابة أم حوار النصوص ص ١٧ وراجع باب (السرقات) في كتاب (العمدة ٢/ ٢٨٠) على سبيل المثال.

النصوص وتضافرها لإنشاء نص جديد على أنقاضها»[٤٨].

ولو تدبرنا ما انتهت إليه تعريفات التناصية التي أشرنا إليها عند جوليا كريستيفا وبارت وجماعة (تل كول) لوجدنا أن التناص لا يقابل السرقة بالضرورة لأنه جزء من التناصية مما يعني أنه يمثل أحدَ مبادئها. وهذا ما سيتضح لدينا مرة أخرى حين نتحدث عن أشكال التناص. فنظرية التناص لم تبق على هيئة واحدة كما ولدت للمرة الأولى عند السيمائيين بهذا المصطلح. ولكن عبد الملك مرتاض أصاب إلى حد كبير حين انتهى إلى ما يعرف بالتناص المعكوس[٤٩]. فنظرية التناص تدين بولادتها للثقافات التابعة السابقة، سواء بسواء مع النظريات النقدية الغربية التي أشرنا إليها، مثلما تدين لها بكثير من مفهوماتها وأشكال آلياتها.

وأمّا ما انتهت إليه التجربة النصية في الشعر الجاهلي وفي ضوء مفاهيم نظرية التناص فإنه يجعلنا ندرك أبعاد المماثلة في تمثل النصوص السابقة وفي ممارسة التغيير البنائي اللغوي. فالشاعر الجاهلي ورث - مثلاً - إرثاً نصّياً عظيماً في ظاهرة الأطلال المثبتة في مطالع قصائد الجاهليين... مما جعله يمارس عملية الانزياح والمماثلة والمغايرة ليصل إلى نصّ جديد يرضيه، مارسها بشكل عمودي وأفقي؛ فجاء بما يحتاج إليه وحذف ما لا يرضيه دون أن يميت أي نص سابق له، أو أن يطمس ملامحه.

وهو في ذلك يمارس المرجعية الضمنية لإبراز النص الغائب أو المفقود

(٤٨) انظر على التوالي في (الكتابة أم حوار النصوص ص ١٤ و١٥).

(٤٩) انظر المرجع السابق ص ١٩ والخطيئة والتكفير ص ٣٢٠.

كما تقول نظرية التناص. بل إني أزعم أن الشاعر الجاهلي حقق لنا هذه المرجعية في عدد غير قليل من النصوص الأخرى. فلو أخذنا ظاهرة تشبيه المرأة بالظبية لديه، لأيقنا شدة المعاناة التي لقيها لعظمة الإرث النصّي فيها حتى ضاقت معانيه. لهذا حاول أن يصوغ تجربته صياغة جديدة تغاير ما استقر بنفسه بوعي أو بغير وعي. وأشير هنا إلى مثال واحد لشاعرين وقفا عند تلك الظاهرة وهما عِلْباء بن أرقم والحادرة الذبياني؛ وكلاهما ركز على صفة طول العنق في المرأة ولكن تجربتهما مختلفة؛ لأن نص أحدهما مغيب عن الآخر، ولو استقر المعنى في نفسه؛ فقال علباء(٥٠):

فيوماً توافينا بوجهٍ مُقَسَّمٍ كأنْ ظبيةً تَعْطُو إلى نَاضرِ السَّلَمْ

بينما قال الحادرة الذبياني(٥١):

وتصدَّفَتْ حتى استبتكَ بواضحٍ صَلْتٍ كمُنْتَصَبِ الغزال الأَتْلعِ

وهاك مثالاً آخر في صفة النار التي عرفت بنار الكرم عند العرب. فقد سعى الحطيئة إلى تجربة نصّية جديدة مغايرة لما جاء به الأعشى من قبلُ، حيث يقول(٥٢):

(٥٠) الأصمعيات ص ١٥٧. مقسم: أي حسن جميل. تعطو: تتناول. السلم: نوع من شجر البادية يعظم وله شوك.

(٥١) ديوان شعر الحادرة ص ٤٥. تصدفت: أعرضت. استبتك: غلبتك على عقلك. صلت: أي أملس أجرد. الأتلع: الطويل العنق من كل شيء.

(٥٢) ديوان الأعشى الكبير ص ٢٥١. والمحلق: اسم الرجل الذي مدحه الأعشى.

تُشَبُّ لمَقْرورين يَصْطليانِها وباتَ على النَّارِ النَّدى والمُحَلَّقُ

ثم جاء الحطيئة فمارس مرجعية ضمنية لنص مفقود؛ وربما يكون غائباً فقال[٥٣]:

متى تأتِهِ تعشو إلى ضوءِ نارِه تجدْ خيْرَ نارٍ عندها خيرُ مُوْقِدِ

فسقط بيت الأعشى وظل بيت الحطيئة يتردد على الألسن، بيد أنه لم يلغِ سابقه أو يطمسه، وإن تضمن أكثر معناه، دون أن نتجاهل مفهوم النص الغائب القائم على الإيحاء، وهو ما لم يقله النص الأخير صراحة.

إن مفهوم التناص الواعي – غالباً – عند الجاهلي أصبح منصباً على القالب واللغة؛ أكثر من الدلالة والمضمون لضيق دائرة المعاني لديه. وهذا صميم مفهوم نظرية التناص حين تتجه إلى البناء اللغوي للنص. ومسألة البناء اللغوي صارت إحدى معضلات النقد الغربي، وقد تخلصت نظرية التناص منها حين أرجعتها إلى ثقافة المتلقي.

وربما نقع على مثل هذا كله في جهود النقاد والبلاغيين العرب؛ فهؤلاء أطالوا الحوار مع النصوص لفهم علاقاتها البنائية عامة واللغوية خاصة، لإدراك إشاراتها الدلالية وتحولاتها الأسلوبية في إطار سياقي عام. ونظروا إلى كل نص على أنه بناء لغوي تتعدد أجزاؤه وتتشعب علاماته. ويعد عبد القاهر الجرجاني من أبرز العرب في هذا المجال، إذ عني بالبناء الكلي للغة واستغل طاقاتها الكبرى لإثبات نظريته الموسومة (بالنظم) في

(٥٣) ديوان الحطيئة ص ٨١.

كتابيه (دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة). وقد رصد الدكتور محمد عبد المطلب قضايا الحداثة لديه في كتابه (قضايا الحداثة) وخص التناص بالفصل الرابع (ص ١٣٦ - ١٩٣)، لهذا أكتفي بإبراز بعض النقاط اللافتة للنظر لدى الجرجاني. فهو يقول مثلاً: «اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها؛ وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخلّ بشيء منها – وذلك أنّا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه... فيعرف لكل من ذلك موضعه ويجيء به حيث ينبغي له»[٥٤].

وهنا نسوق كلمة بارت: «ليس لدى فاعل الكتابة أو القراءة ما يقدمه للعناصر: الآثار الفنية، الملفوظات؛ ما يمكن أن يقدمه محصور في ميادين النصوص والتلفظات؛ لأن فاعل الكتابة أو القراءة مقيد بترتيبية كلامية»[٥٥].

وهذا كله عرف عند عبد القاهر خاصة وأصحاب علم الكلام عامة. فعلم مراتب الكلام وترتيبه مما اشتهر لديهم[٥٦]. ويبدو لي أن أثر الثقافة اليونانية واضح في الطرفين معاً، ولكن النقاد العرب كانوا الحلقة الواصلة بين القديم والجديد. وقد ظهر هذا بوضوح بينهم وبين تشومسكي الذي

(٥٤) دلائل الإعجاز ص ٨١- ٨٢.

(٥٥) نظرية النص ص ٤٦.

(٥٦) انظر قضايا الحداثة ١٦٣ وبعد.

بدأ ناقداً لغوياً سنة ١٩٣٠م وفيه صورة من عبد القاهر وغيره[٥٧].

ونحن لا ننكر أن نظرية عبد القاهر كانت نحوية في جملتها؛ «إذ هي علاقات نظمية خالصة» ولكنه في سياق ذلك كان يأتي على أمور حداثية كثيرة[٥٨].

وأرى أنه تحدث في النص المقروء وميزه من المكتوب، فسبق بارت، كما شدد على فعالية المتلقي وقدرته في فهم النص، لأنه بناء لغوي له نظام ترتيبي وتأليفي خاص، ودون أن يلغي مكانة المنتج ودوره في إبداع نصه... فالمتلقي لديه يستطيع تأويل النص وتفسيره، كما يمكن أن تتعدد مرات التلقي والتأويل، ويتغير المتلقي. فقال: «واعلم أن الفائدة تعظم في هذا الضرب من الكلام إذا أنت أحسنت النظر فيما ذكرت لك؛ من أنك تستطيع أن تنقل الكلام في معناه عن صورة إلى صورة من غير أن تغير من لفظه شيئاً، أو أن تحول كلمة عن مكانها إلى مكان آخر. وهو الذي وسّع مجال التأويل والتفسير حتى صاروا يتأولون في الكلام الواحد تأويلين، أو أكثر، ويفسرون البيت الواحد عدة تفاسير»[٥٩].

---

(٥٧) انظر قضايا الحداثة ص ٥٨ و٦٢ وبعد.

(٥٨) انظر قضايا الحداثة ص ٧ و١٥ و٤٣ و٥٩.

(٥٩) دلائل الإعجاز ص ٣٧٤-٣٧٥ وانظر فيه ٣٤ و٣٦ و٣٨ و٤٣ و٤٩-٥٦ و٨١ و٣٠٧ و٣٥٩ و٣٦٢ و٣٧٠، وهناك كثير من الصفحات التي يعثر فيها الباحث على دلالات تناصية... وراجع في ضوئها حاشية (٤ و١٤ و٥٥) من البحث وانظر الرسالة الشافية لعبد القاهر الجرجاني ص ١٣٣. ووازن أيضاً بين ما جاء في نظرية التناص من مفاهيم وأشكال وبين ما ورد في طبقات فحول الشعراء (١/٥ و٨ و٤٦ و٤٩ – ٥٠) وراجع حاشية (٦٨) من البحث.

وبهذا كله سبق ميشيل ريفاتير في كتبه الأخيرة عن الأسلوبية، وقد تبنى هذا فيها «مفهوم التناص كطبقة من التأول المرتبط بأفكاره عن الوجوه البلاغية»[٦٠].

ولو أمعنا النظر في كلام الجرجاني وما ورد عند أصحاب التناص ومنهم بارت لعثرنا على تقاطعات تنظيرية عديدة متشابهة إن لم تكن متطابقة، وإن افترقت الغاية بينه وبينهم أحياناً. فإذا كان أرباب التناص قد أباحوا الحرية للمتلقي، وجعلوا اللغة إشارات عائمة في نظام بنائي... فهو يفعل فيه ما يشاء تفكيكاً وتركيباً ليعيد إنتاجه من جديد وليصبح إنتاجاً جديداً؛ لا إعادة إنتاج فإن عبد القاهر احترز لنفسه من ذلك. وقد رأى أن إباحة الحرية للقارئ أو المتلقي قد تؤدي إلى المَزَلّة، وهذه تنتهي إلى الهلكة؛ ولا سيما إذا وقع النص بيد متلق جاهل. لأنه في مثل هذه الحال لن يعرف إلا «ما يريه الظاهر ثم لا يكون له سبيل إلى معرفة ذلك التقدير إذا كان جاهلاً [بعلم النظم] فيتسكع عند ذلك في العمى، ويقع في الضلال»[٦١].

---

(٦٠) التناصية أنجينو ص ٧٧ وانظر قضايا الحداثة ص ٢٣ وبعد و١٥٩وبعد.

(٦١) دلائل الإعجاز ص ٣٧٤-٣٧٥ وانظر فيه ٣٤ و٣٦ و٣٨ و٤٣ و٤٩-٥٦ و٨١ و٣٠٧ و٣٥٩ و٣٦٢ و٣٧٠، وهناك كثير من الصفحات التي يعثر فيها الباحث على دلالات تناصية... وراجع في ضوئها حاشية (٤ و١٤ و٥٥) من البحث وانظر الرسالة الشافية لعبد القاهر الجرجاني ص ١٣٣. ووازن أيضاً بين ما جاء في نظرية التناص من مفاهيم وأشكال وبين ما ورد في طبقات فحول الشعراء (١/٥ و٨ و٤٦ و٤٩ -٥٠) وراجع حاشية (٦٨) من البحث.

ولم يكتف الجرجاني بممارسة التنظير؛ بل أجرى تطبيقاً لغوياً على نصوص قرآنية فبين أثر المتلقي في قراءة النص على وجه غير صحيح، ولم ينس التطبيقات النصية المنقولة إليه من الشعر. وبهذا كله كان سابقاً في ميدان تلقي النص، وإن لم ينص على مصطلح التناص صراحة؛ لأن النية عنده متجهة إلى بناء نظرية كاملة لنظم الكلام على ترتيب سياقي بلاغي. ولعل ما يؤخذ على الجرجاني أنه ظل كسابقيه من العرب يعتمد التطبيق الجزئي، سواء في اختياره للنصوص الشعرية أو القرآنية... ولكنهم جميعاً دونه بما فيهم أصحاب أهل الكلام والناقد الفذ القديم ابن سلام.

وقد يقول قائل: إن نظرية التناص تقوم على تفكيك النص كاملاً وتحلل لغته وإشاراته كلها ثم تسعى إلى إنتاجه بتركيب جديد يبنى على رؤية المتلقي؛ فهي لا تكتفي بالوحدات النصية الجزئية. وهنا يتقدم بين يدينا ابن طباطبا (المتوفى ٣٢٢هـ) الذي سعى إلى إثبات نصوص كاملة؛ وإن لم ينس الأبيات المفردة لبيان (عيار الشعر) لديه وهو عيار مرتبط بالمتلقي؛ فيقول: «وعيار الشعر أن يورد على الفهم الثاقب فما قبله واصطفاه فهو وافٍ، وما مجه ونفاه فهو ناقص»، ومن ثم قنن معاييره؛ دون أن ينسى ما للحكايات الشعرية من استفزاز لتلقي السامع لها[٦٢]. واشترط في ذلك كله ألا يزيل المتلقي كلام الشاعر عن جهته؛ «لأن الكلام يملكه حينئذٍ فيحتاج إلى اتباعه والانقياد له»[٦٣].

(٦٢) عيار الشعر ص ٢٧ وراجع فيه ٢٧- ٣٠ و٥٩ وبعد.

(٦٣) عيار الشعر ص ٥٨.

وحين كان غرض ابن طباطبا تعليمياً استحسن أن يحذو السامع، أو المتلقي حذو المشهور من النصوص القديمة وتميز شعرائها فقال: «وأكثر ما يستحسن الشعر تقليداً على حسب شهرة الشاعر وتقدم زمانه»(٦٤).

أما أبو سليمان الخطابي (المتوفى ٣٨٨هـ) فقد استفاد من سابقيه، وحاول تطبيق العلامات اللغوية على مقطعي الليل عند امرئ القيس والنابغة الذبياني؛ واحتج لكل منهما بناء على الدلالية اللغوية وإشاراتها(٦٥).

ثم جاء الباقلاني فاتخذ «من تقسيم أنواع الأداء طريقاً لإثبات تفرد القرآن وانفصاله عنها، سواء في ذلك ضروب الصناعة وطرقها في الكلام المعدل المسجوع أو الموزون غير المسجع أو الذي يرسل إرسالاً»(٦٦). وأطال الحوار بين نص معلقة امرئ القيس والنص القرآني مُفككّاً ومركباً، ومعارضاً، ومقابلاً بنصوص أخرى؛ فبيّن وجوه التماثل والاختلاف – وهو ما تصر عليه نظرية التناص – فنقل ظاهرة التلقي لنص كامل إلى مرحلة التطبيق؛ مبرزاً أهمية ثقافة المتلقي ومعرفته اللغوية والنقدية في إغناء النص وتمييز جيده من رديئه(٦٧).

وفي ضوء ما تقدم كله يصبح النص الشعري مغايراً لجنس أي نص آخر؛ ولهذا قال حازم القرطاجني مشدداً على مهمة المتلقي: «وليس ما

(٦٤) عيار الشعر ص ٩٠.

(٦٥) انظر بيان إعجاز القرآن ص ٦٢- ٦٣.

(٦٦) قضايا الحداثة ص ٣٨.

(٦٧) انظر إعجاز القرآن على هامش الإتقان ٢/ ١٢-٥٠.

يكون نصّاً على الشيء في تمكين إلقائه من النفس طبقاً له مثل ما لا يفهم الشيء منه إلا بطريق ضمن أو لزوم».

ومن هنا يشدد على تميز النص الشعري لتميز علاماته اللغوية فيقول: «وأيضاً فإن الأقاويل الشعرية يحسن موقعها من النفوس من حيث تختار مواد اللفظ وتنتقي أفضلها وتركب التركيب المتلائم المتشاكل وتستقصى بأجزاء العبارات التي هي الألفاظ الدالة على أجزاء المعاني المحتاج إليها»[٦٨]. ويقول في موضع آخر عن تلقي المنشئ نفسه نفسه لإنتاج نصوصه: «قد يعرضها الناظم على نفسه فيظهر له بعرضها أمور كانت قد خفيت عنه من إلحاقات وإبدالات وتغييرات وحذف.

وقد يعرض للشاعر موضع يرى أنه خليق بالتغيير أو الزيادة فيتعذّر عليه ما يليق بالموضع من التغيير أو الزيادة فيرجئ النظر فيه إلى وقت آخر»[٦٩].

إذن؛ تركت نظرية التناص البناء اللغوي وإشاراته للمتلقي؛ وهذا ما سبق به العرب تلك النظرية؛ ومارسوا التنظير والتطبيق معاً، ولكنهم لم يقعوا على مصطلح (التناصية) وإن استخدموا كلمة (النص). فهل العبرة في المصطلح الذي وفد إلينا من الغرب وتعلق به بعض منا وجعلوه فتحاً مبيناً أم التعلق بمفهوم المصطلح ودلالته وآلياته وهي مما عرفه العرب؟!!.

---

(٦٨) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص ١١٩.

(٦٩) المصدر السابق ص ٢١٥ وانظر فيه ٢١٦ وما بعدها.

ومن هنا ينبغي أن نتعرف إلى هذه الآليات في اتجاهها وأشكالها وفعاليتها.

آليات التناص والامتداد الثقافي:

- اتجاهاتها (كيفية التعامل مع النص):

لم يستطع النقد في يوم ما أن يقضي على مذهب أدبي ليحل محله مذهباً آخر، أو ليطمس ثقافة ما تفاعل معها أحد المبدعين. فهناك تفاعل خاص يتحكم به المنشئ داخل السياق، وهو وحده من يحدث عملية الانزياح الأولى. وبهذا ينتقل من مرحلة النص المفقود إلى مرحلة النص الموجود؛ أي مما قبل النص إلى ما بعده في معاناة شديدة... ولعل هذا ما كنا نجده بشكل دقيق في ممارسة عدد من الشعراء والنقاد العرب للتجربة النصية. وهي ممارسة تتم وفق آليات محددة تنطلق من الذات المبدعة إلى الإرث النصّي، أو قد تتوقف عند النص المتخيل وتتشبث به ليصبح موجوداً. لهذا آثرنا تسمية كيفية التعامل مع النص السابق ومن ثم الموجود بالاتجاه. والسبب في هذا أن آلية كيفية التعامل اتجهت اتجاهين اثنين؛ الأول خارجي والثاني داخلي. وإذا كان (مرتاض) قد لحظ هذا في نظرية التناص فإنه قد أدمج الاتجاهين قائلاً: «إذن فلا غير ولا ذات، ولا ذات ولا غير وإنما هناك امتزاج حتمي بين الذاتية والغيرية»[٧٠].

(٧٠) الكتابة أم حوار النصوص ص ١٨ وانظر انفتاح النص الروائي ٩٤-٩٥.

وعلى أهمية هذه المسألة في الفن عامة والأدب خاصة تبقى الدوافع الموضوعية المكون الأكبر للاتجاه الخارجي، وسبباً قوياً في توجيه الاتجاه الداخلي؛ إن لم نقل: إنها تكونه.

فالاتجاه الخارجي يتمثل بالإرث الثقافي الذي يفد إلى المبدع من كل مكان، وفي كل زمان، غير عابئ بالحدود المكانية والزمانية. وعليه أن يتكيف مع هذا الإرث متنخلاً منه ما يحتاج إليه، ومكوناً صوراً مستمدة منه لكنها مغايرة له، ويدخل فيه (التناص الخارجي والداخلي) سواء أكان النص قديماً أم مُعاصراً.

هذا ما فعله الشاعر الجاهلي سواء ذلك الذي تنخل من قصائد الشعراء القدامى صوره وكون نصّاً جديداً له، أو ذاك الذي تنخل من شعراء عصره... وكل منتج أو كاتب في رأي رولان بارت «يكتب منطلقاً من لغته التي ورثها عن سالفيه؛ والكتابة هي شيء يتبناه الكاتب». وهذا الرأي لا يختلف كثيراً عما عرض له عبد القاهر[٧١].

إن الرؤية الدقيقة إلى هذه المقولة تنبئ بأن شعراء العربية لم يخرجوا عن ذلك، فتداخل النصوص في ضوء الاتجاه الخارجي، وفي ضوء لغتهم الموروثة أساس انبثاق تجربتهم الإبداعية في حالتي المماثلة والمخالفة. من هنا نفهم تذمر عنترة في مطلع معلقته من كثرة النصوص السابقة له، فلم يترك أصحابها ما يقوله، «وقد أدرك الشعر بعد أن فرغ الناس منه و لم يغادروا له

(٧١) الخطيئة والتكفير ص ١٢ وانظر دلائل الإعجاز ص ٣٦٢- ٣٦٣.

شيئاً» على حد قول ابن رشيق، فيقول(٧٢):

هل غادرَ الشعراءُ من مُتَرَدَّمِ أمْ هل عرفتَ الدار بعد توهُّمِ؟!!

وفي هذا الاتجاه تقع تجربتا امرئ القيس وكعب اللتان سبق ذكرهما، وكلها تؤكد أسبقية القدماء العرب إلى ملاحظة هذه الظواهر التناصية.

فكل منتج يكون نصّاً جديداً من نصُوص قبلية وربما تكون من إنتاجه كما يتضح لنا من تجربة الشاعر الأموي سُويد بن كراع العكلي حيث يقول(٧٣):

أَبيتُ بأبواب القوافي كأنّما أُصادي بها سِرباً من الوحش نُزَّعَا
أُكالئُها حتى أُعرّس بعدما يكون سُحَيراً أو بُعيداً فأهجعَا
عواصيَ إلا ما جعلتُ أمامَها عصا مِرْبد تغشى نحوراً وأذرُعا
أَهَبْتُ بغُرّ الآبدات فراجعت طريقاً أملّته القصائد مَهْيَعا
بعيدةُ شأوٍ لا يكاد يَرُدُّها لها طالبٌ حتى يكِلَّ ويَظْلَعا
إذا خِفْت أن تُروى عليَّ رَدَدْتها وراءَ التراقي خشيةً أن تطلّعا
وجشَّمني خوفُ ابن عفّان ردَّهَا فثقّفْتها حَولاً حرِيداً ومَرْبَعا

لو قرأنا الأبيات بتدبر وفق مفهوم نظرية التناص واتجاهاتها؛ لتبينا

(٧٢) العمدة ١/ ٩١ وديوان عنترة ص ١٨٢.

(٧٣) البيان والتبيين (٢/ ١٢). أصادي: أخاتل وأخادع. نزعا: غريبة. أكالئها: أراقبها. أعرس: أنزل بها سَحَراً، أي أعالجها إلى وقت السحر، ويعني القوافي. أهبت: دعوت. الآبدات: المتوحشات؛ أي القوافي الشاردة. أملته: سلكته. المهيع: الواسع المنبسط. تروى علي: أي عني. الحريد: الكامل.

شدة المعاناة عند الشاعر لإيجاد النصّ المتخيل في ذهنه من نُصوص كثيرة له ولغيره. فكلما حاول الاقتراب منه وجد أنه لم يتشكل؛ وهذا ما يتضح في البيت قبل الأخير. فصورة هذه القصيدة تنبئ بأنها بنيت على أساس من الاتجاه الخارجي للنُصوص السابقة، وهي تجربة نصّية وإن كانت مباشرة لكنها لم تنته إلى التقليد، وفق ما انتهى إليه ميشال أريفي فيما زعمه عن التناص المباشر أو التقليد(٧٤). فآلية الشاعر الذاتية أدركت بوعي كامل الإرث النصّي السابق فلجأت إلى المعارضة والمماثلة والاختلاف ومارست عملية الانزياح لكسر الاتجاه الدلالي للوصول إلى غايته؛ فضلاً عن الانزياح في اللغة النصية. وهو ما تبينه حازم القرطاجني ونظّر له(٧٥).

ولم يكن هذا مقتصراً على الشعراء فالناقد العربي القديم ابن سلام أجرى تجربته النقدية في ضوء الممارسة الدقيقة للنصوص الشعرية لشعراء طبقاته. فكانت هذه النصوص تطوف كاملة بخياله، معززاً إياها بتنخل الأخبار عنها وعن صاحبها؛ مما هيأ له الوصول إلى أحكام نقدية جعلته ينزل الشعراء في منازلهم. ومما قاله: «ففصلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام، والمخضرمين... فنزلناهم منازلهم واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حجة وما قال فيه العلماء»(٧٦).

أما الاتجاه الداخلي لدينا فيمثل (التناص الذاتي)؛ في نظرية التناص،

---

(٧٤) انظر الكتابة أم حوار النصوص ص ١٤ حاشية ٤.

(٧٥) انظر منهاج البلغاء ص ٢١٣- ٢١٦.

(٧٦) طبقات فحول الشعراء (١/ ٢٣-٢٤ وانظر فيه ٢٦ و٤٩- ٥٠).

لأن التفاعل يتم مع نصوص المنشئ ذاته لغة وأسلوباً ونوعاً، سواء أكانت قديمة أم محدثة جديداً. ولعل هذا ما يتمثل لدينا في الشعر الجاهلي على اختلاف الشكل الخارجي، بينه وبين نظرية التناص، وعلى المستويين الأفقي والعمودي. فقد يحس المنشئ أن نصه مازال ظلاً لنصوص سابقة، أو أنه يتّصف بالأحادية في الدلالة واللغة... مما يجعله ينكفئ على نصه الموجود ويمارس عليه عملية الانزياح والتغيير مماثلة ومخالفة لتنتهي التجربة النصية الإبداعية إلى شكلٍ راقٍ. فالتناص الذاتي في عرف نظرية التناص طريقة نقدية راقية. وتصبح مرحلة ما قبل النّص في الاتجاه الداخلي مغايرة أو مختلفة عنها في الاتجاه الخارجي، ولكنهما نابعتان من وعي كامل عند المنتج... فالتناص الذاتي يعزز مقولة إلغاء نصوص الآخرين الأخرى، ويدخل في تجربة جديدة تنطلق من نصوصه الموجودة، وينتقل المنتج ليصبح متلقياً يمارس على نصّه سلطة مطلقة لإيجاد نص آخر متخيل يرضاه؛ فالخارجي عام والداخلي مقيد(٧٧).

وهذا الوجه المشار إليه جزء أصيل من التناص الذاتي في نظرية التناص في ضوء المراحل المتعددة التي حددتها للإنتاج النصي. فلديها ما عرف بالقبلية والبَعْدية... فلديها ما قبل النص، والنص، وما وراء النص؛ وما فوق النص، وما تحت النص، وما بين النص،... والنص المفقود والنص الظل

---

(٧٧) انظر انفتاح النص الروائي ٩٤- ٩٥ والقارئ سلطة أم تسلط ص ٢٤-٢٥ ووازن ذلك أيضاً بما أورده ابن طباطبا في (عيار الشعر ص ١٤٦).

واللاحق وغير ذلك من المصطلحات التي عرفها الغرب[٧٨].

وقد يظن أحدنا أن هذه المصطلحات من صنيع الغرب ولكنه لو دقق فيما قاله حازم القرطاجني لذهل من المفاجأة؛ إذ يقول: «وللشاعر المروّي في كل قسم أربعة مواطن للبحث:

١- موطن قبل الشروع في النظم.

٢- وموطن في حال الشروع.

٣- وموطن عند الفراغ يبحث فيه عما هو راجع إلى النظم.

٤- وموطن بعد ذلك متراخٍ عن زمان القول يبحث فيه عن معان خارجة عما وقع في النظم لتكمل بها المعاني»[٧٩].

وهذا يعني أنه يقنن لعملية التلقي عند مدرسة (عبيد الشعر) وأمثالها، كزهير والحطيئة وأشباههما[٨٠]. وتلقى هؤلاء نصوصهم الموجودة بوعي فطري عالٍ، وحسٍّ فني دقيق باللغة والصورة... فكان أحدهم يجوّد جميع شعره، ووقف عند كل بيت قاله، وأعاد فيه النظر حتى يخرج أبيات القصيدة كلها مستوية في الجودة»[٨١]. أي أنه يحاول الانتقال من النص

(٧٨) انظر مثلاً: التناصية (ليون سُمفل ص ١٠٦) وطروس الأدب على الأدب (جيرار جينيت ١٢٨) والأدب العام المقارن ص ٢٨ وانفتاح النص الروائي ص ٩٣ و١٠٠ ومتاهة التناص (ص ٥١) والنص والنص المضاد (ص ٤٤).

(٧٩) منهاج البلغاء (ص ٢١٤).

(٨٠) البيان والتبيين (٢/ ١٣).

(٨١) البيان والتبيين (١٤/٢).

الموجود إلى النص المتخيل وبالعكس، كما تقول نظرية التناص. لهذا لا يمتنع عنده أن «يدع القصيدة تمكث حولاً كريتاً، وزمناً طويلاً يردد فيها نظره، ويجيل فيها عقله، ويقلب فيها رأيه اتهاماً لعقله وتتبعاً على نفسه؛ فيجعل عقله زماماً على رأيه ورأيه عياراً على شعره إشفاقاً على أدبه»[٨٢].

وهذا الضبط والتقنين من الشاعر المنشئ أولاً وهذا التنظير من النقاد يعد أعلى طبقة نصّية من تلك الحرية المطلقة للمتلقي في التلاعب بالنص، وهو تلاعب يغاير ما أثبتناه؛ وذلك ما تبينه الحطيئة فقال: «خير الشعر الحولي المحكك»[٨٣].

وهناك نمط آخر يشابه ما تقدم من عملية تلقي النص، ولكنه تلق بوساطة القراءة على المنتج؛ إذ روى التبريزي موقفاً له مع المعري قائلاً: «كان يغير الكلمة إذا قرأتُ عليه شعره»[٨٤].

فعملية التناص منصبة عند مدرسة عبيد الشعر وغيرها على البناء اللغوي وإجراء الانزياح الملائم للشفرة النصية. ولعل هذا ما تنبه عليه الجاحظ من قبل حين شدد على أن الشأن في القصيدة إنما هو «في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج»[٨٥]. ومفهوم التناص الداخلي يبيح للناص إشهار قانون

---

(٨٢) البيان والتبيين (٢/٩).

(٨٣) البيان والتبيين (٢/ ١٣) والعمدة (١/٢٠١) وراجع حاشية ٦٩ من هذا البحث.

(٨٤) شروح سقط الزند (١/ ٣) وانظر النص والنص المضاد (ص ٤٧).

(٨٥) الحيوان (٣/ ١٣١) وانظر ردّ الجرجاني عليه وعلى أهل الاعتزال في (دلائل =

الاختلاف والمغايرة ليقوض بناء نصه الموجود؛ مثلما قوّض بناء النصوص السابقة.

ويعد التناص الذاتي أقصى ما انتهت إليه التناصية، فالناص يمارس عملية تفكيك نصه ليعيد تركيبه، وهذا يشبه ما عند الشعراء الذين أشرنا إليهم وعند أمثالهم، وما ذكره الجاحظ عند مدرسة عبيد الشعر. ولكن الجاحظ والنقاد العرب الآخرين ساقوا ما ورد لدى نظرية التناص من مفاهيم وآليات باصطلاحات استمدوها من لغتهم وثقافتهم. وهنا يتبادر سؤال للذهن: هل العبرة في شكل المصطلح أو في دلالة تصوره النقدي؟!.

وهنا يفرض البحث علينا أن نشير إلى مسألة صناعة الشعر والتنظير لها عند النقاد العرب؛ وكيفية ممارسة المنشئ لنصه؛ فينتقل من مرحلة النتاج للنصوص السابقة إلى مرحلة الإنتاج مثله في هذا مثل القارئ في نظرية التناص. ويعد ابن سلام (المتوفى ٢٣١هـ) من أوائل من أشار إلى ذلك، ولكن ابن طباطبا (المتوفى ٣٢٢هـ) من أحسن من بدأ التنظير لها، وكذا فعل الخطابي (المتوفى ٣٨٨هـ) وأخذ عنهم جميعاً ابن رشيق (المتوفى ٤٥٦هـ) وعنه أخذ ابن خلدون (المتوفى ٨٠٨هـ) وإن ادعى أن ابن رشيق قد سبق إلى التنظير في مسألة صناعة الشعر.

ولكن ابن خلدون ذهب مذهباً بعيداً في المسألة جعلته يقترب اقتراباً شديداً مما جاءت به نظرية التناص في إثبات آلياتها ومفاهيمها. فالشاعر

=الإعجاز ص ٤٤ وبعد و ٤٩ و٥٧- ٦٥ و٣٦٥) وراجع ما ذكرناه في كتابنا (قصيدة الرثاء ص ٧٥- ٧٦).

(المنشئ) يحتاج إلى ثقافة وخبرة ومعرفة في البلاغة والنحو والعروض وأيام العرب وأخبار، وفي الفقه واللغة... وأن يأخذ نفسه بحفظ الشعر وروايته... فإذا تجرد هذا كله في ذهنه من القوالب – أي نسي صورة شكل النصوص السابقة – حذا «حذوه في التأليف كما يحذو البنّاء على القالب والنسّاج على المنوال»... ولا ينشئ نصه إلا في أوقات النشاط والفرح «فذلك أجمع له وأنشط للقريحة أن تأتي بمثل ذلك المنوال الذي في حفظه»(٨٦).

إن ما انتهى إليه ابن خلدون وسابقوه «يندرج ضمن نظرية التناص المبكرة عند العرب» وإن لم يطلقوا مصطلح التناص على ذلك فهذا لا يعني أنهم غير مدركين لمفهومها الذي «فتن الناس في العصر الحاضر»(٨٧).

في ضوء ما تقدم تبين لنا أن النقاد العرب تناولوا في نقدهم وجوهاً كثيرة لنظرية التناص. وأدركوا أن إنتاج نص ما لا يأتي من فراغ... وظلت رؤيتهم متجهة غالباً إلى المنشئ دون إهمال للمتلقي؛ بل إن المنشئ عادة

(٨٦) مقدمة ابن خلدون (ص ٥٧٢ و٥٧٤ وانظر فيه الفصول التي تحدث بها عن الشعر وصناعته ٤٥- ٤٩ على التتابع) وانظر العمدة (١/ ١٩٦ باب في آداب الشاعر و١/ ٢٠٤ باب عمل الشعر وشحذ القريحة) وانظر عيار الشعر (١٩- ٢٠ صناعة الشعر) وبيان إعجاز القرآن ص ٣٦ وراجع ما قاله الجرجاني في (دلائل الإعجاز ص ٣٥٩- ٣٦٠ و٣٦٢- ٣٦٣)؛ وانظر ما قاله ابن سلام قبل هؤلاء جميعاً في (طبقات فحول الشعراء ١/ ٥ وبعد).

(٨٧) انظر الكتابة أم حوار النصوص ص ١٧ وقارن بين ما ورد لدى نظرية التناص وما ذكره حازم القرطاجني في (منهاج البلغاء ص ١٩٩).

يضع المتلقي في حسبانه. وهذا ما يمكننا تبينه من أشكال التناص فقد عرفوا التضمين والاقتباس والمعارضة والإيحاء؛ وغير ذلك من المصطلحات لكنها لم تجتمع في إطار تنظيري موحد كما في نظرية التناص؛ وهو حديثنا التالي.

أشكال التناص:

تؤكد الأشكال النقدية لنظرية التناص أنها نظرية نقدية متقدمة؛ لأنها استطاعت بآليتها المتعددة أن تصبح أداة لنقد أي نص من أي نوع كان، ومن أي ثقافة نبت.

فالنقد ينطلق من تواري نصوص سابقة وراء نص جديد أولاً؛ وبمحاولة الكشف عن شفراته يصبح - ثانياً - مفتاحاً لفهمه، وتفكيكه وإعادة تركيبه؛ لتمييزه من النصوص السابقة له على مر الزمن. فهو تكرار إنتاجي بصورة مغايرة؛ فإذا عمد المتلقي إلى تأويله صار إنتاجاً جديداً. فالتناصية - بهذا الفهم - أداة معرفية لفهم كيفية إنتاج النص؛ وأداة معرفية لإنتاج الخطاب الجديد في الوقت نفسه(٨٨).

فالتناصية - باعتبارها نظرية نقدية - غَدت الآلية الخاصة بالقراءة الأدبية والنقدية الجديدة في سياقها التناصي، وقراءتها التأويلية للنص.

فإذا قمنا بالموازنة بينها وبين ما ورثته من النظريات السابقة لها في الغرب؛ وما وصل إليها من تأثير ثقافي من العرب خاصة أدركنا مدى ما

---

(٨٨) انظر طروس الأدب على الأدب (جيرار جينيت ص ١٢٦) وانفتاح النص الروائي (٩٥-٩٩) ومتاهة التناص (ص ٥٤).

ارتقت إليه الدراسة النصية على يديها. وهذا لا يشعرنا بالدونية تجاهها؛ مما يجعلنا نسعى إلى الانتقاص من شأنها؛ وإعادة أشكالها كاملة إلى الثقافة العربية كما فعل عبد الملك مرتاض حين قال: «والتناصية إن شئت اقتباس؛ وهذا مصطلح بلاغي صرف؛ ولكنه الآن مسطو عليه من السيمائية التي بادرت إلى إلحاقه بالتناصيات واستراحت، بل إنها ألحقت الأدب المقارن نفسه بنظرية التناص وبكل جرأة»(٨٩).

فالباحث ينص صراحة على أنها اقتباس، وهو مصطلح بلاغي عربي؛ وهذا لاشك فيه؛ ولكنها لم تتوقف عنده، ولم تكتف به لأنها دفعته باتجاه نقدي في إطارها التكاملي لأشكالها التي قامت عليها. وأنا لا أنكر عليه رؤيته؛ لأنني موقن بأن التناصية صك جديد لامتداد ثقافي نقدي لغوي غربي وعربي في آن معاً، بيد أنني أنبه على مغالاته بإرجاع أشكال التناص، النظرية كلها إما إلى الاقتباس وإما إلى السرقة.

«إن التأمل فيما هو تناص سيسمح بإيضاح تلك الأشكال التي أهملتها الممارسة الأدبية؛ والتي تسمى السرقة والمحاكاة الساخرة والهجاء والمونتاج والفصل والسخرية والإلصاق والخطية والمقطعية»(٩٠).

وتركزت هذه الأشكال التي حددها مارك أنجينو في إطارين اثنين:

---

(٨٩) الكتابة أم حوار النصوص ص ٥٤ وانظر الخطيئة والتكفير ص ٣٢٠ والأدب العام المقارن ص ٢٧-٢٨ و١٠٦.

(٩٠) التناصية (أنجينو ص ٦٩).

العفوية وعدم القصد تارة والقصد والوعي الكامل تارة أخرى[٩١].

فمصطلح بلاغي واحد أو أكثر لا يمكن أن يقابل نظرية التناص التي جعلت هذه المصطلحات وغيرها أشكالاً في بنيتها النقدية من أجل الكشف عن ماهية النص أولاً وإعادة إنتاجه ثانياً، على إقرارنا بالامتداد الثقافي، وتراكمه عند الأمم كلها.

ولهذا فنحن لا نتفق مع (مرتاض) اتفاقاً مطلقاً في رد مفاهيم أشكال التناص إلى مفاهيم المصطلحات البلاغية العربية؛ وإن لمسنا تأثر كثير منها بذلك. فهو يرى أن «التناص تقاطع وتواصل ومقابسة ومغامصة وموامقة»؛ ثم ينتهي إلى أن هذه الأضرب تنتهي إلى شكل جديد؛ فيقول: «ومن أهمها شأناً: التناص المباشر أو التام، والتناص الضمني أو الناقص، والتناص العائم أو المذاب؛ وهو الذي لا يكاد يعرفه أي محلل للإبداع»[٩٢].

هناك تواصل وتقاطع بين الثقافة العربية ومصطلحاتها البلاغية وبين مصطلحات نظرية التناص، ولكن كثيراً من مفاهيمها الدلالية قد تغيرت؛ فضلاً عن آلية استعمالها.

ويمكننا أن نصنف أشكال التناص في نمطين اثنين كبيرين - أشار إليهما الناقد ليون سُمفل - وهما: التناص المباشر، والتناص غير المباشر[٩٣].

(٩١) انظر قضايا الحداثة ص ١٥٣.

(٩٢) الكتابة أم حوار النصوص ص ١٧ وانظر الخطيئة والتكفير (ص ٣١٧).

(٩٣) انظر التناصية (ليون سُمفل ص ١٠٦- ١٠٧) وقضايا الحداثة ص ١٣ و١٥٤- ١٥٩.

ويمكن أن نلحظ أن كثيراً من المصطلحات التناصية إنما تعود في أصولها إلى البلاغة العربية وإن اتجهت اتجاهاً نقدياً جديداً. ويشتمل التناص المباشر على ما يلي: التناص المنحسر والمتسع؛ ويتمثل كما قال محمد خير البقاعي برسالة ابن القارح ورسالة الغفران؛ والسرقة والاقتباس والتضمين والأخذ والاستعانة والمعارضة، والحل والاستشهاد والتغاير... وغير ذلك من المصطلحات البلاغية العربية. أما التناص غير المباشر فإنه يدخل فيه المجاز والتلميح والتوليد والإيحاء والتلويح والكناية والرمز... وقد يدخل فيه التضمين في بعض صوره[٩٤].

وأياً كانت أشكال التناص؛ فهي معتمدة على فهم المتلقي وتحليل إشاراتها النصية... وأدرك الجرجاني هذا في غير ما موضع من كتابه (دلائل الإعجاز)[٩٥]. وحين عرف الجرجاني وزملاؤه من العرب هذه المصطلحات البلاغية كانت مقصودة لذاتها في دراسة الأساليب البلاغية للنص؛ و لم تجتمع في دائرة نقدية وبلاغية واحدة؛ كما عليه الحال في نظرية التناص؛ لا نستثني من ذلك إلا مصطلحات السرقة فكلها تدخل في هذا الباب سواء أكانت مليحة أم قبيحة مثل الأخذ والاجتلاب والاغتصاب والتضمين... كما أن تطبيقاتهم كانت جزئية تدور غالباً في إطار البيت الواحد. وقد ذكر

---

(٩٤) انظر انفتاح النص الروائي (٩٧) ودراسات في النص والتناصية (ص ١٣٩ حاشية ١٢) والكتابة أم حوار النصوص (ص ١٦- ١٧) وراجع ما ورد – مثلاً – في (العمدة ١/ ٢٦٣- ٢٦٤ و٣٠٤- ٣٠٧ و٢/ ٣٥ و١٠٠-١٠٤).

(٩٥) انظر دلائل الإعجاز ص ٢٩٢- ٢٩٣ و ٣٠٥ و٣٠٨ و٣٥٤ وراجع حاشية (٥٩ و٦١) مما تقدم وانظر أيضاً في (بيان إعجاز القرآن ص ٦٢-٦٥).

التبريزي أن الشعراء «في القديم يأخذ أحدهم البيت المشهور من شعر غيره فيزيده في شعر نفسه على المعنى الذي يسمى التضمين. ومن ذلك أن بني سعد بن زيد مناة ينشدون لرجل منهم يقال له شِقّة:

ولستَ بمُسْتَبْقٍ أخاً لا تَلُمُّه　　على شَعَثٍ أيُّ الرجال

وهذا البيت مروي في شعر النابغة»[٩٦].

ويرى ابن سلام في هذا: أن العرب تفعل ذلك ولا تريد به السرقة؛ ولكنه زيادة في شعر الشاعر من شعر آخر مشهور كالمثل المشهور؛ فهو ليس من باب السرقة، أو الاجتلاب؛ وعليه قول النابغة الآخر؛ وهو[٩٧]:

تعدو الذئاب على من لا كلابَ له　　وتتقي مربضَ المُسْتَثْفِرِ الحامي

أخذه الزبرقان بن بدر فقال[٩٨]:

إن الذئاب ترى من لا كلاب له　　وتحتمي مربض المستثفر الحامي

وتعددت مصطلحات السرقة في النقد العربي القديم[٩٩]، ولم تقتصر

(٩٦) طبقات فحول الشعراء (١/ ٥٦- حاشية ٥) وانظر ديوان النابغة الذبياني – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – ص ٧٤.

(٩٧) انظر طبقات فحول الشعراء (١/ ٥٧- ٥٨) وديوان النابغة الذبياني – (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ص ٨٤- وتحقيق د. شكري فيصل ص ٢٢٢).

(٩٨) طبقات فحول الشعراء (١/ ٥٨) وقد رواه صاحب (شعر الزبرقان بن بدر ص ٥٢) مطابقاً لرواية ديوان النابغة.

(٩٩) عني العرب ببحث السرقات منذ ابن سلام؛ ثم ألفوا فيها كتباً فيما بعد، وتعددت مصطلحاتها لديهم؛ وليس هذا مجالها ولكن انظر – مثلاً – (عيار الشعر ص ٩١ والعمدة ٢/ ٢٨٠- ٢٩٤).

على البيت الواحد فربما انتهت إلى القصيدة برمتها، أو إلى المنهج الفني ذاته لبناء النص كما وجدناه بين امرئ القيس وعمر بن أبي ربيعة[١٠٠].

والتناص – كما تنتهي إليه النظرية – قد يكون بغير وعي من المبدع، ولعل هذا ما تنبه عليه القاضي الجرجاني في مذهب السرقات فقال: «ومتى أجهد أحدنا نفسه، وأعمل فكره وأتعب خاطره وذهنه في تحصيل معنى يظنه غريباً مبتدعاً، ونظم بيت يحسبه فرداً مخترعاً ثم تصفح الدواوين لم يخطئه أن يجده بعينه، أو يجد له مثالاً يغض من حسنه»[١٠١].

فما فعله النقاد العرب يعد جزءاً أصيلاً من مفاهيم نظرية التناص وأشكالها؛ بل إن نصّ الجرجاني هذا يعد سابقاً فيه لأصحابها... ولكن ذلك كله على أهميته لم يشكل نظرية متكاملة لفهم النص، وإبراز أشكال التناص فيه.

وإذا رددنا النظر في التناص المباشر القائم على مفاهيم السرقة والاقتباس والتضمين...و... لما وسعه الحديث، فالعرب أدركوا ذلك بوعي كامل؛ كما أدركوا التناص غير المباشر ولكنهم لم يقعوا على هذا المصطلح، وإنما وقعوا على مصطلحات أخرى. ولعل الإيحاء والتلميح من أبرز الأمثلة لديهم كما في قول عبدة بن الطبيب في رثاء قيس بن عاصم[١٠٢]:

---

(١٠٠) انظر في الأدب الجاهلي ص ٢٠٧.

(١٠١) الوساطة بين المتنبي وخصومه ص ٢١٤.

(١٠٢) الأغاني (٢١/ ٢٥).

فما كان قيسٌ هُلْكُه هُلْكَ واحدٍ ولكنه بنيانُ قومٍ تهدَّمَا

فهذا النص مستمد من قول امرئ القيس[١٠٣]:

فلو أنَّها نفسٌ تموت جميعةً ولكنها نفسٌ تَسَاقطُ أنفُسَا

فمن أراد التعرف إلى العلاقة بين النصين السابقين لابد أن يديم النظر فيهما لإدراك ذلك؛ وهذا ما نفذ إليه التبريزي وأخذه منه الأبشيهي[١٠٤].

وما أورده التبريزي شديد الشبه بما يدعيه أصحاب نظرية التناص عن التناص غير المباشر، وعلاقته بالنص الغائب. فقال بعضهم: «تتعطل أية عملية فهم واستيعاب لهذا النص المركب؛ ولهذه الدلالة الغامضة بدون معرفة حقيقية بهذا النص الغائب وتخريج معانيه وإضاءة ظلماته»[١٠٥].

إن أشكال نظرية التناص تثبت أن طريقة معالجتها لنصّ ما تختلف اختلافاً شديداً عن تلك الأشكال الممتدة في الإرث الثقافي العربي على شدة الشبه بينهما. وهي تثبت في الوقت نفسه أن الغربيين صاغوا أفكارهم بمنطق جديد ينتهي إلى وظائف وغايات، وإلا فقدت نظرياتهم مسوغ بقائها، فكل شكل لديهم كان ينتهي إلى فعالية معينة إيجابية أو سلبية.

وهذه الرؤية في التنظير تسير وفق نظام لا متناهٍ من التقاطعات الثقافية في مفهوم نظرية التناص؛ بينما كانت ومازالت لدينا رؤية جزئية لأشكال

---

(١٠٣) ديوان امرئ القيس ص ١٠٧.

(١٠٤) انظر شرح ديوان الحماسة – التبريزي (٢/ ١٤٦) والمستطرف (١/ ٦١).

(١٠٥) النص الغائب ص ٥٣.

نقدية جزئية. فهناك فارق شديد في طريقة المعالجة وفي بيان الهدف منها؛ وهو ما نشير إليه أخيراً في إطار فعالية نظرية التناص.

فعالية نظرية التناص:

حاولت نظرية التناص أن تجعل القارئ يملك النص ويدرك بنيته في جمله بما تحمله من علامات وشفرات؛ ولم تحاول رصد موقف المنشئ؛ لأنها اكتفت بالتفاعل النصي الداخلي والخارجي، وبالتفاعل الذاتي في شكلين أفقي وعمودي على المستوى العام والخاص. ويكفي المنشئ أنه قال النص، فلا أبوة له(١٠٦).

والسؤال الذي يتبادر للذهن: من الذي يقود الآخر: النص أم المتلقي؟ وما مدى صحة مقولة أصحاب التناص من أن المنشئ لا يزور نصه إلا ضيفاً؟ ونحن لا نشك أن النص حمال وجوه دلالية بعيدة وقريبة يتعرف إليها المتلقي تبعاً لثقافته المعرفية واللغوية. فالنص «يأخذ مظهره المادي في علاقته بالقارئ»(١٠٧).

إن وظيفة الخطاب التواصلية مستندة إلى وظيفة نصية كامنة في علامات النص وشفراته؛ ولكن هذه الوظيفة كانت من قبلُ في يد المنشئ قبل صدورها عن النّص؛ وقبل تلقيها من القارئ. فالمنشئ وحده الذي منح نصّه فعالية إيجابية أو سلبية؛ فالبنيات «النصية التي تفاعل معها النص، وكما

(١٠٦) انظر الخطيئة والتكفير ص٦٢- ٦٣ وانفتاح النص الروائي ص١٢٣ -١٢٦.

(١٠٧) انفتاح النص الروائي ص ١٤ وانظر فيه ٩٥.

تقدم لنا من خلال النص نفسه» إنما هي بنيات مقدمة من المنشئ المستند إلى وضع تاريخي وثقافي ولغوي محدد[١٠٨]. ولهذا فإني لا أستطيع أن أفصل بينها وبين المنشئ كما انتهت إليه نظرية التناص؛ هذا إذا أهملنا الدوافع الذاتية لإنتاج التجربة النصّية، كما يتضح لنا من قول الحطيئة: «كفاكم - والله - بي إذا أخذتني رغبة ورهبة ثم عويت في إثر القوافي عواء الفصيل في إثر أمه»[١٠٩]؛ فالفن خاصة نصّ يرتبط بالدوافع التي أشار إليها القدماء من العرب[١١٠]. وبهذا الوعي نُرجع مقالة التناصيين: «النص ينتج ضمن نصّية سابقة فهو يتعالق بها ويتفاعل معها تحويلاً أو تضميناً أو خرقاً؛ وبمختلف الأشكال التي تتم بها هذه التفاعلات»[١١١]، إلى المنشئ قبل إرجاعها إلى المتلقي. فالمنشئ كامن في نصّه - على نحو ما - وإلا فقد النص نفسه شرعيته التاريخية والجمالية والذاتية؛ فهو ليس مجرد بناء لغوي وإنما هو دلالات موضوعية وشعورية. والتناص نفسه يوحي بذلك كله وإن ربطه أصحابه بالمتلقي؛ فالنص «لا يأخذ من نصوص سابقة» فحسب؛ بل يأخذ ويعطي في آن واحد؛ وقد «يمنح النصوص القديمة تفسيرات جديدة أو يظهرها بحلة جديدة كانت خافية؛ أو لم يكن من الممكن رؤيتها لولا التناص»[١١٢].

(١٠٨) انفتاح النص الروائي (ص ١٠٦) وانظر قضايا الحداثة ص ١٥.

(١٠٩) الأغاني (١٦/ ٣٧٩).

(١١٠) انظر مثلاً: منهاج البلغاء ص ٣٣٦ وكتابنا (الرثاء في الجاهلية والإسلام ص ٢٣ وبعد).

(١١١) انفتاح النص الروائي ص ١٠٨.

(١١٢) ما بعد البنيوية ص ٩٣- وانظر النص والنص المضاد ص٤٤-٤٥.

ولما كان هذا البحث منعقداً لغاية محددة في البحث عن الامتداد الثقافي والنقدي في نظرية التناص وليس للحديث في النظرية نفسها؛ آثرنا الاكتفاء بهذه الإشارات التي تفرضها طبيعة البحث العلمي ولنقرر أن آلية الإبداع ترتبط بالمنشئ ثم بالمتلقي بوساطة النص ولولا الأول لما كان الثاني.

فالتناص – بهذا الوعي – تناص إيجابي فعال يوصل بين المنشئ والمتلقي؛ لأنه ليس مجرد صدى للنصوص السابقة. ولعل نظرية التناص – عند بعض روادها – قد أصرت على عدم الإقرار بشرعية النصوص التاريخية... كدليل على المنشئ وإنما أصبحت جزءاً أصيلاً في بناء النص الجديد كما قال (رولان بارت): «إن التناص الذي يدخل فيه كل نص لا يمكن أبداً أن يعتبر أصلاً للنص»(١١٣).

وهذا يعني أن بارت يبيح السرقة من النصوص السابقة في وضح النهار دون أن يشعر بأدنى ذنب؛ فالنصوص السابقة ملك مباح للنص الأخير وصاحبه. ولو اطردت القاعدة في هذه الإباحة لاختلط الحابل بالنابل وضاعت أصول الأشياء، وانتهى الأمر إلى الفوضى في نسبة الأفكار إلى أصحابها.

ومهما تكن خلخلة النص الجديد لبنية النُصوص السابقة لتصبح جزءاً من بنيته فإن الوحدات المعنوية لا يمكن أن تغيب عن ذلك... وإن كان التصور الجديد مغايراً للقديم. فبنية النص الأدبي المعاصر التي ثارت على

(١١٣) عن متاهة التناص / ص ٥٤.

بنية النص العربي القديم في بعض إيقاعاته ولغته لم تُلغ التجذر الفكري الموروث، وإن جددت فيه هو أيضاً. وهذا ما نستشفه في بعض النظريات الغربية وأصحابها كجاكبسون وهيرش[١١٤].

وفي ضوء ذلك كله أطرح مسألة الفعالية النصية إيجاباً وسلباً، قوة وضعفاً؛ وهي مرتبطة بالنظام البنائي للنص أولاً - وهو ناشئ عن منتج - ومرتبطة ثانياً بالمتلقي... والأول ثابت والثاني متحول. فلو كان النص ضَعيفاً في بنيته لما استطاع المتلقي أن يغنيه بتفسيره، وإعادة إنتاجه... وهذا العيب لا يقع على المتلقي وإنما يقع على المنشئ... ولو كان النص ثرياً في شفراته وعلاقاته وأتيح له قارئ غير مكوّن لما استطاع أن يتبين منه شيئاً.

وهذا وحده ما تبينته نظرية التناص كما في القول التالي: «إذا كان المناص يأتي ليجاور النص فإننا في التناص كعملية نجد المتناص يأتي مندمجاً ضمن النص؛ بحيث يصعب على القارئ غير المكون أن يستطيع تبين وجود التناص أحياناً؛ إذا غاب عنه تحديد المتناص كبنية نصية مدمجة في إطار بنية نصية أخرى هي أصل»[١١٥].

وهكذا يتضح لنا أن الفعالية التي نرمي إليها ليست هي الصورة المقابلة لمصطلح التفاعل النصي أو المتفاعلات كأشكال لنظرية التناص

---

(١١٤) انظر على التتابع في الكلام الذي أثبتناه (انفتاح النص الروائي/ ص ١٠٤ والسيمياء والتأويل/ ص ٢٩ - ٣٢).

(١١٥) انفتاح النص الروائي/ ص ١١٥.

عند بعض أتباعها[١١٦]، وإنما نعني بها قوة النص أو عدمها وقدرة المتلقي أو ضعفه على التعامل مع النص بشروطه الموضوعية والذاتية والزمانية. فقراءتي لنص ما الآن ستختلف عن قراءتي له بعد سنوات، وتبعاً للثقافة المعرفية والحساسية الذاتية والنقدية.

وهذا يعني أن استلهامي للنصوص السابقة - وفق نظرية التناص - مرتبط بذلك؛ علماً أن المنشئ كان متلقياً في المرة الأولى التي أبدع فيها إنتاجه.

ولعل الإشارة السابقة للقارئ غير المكون تبرز الفعالية السلبية الضعيفة في الإنتاج والتلقي معاً؛ فالمتلقي يدور في إطار النصوص السابقة دون أن يأتي بجديد. ومن هنا يمكننا أن نفهم تجربة امرئ القيس الظاهرة في قوله[١١٧]:

عوجا على الطلل المحيل لأننا   نبكي الديار كما بكى ابن خِذَامِ

وهكذا نصف تجربتي عنترة وكعب اللتين أشرنا إليهما من قبل[١١٨]،

(١١٦) انظر انفتاح النص الروائي (ص٩١-٩٣ و٩٨- ١٠٠ و١٢٣) والسيمياء والتأويل (ص١٧-١٨ و٢١ و٣٢-٣٣) وراجع حاشية (١٠٦ من البحث).

(١١٧) ديوان امرئ القيس/ ص ١١٤ وانظر فيه النمط الابتكاري الإيجابي/ ص ٨- ثم راجع ما أورده ابن سلام في هذا المقام (طبقات فحول الشعراء) (١/٥٧-٥٨).

(١١٨) راجع الحاشية (٤٤ و٧٢ من البحث).

بالتناص السلبي الضعيف - كما توحيه البنية النصية - . ونقول مثل هذا في قصيدتين لأمية بن أبي الصلت اتبع فيهما آثار عمرو بن كلثوم في معلقته، وبائية لعلقمة الفحل حذا فيها حذو امرئ القيس[١١٩].

فالتناص - مفهوماً - يعيد النص إلى نُصوص سابقة بعد أن دخلت في بنيته، ولكنه عليه أن يعيد إنتاجها بشكل جديد «بحيث تصبح جزءاً منه، ومكوناً من مكوناته»[١٢٠]، ولكنه لا يعني أن يكررها بالصورة ذاتها، أو بأكثرها.

فالنص الذي يرتكس ليدور في نص سابق دون تغيير إنما هو نص سلبي؛ وهو مجرد تكرار إنشادي كما فعل الشاعر المقلد من قبل وقد أشار إليه الجرجاني: «فإن زعمت أنك جعلته قائلاً له من حيث أنه نطق بالكلم وسمعت ألفاظها من فيه على النسق المخصوص؛ فاجعل راوي الشعر قائلاً له؛ فإنه ينطق بها ويخرجها من فِيه على الهيئة والصورة التي نطق بها الشاعر»[١٢١].

---

(١١٩) انظر على التتابع في الكلام الذي أثبتناه الدواوين التالية: (ديوان أمية بن أبي الصلت/ ص ٥٠٣ و٥١٠ وديوان عمرو بن كلثوم/ ص ٧٥ وبعد، وديوان علقمة الفحل/ ص ٧٩ وديوان امرئ القيس/ ص ٤١ وبعد). وراجع ما قيل عن هذا الاتباع في كتاب (في الأدب الجاهلي/ ص ٢٠٧-٢٠٨). وانظر الرسالة الشافية للجرجاني/ ص ١٢٩.

(١٢٠) انفتاح النص الروائي / ص ٩٢.

(١٢١) دلائل الإعجاز (ص٣٦٢-٣٦٣ وانظر بيان إعجاز القرآن للخطابي/ ص ٦٢-٦٣).

فالتناص الإيجابي القوي إنتاج أفكار قديمة بأسلوب جديد؛ فهو ثمرة نصوص سابقة؛ ولكنه ليس وحيد البنية وفقير الدلالات والإشارات... وقد ربط بعض أصحاب التناص الفعالية القوية بالقارئ وأطلق عليه ميشيل ريفاتير القارئ المثالي المتمكن من «السياق الأدبي لجنس النّص. ومتى كان فاهماً لحركة الإشارات ونحوية بنائها؛ فإن تفسيره لها كله مقبول»(١٢٢).

وهذا ما نستشفه مرة أخرى من عبارة ابن سلام في امرئ القيس والشعراء الذين سبقوه: «ما قال ما لم يقولوا؛ ولكنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها...»(١٢٣)، ومما انتهينا إليه عن ظاهرة التلقي عند عبد القاهر(١٢٤).

وهذه الفعالية عندي متجهة إلى النص ثم القارئ بينما هي في نظرية التناص منغلقة على القارئ غير المتمكن، أو القارئ المثالي... ومهما يكن أمر تلك الفعالية فهي لا تعني الأثر الذي تحدثت عنه النظرية.

ولما كان غاية البحث قائمة على إظهار التأثير النقدي في نظرية التناص لزمت الإشارة إلى أبرز ناقد لها في الغرب. ويعد (رولان بارت) الناقد الفرنسي المشهور فارساً للنص بلا منازع. وقد نهل من معين الثقافة العربية نقداً ولغة وأدباً...و... ولكنه اتجه بها اتجاهاً نقدياً يتفق وطبيعة منهجه وفكره وأدبه؛ فجاء على شكل آخر مغاير للنصوص العربية. فرولان

---

(١٢٢) الخطيئة والتكفير/ ص ٨٠ وانظر ما قاله نيو هيفن عن القارئ المثالي في (السيمياء والتأويل/ ص ٣٤ وبعد).

(١٢٣) راجع حاشية (٤٣ من البحث).

(١٢٤) راجع حاشية (٥٩ و٦١) وانظر أيضاً حاشية (٦٢-٦٥) من البحث.

بارت كان معجباً بمقولة ابن طباطبا: «إن للكلام الواحد جسداً وروحاً»[١٢٥]. وظهر هذا الإعجاب في كتابه (لذة النص) المنشور سنة ١٩٧٣م[١٢٦].

ولو راجعنا تاريخ بارت النقدي والشخصي لتأكد لنا أن هذا الأثر لم يكن عابراً؛ فقد ركز بارت في بحثه (موت المؤلف) على مفهوم اللغة النصية؛ وقال: «اللغة هي التي تتكلم وليس المؤلف»؛ وصدر سنة ١٩٦٨م. وهو مفهوم مستمد من النقد اللغوي العربي ولا سيما عند عبد القاهر الجرجاني وأصحاب مدرسة الكلام[١٢٧].

ونحن نعرف أن هذا الباحث شهد تحولات كبرى، فقد كان سيمائياً ثم صار تناصياً. وحين كتب بحثه (الكتابة في درجة الصفر) سنة ١٩٧٠م أسسها على ما يعرف بمفاهيم التشريحية. وكتابه قائم على تحليل قصة لبلزاك بعنوان (ساراسين) المؤلفة من عشرين صفحة في ضوء الجمل التي بنيت عليها... وصنف تحليله اللغوي في شفرات خمس (التفسيرية، والحدث، والثقافية، والضمنية، والرمزية). وكل شفرة لها طبيعة ووظيفة، فالشفرة الرمزية – مثلاً – تقوم على المبدأ الثنائي الذي اعتمدته البنيوية من اختلافات وتناقضات وتعارضات... أما الثقافية فإنها تتناول التداعيات

(١٢٥) عيار الشعر/ ص ١٤٣– وراجع حاشية (١٧) من البحث.

(١٢٦) انظر الخطيئة والتكفير / ص ٦٨.

(١٢٧) الخطيئة والتكفير (ص ٧١ وانظر فيه حديثه عن بارت/ ص ٦٤– ٧٤) وعليه اتكأنا، وراجع ما ورد في حواشينا (٥٩ و٦١ و٦٢–٦٥ و٦٧).

المعرفية التي بني عليها النص وتتسرب عن طريق اللغة.

ولهذا كله بلغ حجم كتاب (بارت) مئتي صفحة في ثلاث وتسعين فقرة... وإذا كنا لا ننكر أثر البنيوية التشريحية في تحليل (بارت) فإنه ينبغي علينا أن نشير إلى أثر أكثر أهمية قادم من الثقافة العربية. فابن قيم الجوزية سبق بارت إلى التحليل اللغوي – ولكن في إطار السياق الثقافي العربي – فوقف عند آيتين اثنتين فقط من سورة الفاتحة «إياك نعبد وإياك نستعين» مفسراً ومقابلاً ومعارضاً، ومفككاً... في كتابه «مدارج السالكين»... فلم ينته من تحليله لهما حتى استكمله فبلغ ثلاثة مجلدات[١٢٨].

فالمنهج الذي اتبعه بارت – وهو متطور جداً عما اتبعه ابن القيم – متأثر بمنهج ابن القيم... وما من أحد يشك في ذلك كله، لأن بارت لم يلتق بالثقافة العربية مصادفة، فالمصادفة لا تتكرر... مما يؤكد لنا أن بارت اطلع عليها يوم كان أستاذاً في جامعة الإسكندرية بمصر قبل استقراره بالكلية الفرنسية حتى وفاته سنة ١٩٨٠م.

هكذا تأكد لنا فيما عرضناه من مفهوم نظرية التناص وآلياتها أنها صاغت ما تسلمته من النظريات النقدية الغربية والثقافة العربية وفق نظرية جديدة راقية ومتكاملة تصلح لدراسة أي نص كان، وأياً كان جنسه أو انتماؤه وزمانه ومكانه... لأن النص وحده فحوى خطابها... ورسمت وظيفة نقدها على هذا الأصل، بعد ربطه بالمتلقي. فمن وظائفها «أنها أعادت النظر في ذات الكاتب، والمؤسسة والكاتب والعمل. كما أن

(١٢٨) انظر الخطيئة والتكفير / ص ٦٨.

الاهتمام بالنص ذاته تم من خلال كونه حاملاً للمعنى بحيث تتراكب جميع أجزائه لتشكيل الكل. وأخيراً أتاح هذا المفهوم الانتقال من الشفرة اللسانية إلى السيموطيقية أو الإيديولوجية بوجه عام، وذلك عن طريق رفض الانغلاق، باعتبار النص يشتغل منفتحاً على نصوص سابقة»(١٢٩).

وفي ضوء هذه الوظيفة وتلك الآلية المتكاملة تكمن فعالية نظرية التناص في دراستها للنص وتفاعلها في إطاره.

وهذا كله ينقلنا إلى كلمة أخيرة في الخاتمة.

– خاتمة:

لم يكن الحديث منصباً على مفهوم نظرية التناص ومناقشته أو مناقشة الآليات التي تبنتها، ولا الوقوف عند نشأتها وأطوار ارتقائها، ولا الوقوف عند آراء أصحابها واجتهاداتهم في ذلك كله... وإن اقتضى المنهج العلمي منه أن يقتبس من ذلك كله قبسة ما ويسرع إلى غيرها، بعد مناقشة وتعليل.

فالبحث قائم على رؤية التقاطعات المشتركة بين نظرية التناص وبين الامتداد الثقافي العربي خاصة... لهذا آثرت الخطة السابقة التي أشرت إليها في البداية، وفي إطار منهج نظرية التناصية القائم على المرجعية الضمنية والثقافية والتفسيرية.

---

(١٢٩) انفتاح النص الروائي (ص ٩٣) وانظر السيمياء والتأويل/ ص ٢٦، والخطيئة والتكفير/ ص ١٤ وراجع حاشية (١٩ و٢٠ و٣٦) من البحث.

وفي ضوء ما تقدم تقتضي الإشارة منا إلى أن مصطلح التناص مصطلح واحد عند الغربيين وإن طوروا مفاهيمه ودلالته النقدية... على حين أن العرب لم يتفقوا على مصطلح واحد لهذه النظرية. واختلاف النقاد العرب المحدثين ليس منشؤه أصل المصطلح عند الغرب؛ وإنما يعود إليهم في انتماءاتهم الفكرية الثقافية؛ وفي اطلاعهم عليه في هذه اللغة أو تلك، وفي عدم القدرة على استيعابه... أو فهم لغته وطبيعة أدبها... ولهذا كله وجدنا عدداً من المصطلحات في النقد العربي كالنص السابق واللاحق، والمفقود والموجود، والظل والمتخيل والغائب، والمقترح، والنص المضاد، والنص الظل والمزاح[١٣٠].

وانفتاح هذا البحث في تفاعله الكامل والمتجاوب مع نظرية التناص في (النص المفتوح) تبين لنا أن لها أباً، ولم يزرها ضيفاً؛ في الوقت الذي أكد لنا جملة من النقاط الأخرى.

- إن خطابنا النقدي - كان - وما يزال فردياً وقائماً على الرؤية النقدية والفكرية الجزئية، إذا استثنينا بعض المحاولات في القديم والحديث كتجربة الجرجاني في (دلائل الإعجاز) وحازم القرطاجني في (منهاج البلغاء) وعبد الله الغذّامي في (الخطيئة والتكفير) وسعيد يقطين في (انفتاح النص الروائي) ومحمد مفتاح في (تحليل الخطاب الشعري). وما يزال معتمداً على إلغاء الآخر ليثبت أنه الأمثل والأوحد؛ مما يجعله يقلل من شأن عمل الآخرين. بل أزعم أنه خطاب شائع في بنية التفكير العربي.

(١٣٠)انظر مثلاً: انفتاح النص الروائي/ ص ٩٣ -٩٧ والنص والنص المضاد/ ص٤٤.

لهذا نحن بحاجة إلى حوار إيجابي مستمر يفيد فيه كلٌّ باحث من الآخر، وبصورة تكاملية...

ومن هنا لم يكن هذا البحث ليظهر لولا الإفادة من كتابات الآخرين غرباً وشرقاً، مقارباً ومعارضاً، آخذاً ومعطياً في آن معاً. وأحسب أن المغاربة العرب سبقوا إلى الحديث عن نظرية التناص من المشارقة(١٣١).

– إن نظرية التناص قدمت لنا إشارات مهمة لإسهامات الامتداد الثقافي العربي، وعززت في أبنائه التمسك بتراثه ولاسيما النقدي منه. فقد أماطت اللثام عما قدّمه للحضارة الإنسانية وإن لم تعترف اعترافاً صريحاً بذلك؛ لأن مبدأها الأول (موت المؤلف) الحقيقي؛ والعبرة تكمن في النص ودلالته وإشاراته... متجاهلة أحد أشكالها (التناص المعكوس) الذي أشار إليه عبد الملك مرتاض وربما أصاب في ذلك(١٣٢).

(١٣١) قد أفدنا مما انتهى إلينا من كتابات التناصيين عند الغرب والعرب؛ ومنها على سبيل المثال (من العمل إلى النص – ونظرية النص لرولان بارت) وبقية المقالات المترجمة في كتاب د. محمد خير بقاعي (دراسات في النص والتناصية) و(السيمياء والتأويل لروبرت شولز). و(الخطيئة والتكفير للدكتور عبد الله الغذامي) و(تحليل الخطاب الشعري لمحمد مفتاح) و(انفتاح النص الروائي لسعيد يقطين) و(قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني للدكتور محمد عبد المطلب) والمقالات الواردة في الموقف الأدبي (عدد ٣٣٠) ومجلة (الآداب– العدد ١-٢). وأعتقد أن (رشيد بن حدو) المغربي يعد في طليعة من نبه على نظرية التناص إن لم يكن سابقاً في هذا.

(١٣٢) انظر الكتابة أم حوار النصوص/ ص ١٩.

– إن عملية المثاقفة تجعل الأفكار والرؤى المنهجية ملكاً للإنسانية قاطبة. فالذاكرة الفردية والجماعية تختزن في ذاتها الأصول والفروع التي انتهت إليها... وهذا ما تبنته نظرية التناص... وأسسته من قبل حركة التدوين عند العرب ومن ثم الإفادة من الإرث الفكري اليوناني.

بهذا يستقر بنا طول النظر لنقول مرة أخرى: إن نظرية التناص صك جديد لعملة قديمة.

فإن وفقت في ذلك فهو منة من الله؛ وإلا فالعجز مني؛ والله من وراء القصد.



المراجع والمصادر

١- الأدب العام المقارن، دانييل وهنري باجو، ترجمة د. غسان السيد، نشر اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٧م.

٢- الأصمعيات، الأصمعي، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، ١٩٧٦م.

٣- إعجاز القرآن للباقلاني (على هامش الإتقان في علوم القرآن للسيوطي)، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، ١٩٧٣م.

٤- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، (١-١٦ مصور عن طبعة دار الكتب و١٧ - ٢٤ مصور عن الهيئة المصرية العامة)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ.

٥- انفتاح النص الروائي/ النص، السياق، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت، بلا تاريخ.

٦- برج بابل، غالي شكري، دار الريس، لندن، ١٩٨٩م.

٧- بيان إعجاز القرآن لأبي سليمان الخطابي، ضمن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تحقيق محمد خلف الله أحمد ودكتور محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط٣- ١٩٧٦م.

٨- البيان والتبيين للجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار

الفكر، بيروت، ط٤، بلا تاريخ.

٩- تحليل الخطاب الشعري/ استراتيجية التناص، محمد مفتاح، بيروت، ١٩٨٥م.

١٠- التناصية، ليون سُمفل، ضمن (دراسات في النص والتناصية) ترجمة د. محمد خير البقاعي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ١٩٩٨م.

١١- التناصية، مارك أنجينو، (انظر رقم ١٠).

١٢- الجامع الصغير من حديث البشير النذير، جمعه الإمام السيوطي، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد، دار خدمات القرآن، بلا تاريخ.

١٣- الحيوان للجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، المجمع العلمي العربي الإسلامي، بيروت، ط٣- ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩.

١٤- الخطيئة والتكفير، د. عبد الله محمد الغذامي، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية، ١٩٨٥م.

١٥- دراسات في النص والتناصية، د. محمد خير البقاعي، (انظر رقم ١٠).

١٦- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٨٤م.

١٧- ديوان الأعشى الكبير، قدم له وشرحه د. محمد أحمد قاسم، المكتب الإسلامي، دمشق/ بيروت – ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

١٨-ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ١٩٨٤م.

١٩- ديوان أمية بن أبي الصلت، صنعة د. عبد الحفيظ السطلي، المطبعة التعاونية، دمشق، ط٢، ١٩٧٧م.

٢٠- ديوان الحطيئة، تحقيق د. نعمان محمد طه، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٢١- ديوان شعر الحادرة، حققه د. ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

٢٢- ديوان علقمة الفحل، حققه لطفي الصقال ودرية الخطيب، دار الكتاب العربي، حلب، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

٢٣- ديوان عمرو بن كلثوم، صنعة د. علي أبو زيد، دار سعد الدين، دمشق، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

٢٤- ديوان عنترة، تحقيق ودراسة، محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

٢٥- ديوان النابغة الذبياني، (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٨٥م) و(تحقيق د. شكري فيصل، دار الفكر، دمشق، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م).

٢٦- الرثاء في الجاهلية والإسلام، د. حسين جمعة، دار معد للنشر، دمشق، ١٩٩١م.

٢٧- الرسالة الشافية لعبد القاهر الجرجاني، ضمن (ثلاث رسائل، راجع حاشية ٧).

٢٨- السيمياء والتأويل، روبرت شولز، ترجمة سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

٢٩- شرح ديوان الحماسة، للخطيب التبريزي، عالم الكتب، بيروت، بلا تاريخ.

٣٠- شرح ديوان كعب بن زهير، نشر الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

٣١- شروح سقط الزند، تحقيق مصطفى السقا ورفاقه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٣٢- شعر الزبرقان بن بدر، دراسة وتحقيق د. سعود محمود عبد الجابر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٣٣- طبقات فحول الشعراء لابن سلام، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٧٤م.

٣٤- طروس الأدب على الأدب، جيرار جينيت، ضمن (دراسات في النص، راجع رقم ١٠).

٣٥- العمدة لابن رشيق، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٤، ١٩٧٢م.

٣٦- عيار الشعر لابن طباطبا، تحقيق د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف الإسكندرية، مصر، ١٩٨٠م.

٣٧- غياب النظرية العربية، عبد العزيز قاسم، مائدة مستديرة في الحياة الثقافية، تونس، العدد ٣٤-١٩٨٤م.

٣٨- في الأدب الجاهلي، د. طه حسين، دار المعارف بمصر، ط١٠، ١٩٦٩م.

٣٩- في معرفة النص، يمنى العيد، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٣، ١٩٨٥م.

٤٠- القارئ سلطة أم تسلط، د. الطاهر الهمامي، ضمن مجلة (الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، عدد ٣٣٠، ١٩٩٨م).

٤١- قصيدة الرثاء، جذور وأطوار، د. حسين جمعة، دار النمير للطباعة و دار معد للنشر دمشق ط١، ١٩٩٨م.

٤٢- قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، د. محمد عبد المطلب، الشركة العربية المصرية للنشر ومكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٥م.

٤٣- قضايا الشعرية،رومان جاكبسون، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال، الدار البيضاء، ١٩٨٨م.

٤٤- الكتابة أم حوار النصوص، د. عبد الملك مرتاض، ضمن الموقف الأدبي (انظر رقم ٣٩).

٤٥- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت.

٤٦- ما بعد البنيوية، د. شكري الماضي، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة، دمشق، عدد ٣٥٣، ١٩٩٣م.

٤٧- متاهة التناص، جلال الخياط، مجلة الآداب، عدد ١+٢ - ١٩٩٨م.

٤٨- المستطرف في كل فن مستظرف، الأبشيهي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ.

٤٩- مقدمة ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، بلا تاريخ.

٥٠- من العمل إلى النص، رولان بارت، ضمن (دراسات في النص، انظر رقم ١٠).

٥١- منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨١م.

٥٢- موت المؤلف، رولان بارت، ترجمة د. منذر عياشي، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، عدد ٢٤١ + ٢٤٢- ١٩٩١م.

٥٣- النص الغائب، إبراهيم رماني، مجلة الوحدة العربية، المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، ١٩٨٨م.

٥٤- النص والنص المضاد والنص الظل، محمد أبو الفضل بدران، ضمن مجلة الآداب، راجع رقم ٤٦.

٥٥- نظرية النص، رولان بارت، ضمن (دراسات في النص، راجع رقم ١٠).

٥٦- الوساطة بين المتنبي وخصومه، علي بن عبد العزيز الجرجاني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٦م.



عبد الواحد المالَقي... شارح التيسير

د. محمد حسان الطيان

يعدُّ المالَقي (٧٠٥هـ) واحداً من أبرز علماء القراءات القرآنية في الأندلس، فقد شرح كتاب التيسير للداني[1]: وهو من أشهر كتب القراءات القرآنية وعمدة القرّاء في هذا الفن والأصل الذي نظم عنه الشاطبي قصيدته المشهورة بالشاطبية - وتصدّر للإقراء والإجازة دهراً طويلاً في كلٍّ من غرناطة ومالَقة فتخرّج به الكثيرون، وأفاد من كتابه كبار المؤلفين في فن القراءات ولعل أبرزهم ابن الجزري (٨٣٣هـ) خاتمة المحققين وإمام القرّاء في كتابه الكبير النشر في القراءات العشر.

ترجمة المالَقي[2]



اسمه ونسبه:

عبد الواحد بن محمد بن علي بن أبي السَّداد، أبو محمد، الأمويّ

---

(١) أفردتُ للداني أبي عمرو وكتابه التيسير مقالاً نشرته مجلة المجمع في مج: ٦٨ ص ٣٤٦- ٣٦١ بعنوان «دفاع عن كتاب التيسير للداني».

(٢) مصادر ترجمته: الإحاطة في أخبار غَرْناطة ٣/٥٥٣- ٥٥٤، وبرنامج الوادي آشي ١٤٦-١٤٧، وبرنامج التجيبي ١٠٢، والديباج المذهب ٢/٦٣، ودرّة الحجال ٣/١٣٧-١٣٨، وغاية النهاية ١/٤٧٧، وبغية الوعاة ٢/١٢١-١٢٢، وطبقات المفسرين ١/٣٥٩-٣٦٠، وكشف الظنون ١/١١٤، ٥٢٠، وهدية العارفين ١/٦٣٥-٦٣٦، والخزانة التيمورية ١/٢٧٩، ٣/٢٦٧، والأعلام ٤/١٧٧، ومعجم المؤلفين ٦/٢١٢-٢١٣. و٤٠٧: ١.Brok .

الأندلسيّ، المالَقيّ، الشهير بالباهليّ والبائع.

فهو ينتسب إلى بني أمية، البيت ذي الأوَّلِيَّة والشأن في الأندلس؛ إذ كان منه الولاة والأمراء ثم الخلفاء، وهو واحد من بيوتات كثيرة ينسب إليها الأندلسيون[١]، ولعلّ نسبته إلى الأمويين إنما هي بالولاء شأن الكثير من الأندلسيين؛ لأن شهرته بالباهليّ لا تتفق مع هذه النسبة.

وينتمي إلى الأندلس عامة، وإلى مَالَقة خاصة وهي موطنه الذي فيه ولد وعاش ومات[٢].

وأما شهرته بالباهلي فهي نسبة إلى باهِلَة قبيلة من قيس عَيْلان. وهي

(١) قال ابن الخطيب في الإحاطة ١٣٥/١ يصف أحوال أهل غرناطة: «وأنسابهم حسبما يظهر من الاشتراءات والبَيْعات السلطانية والإجازات عربية يكثر فيها القُرَشي، والفِهْري، والأُمَوي والأنصاري... والباهلي...» ونقل هذا النص الأمير شكيب أرسلان ثم علق عليه بقوله: «الأموي نسبة إلى بني أمية وهما أميتان الأكبر والأصغر ابنا عبد شمس بن عبد مناف من قريش والنسبة إليهم أُمَوي بضم ففتح، وأموي بالتحريك على التخفيف». الحلل السندسية ٢٢٧/١.

(٢) مالَقة: مدينة أندلسية ساحلية تقع على الشاطئ الجنوبي الشرقي للبحر المتوسط، كانت العاصمة الثانية في مملكة غرناطة. ومالَقَة: بفتح اللام كما في معجم البلدان «ملق» ٤٣/٥ والقاموس، والتاج، والتكملة، وقد جاء في حاشية الدسوقي على المغني ١٧/١: «المالَقي: بفتح اللام نسبة إلى مالَقَة مدينة بالأندلس، وضبطها بالكسر غلط».

أيضاً من البيوتات النازلة بالأندلس[١].

وأما شهرته بالبائع فلم أقف على أصل لها أو تعليل، وأول من ذكرها له السيوطي في البغية وتابعه الداوودي في طبقات المفسرين[٢].

ملامح من حياته:

ولد أبو محمد بمالَقَة، والمصادر لا تسعف بتحديد تاريخ مولده، وإذا لم يكن من التقدير بدٌّ فيمكننا الرَّجْمُ – من غير ما جَزْمٍ – بأنها كانت في نحو العقد الرابع من القرن السابع الهجري. آية ذلك أن من شيوخه الذين روى عنهم وأجازوه مَنْ أدركته الوفاةُ في العقد السابع من ذلك القرن، كأبي الوليد العطّار الغرناطي المتوفى سنة ٦٦٨هـ والذي روى عنه أبو محمد كتابَي التبصرة والكافي، وذلك بعد أن شبَّ عن الطَّوقِ ورحل إلى غَرْناطَةٍ[٣]، وكتب له أبو الوليد بالإجازة العامّة، وكمحمد بن أحمد اللخمي المتوفى سنة ٦٦٦هـ والذي روى عنه أبو

(١) ذكر ابن الخطيب في اللمحة البدرية ٢٦ البيوتات التي نزلت بالكورة الإلبيرية من قبائل العرب فعدَّ منها قيس عيلان التي تنتسب إليها باهلة. وقال الأمير شكيب أرسلان في تمام النص السابق: «والباهلي نسبة إلى باهلة قبيلة من قيس عيلان، وباهلة اسم امرأة من همدان كانت تحت معن بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان فنسب ولده إليها» الحلل السندسية ١/٢٢٩.

(٢) بغية الوعاة ٢/١٢١، وطبقات المفسرين ١/٣٥٩.

(٣) انظر الإحاطة ١/٥٥٣، وغاية النهاية ١/١٧٠.

محمد كتاب الكافي[١]، مما يرجّح أن سنّه عند وفاتيهما لا تقلّ عن الخامسة والعشرين، وإذا أضفنا إلى ذلك أن شَيخَهُ ابنَ الزبير المتوفى سنة ٧٠٨هـ كانت ولادته سنة ٦٢٧هـ، غلب على ظننا أنه لم يتجاوز الثلاثين في ذلك الحين (أي في العقد السابع) لأنَّ الأصل أن يصغر التلميذُ شيخَه ولو بسنوات ما أحسبها كثيرةً عند المالَقي بدلالة أمرين: الأول أن كثيراً ممن أخذ عن المالَقي أخذ عن شيخه ابن الزبير[٢]، فهما من جيل واحد، والثاني أنه امتدَّ به العمر كما تنبئ ترجمته وأخباره، ومع ذلك فقد أدركته الوفاة قبل شيخه ابن الزبير بثلاث سنوات!.

ولا نكاد نعثر على أثر صريح يدلنا على أوّلية أبي محمد ونشأته، ويظهر أنه ينتسب إلى أسرة أوتيت حظاً غير قليل من العلم والفضل والنباهة والذكر، فأبوه الشيخ الأجلُّ الورع الأفضل المقدس أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي السداد الأموي، كما جاء في نسخة من كتاب عمدة التحرير في الإدغام الكبير[٣]، وخاله وليُّ الله أبو محمد عبد العظيم ابن ولي الله محمد

(١) انظر غاية النهاية ٢/٧٠.

(٢) انظر على سبيل المثال الإحاطة ٢/١٣٩ و١٧٩، ٣/٦٤ و١٥٧ (وثمة ترجمةُ وَلَدِ ابنِ الزبير محمد الذي أجازه المالقي) و٣/١٨٥، و٤/١٢٧ وغير ذلك من المواضع التي تأتي الإحالة عليها عند ذكر تلامذته.

(٣) وهو لصاحب الترجمة، وسيأتي ذكره في مؤلفاته. وما نقلته هنا موجود في الورقة الأولى من جزء فيه فرش الحروف من هذا الكتاب تحتفظ به مكتبة الأسد الوطنية بدمشق تحت رقم ٥٩٦٤ (وهو من مخطوطات الظاهرية).

ابن أبي الحجّاج ابن الشيخ رحمه الله، كما جاء في الإحاطة[١].

وهذه الأسرة الكريمة قيّضت لأبي محمد بلا شك نشأةً صالحة، وحببت إليه طَلَبَ العلم، فحفظَ القرآن الكريم، وأفاد من أبيه وخاله[٢]، واعتاد مجالس العلماء والفقهاء والقراء من أهل بلدة مالَقَة ومن حلّ بها من غير أهلها من الشيوخ كابن الزبير الغَرْناطي[٣]، ومحمد بن أحمد اللخمي الإشبيلي[٤]، أخذ عنهم وتفقّه بهم، وتلقّى القراءات عن كثير منهم وروى عنهم كتبها، ثم رحل إلى غَرْناطَة فأقام بها مدة، وسمع على رواتها، وكتب له بعضهم بالإجازة العامة كأبي الوليد العطار الغَرْناطي[٥]، وهناك بلغ أبو محمد رتبة الأستاذية إذ أقرأ أهل غَرْناطَة زماناً[٦].

ثم عاد إلى موطنه مالَقَة فكان خطيبَ مسجدها الأعظم، وقعد للإقراء والتعليم والوعظ، فكان مقسوم الأزمنة على العلم وأهله[٧]، أمَّهُ

(١) الإحاطة ٣/٥٥٣، وقد ذكر الوادي آشي أبا محمد هذا في شيوخ صاحب الترجمة لكنه لم ينص على القرابة بينهما، انظر برنامج الوادي آشي ١٤٧. وكذا صنع صاحب درة الحجال: ٣/١٣٧.

(٢) الإحاطة: ٣/٥٥٣.

(٣) الإحاطة: ٣/٥٥٣.

(٤) الإحاطة: ٣/ ٥٥٣.

(٥) الإحاطة: ٣/٥٥٣.

(٦) الإحاطة: ٣/٥٥٤.

(٧) الإحاطة: ٣/ ٥٥٣، وانظر ما سيأتي من ذكر تلامذته.

الطَلَبَةُ من كل مكان فلم يكن يكتفي بتعليمهم وإقرائهم وإنما كان يغدق عليهم من عطاياه وكرمه حتى وصفه ابن الخطيب في غير ما موضع من الإحاطة بأنه مولي النعمة على الطلبة من أهل بلده[1]، ولم يقتصر نفعه على الخاصّة من أهل بلده وإنما تعداهم ليشمل العامة منهم ومن أهل الأندلس[2].

أما وفاته فأكثر المصادر على أنها في خامس ذي القعدة من سنة ٧٠٥هـ لم يخالف عن ذلك إلا حاجي خليفة إذ جعلها ٧٥٠هـ في موضعين مختلفين من كشف الظنون[3]، وظاهر أنه تحريف غير مقصود، إلا أن متابعة البغدادي له في هدية العارفين[4]، أوهمت صاحب معجم المؤلفين أن عبد الواحد المالَقي المتوفى سنة ٧٠٥هـ غيرُ عبد الواحد الباهلي المتوفى سنة ٧٥٠هـ فترجم للرجل مرتين[5]!.

هذا وقد كان لوفاة أبي محمد وقع كبير على مالَقَة وما حولها، ولا غرو فهو شيخها، وواعظها، وخطيبها، ومولي النعمة على الطلبة من أهلها، أقرأ فيها عمرَه، وأخذ عنه الكثير من أهل الأندلس[6]. لهذا ما كان الحفل في جنازته عظيماً، إذ اجتمع الناس وحفّوا بنعشه، وحمله الطلبة وأهل العلم

(١) الإحاطة: ١/٢٢٢، و٣/١٨٩، ٥٥٣.

(٢) الإحاطة: ٣/ ٥٥٣، وانظر ما سيأتي من ذكر تلامذته.

(٣) كشف الظنون ١/١١٤، ٥٢٠.

(٤) هدية العارفين ١/٦٣٥.

(٥) معجم المؤلفين ٦/٢١٢– ٢١٣.

(٦) الإحاطة: ٣/ ٥٥٣، وبغية الوعاة ٢/١٢١.

على رؤوسهم[١]، ودفنوه في بلده مالَقَة حيث توفي، يرحمه الله.

مذهبه وخلقه:

مذهبُ أبي محمد مذهبُ أهلِ الأندلس عامّةً وهو مذهب الإمام مالك إمام دار الهجرة، وقد عُرِفوا به منذ أوّليتهم في أواخر القرن الهجري الثاني[٢].

وكان أبو محمد رأساً من رؤوس المالكية في عصره، آية ذلك أن ابن فرحون ترجم له في كتابه (الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب) ووصفه هو وغيره ممن ترجموا له بأنه كان فقيهاً... أصولياً، وبأنّ له تواليفَ في الفقه[٣].

هذا وقد تفقّه بأبي محمد طائفةٌ من كبار فقهاء عصره كان لهم فيما بعد شأن كبير في الفقه وغيره من العلوم أمثال قاضي الجماعة الفقيه الشيخ محمد بن يحيى الأشعري، والقاضي الفقيه محمد بن عبيد الله القيسي، والشيخ يوسف بن موسى المنتشافري، وغيرهم ممن سيأتي ذكره من تلامذته[٤].

(١) الإحاطة: ٤/ ٥٥٤، وبغية الوعاة ٢/ ١٢٢.

(٢) الإحاطة: ١/١٣٤، ونفح الطيب ١/ ٢٢١، ونهاية الأندلس ٤٤٤، وتاريخ الفكر الأندلسي ٤١٧– ٤١٨.

(٣) الديباج المذهب ٢/ ٦٣، والإحاطة: ٣/ ٥٥٣، والبغية ٢/ ١٢١.

(٤) انظر الكلام على تلامذته فيما سيأتي.

أمّا خُلُقُهُ فقد كان مرآةَ دينِه، أوفى فيه على الغاية صلاحاً وإحساناً وتواضعاً، وقد بلغ من صلاحه أن غلب عليه لقبُ الشيخ الصالح لا يكاد يذكر إلا به، وما أحسن ما وصفه ابنُ الخطيب بقوله: «كان رحمه الله بعيدَ المدى منقطعَ القرين في الدين المتين والصلاح، وسكونِ النفس، ولينِ الجانب والتواضع، وحسنِ الخلق، إلى وسامةِ الصورة، وملاحةِ الشيبة وطيبِ القراءة، مولي النعمةِ على الطلبة من أهل بلده... مقسومَ الأزمنةِ على العلم وأهله، كثيرَ الخضوع والخشوع، قريبَ الدمعة...»[١]، وقريبٌ من هذا نعتُ ابنِ فرحون له بأنه: «منقطع القرين في الدين المتين والصلاح والتواضع وحسن الخلق»[٢]. ولا يعدو هذا الوصف أن يكون صدىً لما جاء في شعره وما وصفه به تلامذته، وما كلمةُ ابنِ بكرون منا ببعيد[٣].

شيوخه:

تخرَّج أبو محمد بطائفةٍ صالحة من مشايخ عصره وقرّائِه، وكانت القراءةُ السمةَ الغالبةَ على مشايخه، لا سيما أولئك الذين ذكرهم في مطلع كتابه الدر النثير، وروى عنهم كتب القراءات الثلاثة المعتمدة في شرحه، وهي: (تيسير الداني وتبصرة مكي وكافي ابن شريح) على أن من ورائهم شيوخاً آخرين ذكرتهم كتب التراجم والتأريخ، تلقّى على أيديهم أفانين العلوم المختلفة، وكتب له بعضهم بالإجازة العامّة. وفيما يلي مسرد ببعض

(١) الإحاطة: ٣/ ٥٥٣.

(٢) من كلام ابن فرحون في الديباج ٢/ ٦٣.

(٣) سيأتي نصها في منزلته العلمية.

هؤلاء وأولئك منسوقٌ على أحرف الهجاء، مع بيانٍ موجزٍ لصلة أبي محمد بكلٍّ منهم.

١- أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، أبو جعفر (٧٠٨هـ) الإمام المقرئ المحدث المؤرخ صاحب كتاب صلة الصلة. قرأ أبو محمد عليه «وكان من مفاخره»[1]، وروى عنه كتابي التيسير، والتبصرة.

٢- أحمد بن يوسف الهاشمي الطنجائي[2]، أبو جعفر. الشيخ الصالح. ذكر ابن الخطيب والسيوطي أن أبا محمد أخذ عنه.

٣- إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل العطار، أبو الوليد الغرناطي (٦٦٨هـ) المقرئ الراوية. كتب لأبي محمد بالإجازة العامة[3]، وروى المالقي عنه كتابي التيسير، والتبصرة.

٤- الحسين بن عبد العزيز بن أبي الأحوص الفهري، أبو علي (٦٩٩هـ) الأستاذ المجود قاضي المَرِيَّة ومالَقَة. قرأ عليه أبو محمد[4]، وروى

---

(١) الإحاطة: ٣/ ٥٥٣، وانظر غاية النهاية ١/ ٤٧٧، وبغية الوعاة ٢/ ٢١.

(٢) كذا ورد اللقب في بغية الوعاة ٢/ ١٢٢، والذي في الإحاطة ٣/ ٥٥٤: «الطنجالي» وهو في كلا الموضعين مندرج في ترجمة المالقي، أما ترجمة الطنجائي فلم أُصِبْها فيما بين يدي من كتب التراجم.

(٣) الإحاطة ٣/ ٥٥٣.

(٤) الإحاطة ٣/ ٥٥٣، وبرنامج الوادي آشي ١٤٦- ١٤٧، وغاية النهاية ١/ ٤٧٧، وتاريخ قضاة الأندلس ١٢٧، والبغية ٢/ ١٢١.

عنه ثلاثة الكتب التيسير، والتبصرة، والكافي.

٥- عبد الرحمن بن عبد الله بن حوط الله الأنصاري، أبو عمر. المقرئ الراوية. سمع عليه أبو محمد[1]، وروى عنه كتابي التيسير، والتبصرة.

٦- عبد العظيم بن محمد بن أبي الحجّاج. وصفه صاحبُ الإحاطة بوليّ الله، وهو خال أبي محمد المالَقي. قال ابن الخطيب: «ويحمل عن خاله وليّ الله أبي محمد عبد العظيم ابن ولي الله محمد بن أبي الحجاج ابن الشيخ رحمه الله»[2].

٧- قاسم بن أحمد بن حسن الحِجريّ السَّكوت، أبو القاسم المالَقي (٦٩٠هـ) المقرئ القاضي. قرأ أبو محمد عليه[3]، وروى عنه القراءات من كتاب التيسير[4].

٨- أبو القاسم بن ربيع، ذكره صاحب درة الحجال في عداد شيوخ المالَقي، قال: «وكتب له القاضي أبو القاسم بن ربيع»[5].

٩- محمد بن إبراهيم بن أحمد الطائي، أبو عبد الله الأندلسي

(١) الإحاطة ٣/ ٥٥٣، وبرنامج الوادي آشي ١٤٦، والديباج المذهب ١٧٨، والبغية ٢/ ١٢١.

(٢) الإحاطة ٣/ ٥٥٤. ولم أصب ترجمة لهذا العَلَم.

(٣) الإحاطة ٣/ ٥٥٣- ٥٥٤، والغاية ١/ ٤٧٧.

(٤) الذيل والتكملة ٢/٥ ص ٥٤٣، وغاية النهاية ٢/ ١٦.

(٥) درة الحجال ٣/ ١٣٨.

المعروف بابن سمعون (٦٧٠هـ) المقرئ الإمام الكبير قرأ على عبد الله بن محمد الكواب، وقرأ عليه الإمام أبو جعفر بن الزبير وأخذ عنه التيسير والعربية[١]. وذكر ابنُ الخطيب أن ابنَ سمعون كتب لأبي محمد المالَقي بالإجازة العامة[٢].

١٠- محمد بن أحمد بن عبيد الله اللخمي الإشبيلي التجيبي، أبو بكر (٦٦٦هـ) الأستاذ الخطيب المصدَّر. أقرأ الناس دهراً بمالَقة[٣]، وروى عنه أبو محمد كتاب الكافي سماعاً.

١١- محمد بن علي بن الحسن السهيلي، أبو عبد الله الجذامي، المقرئ الضرير، قرأ على أحمد بن غالب وأبي عمرو سالم بن صالح المالَقي وعبد الله بن محمد الجذامي[٤]. وذكر ابنُ الخطيب وابنُ الجزري أن أبا محمد قرأ عليه[٥].

١٢- محمد بن عيّاش بن محمد الخزرجي القرطبي، أبو عبد الله، المقرئ الكبير، روى عنه أبو محمد كتاب التبصرة.

١٣- محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري البلَنسي بن مَشَلْيون

(١) غاية النهاية ٢/ ٤٣.
(٢) الإحاطة ٣/ ٥٥٣.
(٣) غاية النهاية ٢/ ٧٠.
(٤) غاية النهاية ٢/ ٢٠٢.
(٥) الإحاطة ٣/ ٥٥٣، والغاية ١/ ٤٧٧.

(٦٧٠هـ) المقرئ الكبير، روى عنه أبو محمد كتاب التيسير[١].

١٤- يوسف بن إبراهيم بن أبي ريحانة المَرْبلي، أبو الحجّاج، المقرئ الراوية. قرأ عليه أبو محمد[٢]، وروى عنه كتاب التيسير[٣].

تلامذته:

وصف صاحب الإحاطة أبا محمد بجملة صفات، جاء فيها أنه كان: «بعيدَ المدى.. طيبَ القراءة.. مولي النعمة على الطلبة من أهل بلده.. أستاذاً حافلاً متفنناً مضطلعاً، إماماً في القراءات.. مقسومَ الأزمنة على العلم وأهله.. أقرأ عمره، وخطب بالمسجد الأعظم من مالَقَة، وأخذ عنه الكثيرُ من أهل الأندلس»[٤].

فلا غرو بعدُ أن عمّ نفعُه، وطار صيتُه بين الناس؛ ولم يقتصر تعليمُه على أهل بلده، بل أمَّهُ الطلبة من كل مكان يقرؤون عليه، ويلازمونه، ويتخرّجون به. ولقد نبُهَ منهم كثيرون بين قاضٍ وقارئٍ وعالمٍ وكاتبٍ وشاعرٍ وخطيبٍ وإمامٍ حفلت كتب التراجم بذكرهم، وسأعرض فيما يلي لأشهرهم منسوقين على حروف الهجاء:

---

(١) غاية النهاية ٢/ ٢٣٨.

(٢) الإحاطة ٣/ ٥٥٣، وبرنامج الوادي آشي ١٤٦- ١٤٧، وغاية النهاية ١/ ٤٧٧.

(٣) غاية النهاية ٢/ ٣٩٣.

(٤) الإحاطة: ٣/ ٥٥٣.

١– أحمد بن إبراهيم المعروف بابن صفوان المالَقي، أبو جعفر (٧٦٣هـ) أديبٌ شاعر، كان آيةً في فكّ المعمّى، ذكر ابن الخطيب في الإحاطة أنه «قرأ على الأستاذ أبي محمد الباهلي أستاذ الجملة من أهل بلده، ومولي النعمة عليهم، لازمَهُ وانتفع به»[1].

٢– عبد الله بن علي المعروف بابن سلمون الكناني، أبو محمد (٧٤١هـ) مقرئ لغوي فقيه، وهو صاحب كتاب «الشافي في تجربة[2] ما وقع من الخلاف بين التيسير والتبصرة والكافي» جاء في مشيخته أنه قرأ «بمالَقَة على الأستاذ أبي محمد الباهلي»[3].

٣– عثمان بن يحيى بن محمد بن منظور القيسي المالَقي، أبو عمرو (٧٣٥هـ) الأستاذ القاضي «لازم الأستاذَ أبا محمد بن أبي السداد الباهلي»[4]، وله مؤلفات منها «اللُّمَعُ الجدلية في كيفية التحدث في علم العربية».

٤– علي بن محمد بن سليمان الأنصاري المعروف بابن الجيّاب، أبو الحسن (٧٤٩هـ) وزير الدولة النصرية، وأحد كبار كتابها وشعرائها المعروفين، وهو من شيوخ لسان الدين بن الخطيب، وقد نقل من خطّه أسماء

(١) الإحاطة: ١/ ٢٢٢ وترجمته ثمة ٢٢١– ٢٣٢.

(٢) كذا في الإحاطة ولعل الصواب: تحرير.

(٣) الإحاطة: ٣/ ٤٠١ وترجمته ثمة ٤٠٠– ٤٠٤ وفي الغاية ١/ ٤٣٦.

(٤) الإحاطة: ٤/ ٨٦ وترجمته ثمة ٨٦– ٨٧.

أشياخه: «ومنهم الشيخ الخطيب الأستاذ الصالح أبو محمد عبد الواحد بن محمد بن أبي السداد الأموي الباهلي»[١].

٥- القاسم بن يوسف التجيبي السبتي (٧٣٠هـ) صاحب البرنامج المعروف باسمه، وقد جاء فيه: «وسمعت أيضاً يسيراً من صدر هذا الكتاب [الجامع الكبير المختصر في السنن المفردة] من فِلْقِ في الشيخ المقرئ الفاضل أبي محمد عبد الواحد بن محمد الأموي المعروف بالباهلي رحمه الله»[٢].

٦- محمد بن أحمد بن إبراهيم بن الزبير، أبو عمرو (٧٦٥هـ) وهو ولدُ شيخِ المالَقي أبي جعفر بن الزبير. وقد «استجاز له أبوه الطِّمَّ والرِّمَّ من أهل المشرق والمغرب... ومن أهل الأندلس أبو محمد بن أبي السداد...»[٣].

٧- محمد بن أحمد بن خميس الأنصاري (٧٥٠هـ) العالم الخطيب وأحد بلغاء عصره، له مصنفات منها «النفحة الأَرَجِيَّة في الغزوة المَرْجِيَّة» وقد أجازه الشيخ أبو محمد الباهلي[٤].

---

(١) الإحاطة: ٤/ ١٢٧ وترجمته ثمة ١٢٥- ١٥٢ حيث أورد له تلميذه ابن الخطيب كثيراً من أشعاره.

(٢) برنامج التجيبي ١٠٢. وفِلْق الفم شِقّه ومنفرجه، يقال كلمني من فِلْق فيه: من شِقّه. القاموس والتاج (فلق).

(٣) الإحاطة: ٣/ ١٥٧. والطِّم والرِّم كناية عن الكثرة. اللسان (طمّ).

(٤) الإحاطة: ٣/ ١٨٤- ١٨٥.

٨- محمد بن أحمد بن الزيات الكلاعي، أبو بكر، القاضي الخطيب ابن الشيخ الخطيب أبي جعفر بن الزيات له مشاركة في فنون عدة، «قرأ على الأستاذ الخطيب أبي محمد بن أبي السداد الباهلي»(١).

٩- محمد بن أحمد الغسّاني المعروف بابن حفيد الأمين، أبو القاسم (٧٤١هـ) من أهل العربية والفقه والفرائض، ذكر ابن الخطيب في مشيخته أبا محمد بن أبي السداد(٢).

١٠- محمد بن أحمد الغسّاني المعروف بابن حفيد الأمين أيضاً، أبو الحكم (٧٤٩هـ) وهو شقيق أبي القاسم المتقدم، وخطيب مسجد مالَقَة الأعظم «قرأ على الأستاذ الخطيب أبي محمد الباهلي»(٣).

١١- محمد بن بكرون بن حزب الله، أبو عبد الله، من أهل الخصوصية والفضل، استهلَّ ابن الخطيب مشيختَهُ بقوله: «منهم الأستاذ مولي النعمة على أهل بلده، أبو محمد عبد الواحد بن أبي السداد الباهلي، قرأ عليه القرآن العظيم أربع عشرة خَتمة قراءةَ تجويدٍ وإتقان بالأحرف السبعة، وسمع عليه كتباً كثيرة، وقال عند ذكره في بعض الاستدعاءات: ولازمتُه رضي الله عنه وأرضاه إلى حين وفاته...»(٤). ولم يذكر تاريخ وفاته.

(١) الإحاطة: ٢/ ١٣٩. وترجمته ثمة ١٣٨- ١٣٩ وفي غاية النهاية ١/ ٤٧٧.

(٢) الإحاطة: ٣/ ٦٤.

(٣) الإحاطة: ٣/ ٦٧ وترجمته ثمة ٦٦- ٦٧.

(٤) الإحاطة: ٣/ ١٨٩ وستأتي تمام كلمة ابن بكرون في شيخه المالقي وقوله: «بالأحرف السبعة» يريد القراءات السبع.

١٢- محمد بن جابر الوادي آشي (٧٤٩هـ) الإمام المقرئ المحدث الثقة المشهور، وهو صاحب برنامج معروف باسمه، ذكر فيه المالَقي وعدَّ بعض مشايخه[١].

١٣- محمد بن عبد الله بن فُرتون الأنصاري المعروف بالهنا، أبو القاسم (٧٥٠هـ) قاضي القضاة «أخذ عن الجلّة من أهل بلده كالأستاذ أبي محمد بن أبي السداد الباهلي، لازمه وانتفع به»[٢].

١٤- محمد بن عبيد الله بن منظور القيسي المالَقي، أبو بكر (٧٥٠هـ) القاضي الفقيه، «قرأ على الأستاذ أبي محمد بن أبي السداد الباهلي، ولازمه وانتفع به..» وله تصانيف عديدة منها «نفحات المُسُوك وعيون التبر المَسْبوك في أشعار الخلفاء والوزراء والملوك»[٣].

١٥- محمد بن محمد بن إبراهيم الأنصاري المعروف بالمُعَمَّم، أبو عبد الله (٧٥٤هـ) الشيخ الخطيب، قرأ على كثيرين «منهم الأستاذ أبو محمد ابن أبي السداد الباهلي..». ونسبت إليه مؤلفات كثيرة منها «إرشاد السائل لنهج الوسائل»[٤].

---

(١) برنامج الوادي آشي ١٤٦- ١٤٧. وانظر ترجمته في غاية النهاية ٢/ ١٠٦.

(٢) الإحاطة: ٣/ ٢٢٧. وترجمته ثمة ٢٢٦- ٢٢٧.

(٣) الإحاطة: ٢/ ١٧٠- ١٧٢، وانظر في ترجمته أيضاً تاريخ قضاة الأندلس ١٤٥، وغاية النهاية ١/ ٤٧٧.

(٤) الإحاطة: ٣/ ١٩١- ١٩٣.

١٦- محمد بن محمد بن يوسف الهاشمي المعروف بالطنجالي، أبو بكر (٧٣٣هـ) ممن جمع بين الدراية والرواية، وخطب بمسجد مالَقة الأعظم، «قرأ على الأستاذ أبي محمد الباهلي...»[١].

١٧- محمد بن يحيى بن سعد الأشعري المالَقي، أبو عبد الله، المعروف بابن بكر (٧٤١هـ) قاضي الجماعة الصدر المتفنّن، أحد أشياخ لسان الدين ابن الخطيب[٢]، وصاحب كتاب «التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان»[٣]. قال ابن الخطيب عندما عرض لمشيخته: «قرأ على الأستاذ المتفنن الخطيب أبي محمد بن أبي السداد الباهلي القرآن العظيم جمعاً وإفراداً، وأخذ عنه العربية، والفقه، والحديث، ولازمه، وتأدب به»[٤].

وابن بكر هذا هو راوي كتاب شيخه المالَقي (الدر النثير) قال ابن الجزري في معرض إسناده كتاب التيسير: «وأخبرني بشرحه للأستاذ أبي محمد عبد الواحد بن محمد الباهلي الأندلسي المالَقي، وتوفي سنة خمس وسبع مئة بمالَقَة، غيرُ واحدٍ من الثقات مشافهة عن القاضي أبي عبد الله محمد بن يحيى بن بكر الأشعري عن المؤلف تلاوةً وسماعاً»[٥].

---

(١) الإحاطة: ٣/ ١٩٣- ١٩٤.

(٢) نفح الطيب ٥/ ٣٨٥.

(٣) نشر في بيروت عام ١٩٦٤ بتحقيق الدكتور محمود يوسف زايد.

(٤) الإحاطة: ٢/ ١٧٩، وقد نقل هذه العبارة المقري في نفح الطيب ٥/ ٣٨٧.

(٥) النشر ١/ ٦٠.

١٨- يحيى بن عبد الله بن أبي عزفَـة اللخمـي، الرئيـس أبـو زكريـا (٧١٩هـ) محدث ضابط وشاعر مُجيد، رأس بسَبْتَةَ نائباً عن ملك المغرب السلطان أبي سعيد بن عبد الحق. أخـذ عـن كثيرين منهـم: «أبـو محمـد الباهلي..»[1].

١٩- يوسـف بـن موسـى بـن سـليمان الجذامـي المنتشـافري، أبـو الحجّاج، الشـيخ الفقيـه القـاضي المتصـوف والشـاعر الكـاتب، نقـل ابـنُ الخطيب من خطّه في ثبتٍ أجـاز فيـه أولاده قولَـهُ: «فمـن شـيوخي الذيـن رويت عنهم، واسترفدت البركة منهم، الشيخ الخطيب الصالح المتفنّن، أبو محمد عبد الواحد بن أبي السداد البـاهلي..»[2]، وأبـو الحجـاج هـذا هـو راوي قطعة الشعر التي أوردها ابن الخطيب في ترجمة المالَقي[3]، وسـيأتي الكلام عليها، هذا ولم يؤرخ ابن الخطيب لوفاتـه وإنمـا قـال: «كـان حيّـاً عام أحد وستين وسبع مئة» على حين قدَّرها البغدادي بنحو سنة ٧٦٧هـ، وذكر له مصنفات عدّة تنحو في مجملهـا نحـو التصـوف والرقـائق منهـا: «تخميس البردة»[4].

---

(١) الإحاطة: ٤/ ٣٤١، وترجمته ثمة ٣٤٠- ٣٤٣.

(٢) الإحاطة: ٤/ ٣٨٧. وثمة ترجمته ٣٧٧- ٣٩٠.

(٣) هي في الإحاطة ٣/ ٥٥٤.

(٤) هدية العارفين ٢/ ٥٥٧، وانظر الأعلام ٨/ ٢٥٤.

مؤلفاته:

أجمعت مصادر ترجمة الرجل أنّه شرح كتاب التيسير في القراءات شرحاً أفاد فيه وأجاد – وذلك بكتابه المسمى «الدر النثير والعذب النمير في شرح كتاب التيسير» – وسأخصه بنبذة يسيرة بعد تمام هذه الفقرة – وأنّ له كتباً غيره في القراءات والفقه[1]، إلا أنهم لم ينصّوا على أسماء تلك الكتب خلا صاحب كشف الظنون فقد نسب إليه كتاباً اسمه «الأصول الخمسة التي بني الإسلام عليها»[2]، وتابعه البغدادي في هدية العارفين فذكر هذا الكتاب مع شرح التيسير وزاد كتاباً آخر اسمه «المنتخب في فضائل القرآن»[3]، وبهذا تكون مؤلفات المالَقي التي بلغَنا علمُها ثلاثةً.

على أن من ورائها مؤلفاتٍ أخرى للمالَقي على ما يبدو؛ فقد عثرتُ على رسالة مخطوطة في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق، نسبت إليه كما جاء في عنوانها الذي دلّ على أنها جزء من كتاب اسمه «عمدة التحرير في الإدغام الكبير». وهذا نص العنوان: «جزء فيه فرش الحروف من كتاب عمدة التحرير في الإدغام الكبير تأليف الشيخ الفقيه الأستاذ المقرئ المتفنّن الأوحد الأكمل الخطيب الإمام الأفضل أبي محمد عبد الواحد ابن الشيخ الأجل الورع الأفضل المقدّس المرحوم أبي عبد الله محمد بن علي

(١) الإحاطة: ٣/ ٥٥٤، والبغية ٢/ ١٢٢، وطبقات المفسرين ١/ ٣٥٩، والغاية ١/ ٤٧٧.

(٢) كشف الظنون ١/ ١١٤.

(٣) هدية العارفين ١/ ٦٣٥ – ٦٣٦.

بن أبي السّداد الأموي رضي الله عنه»[1].

ولعل قادماتِ الأيام تكشف عن المزيد من هذه المؤلفات.

وكتاب الدر النثير كتاب مؤلف في القراءات القرآنية، وهو شرح لكتاب التيسير في القراءات السبع (للداني ٤٤٤هـ) الذي نظمت عنه الشاطبية (فصار الفرع أشهر من الأصل) وقد اعتمد المالقي في هذا الشرح مبدأ الموازنة بين التيسير وكتابي التبصرة لمكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ) والكافي لابن شريح (٤٧٦هـ)، وعوّل على كثير من كتب القراءات المعتمدة كالسبعة لابن مجاهد، والإقناع لابن الباذش، والتذكرة والكشف لمكي، ومؤلفات الداني المختلفة، فجاء جامعاً وملخصاً لعصارة علم الأندلسيين في هذا الباب.

وهو إلى هذا كله قد امتاز بمزيّتين اثنتين:

الأولى: أنه استقصى ذكر أمثلة الأصول كالإدغام الكبير والإمالة، واستوعب وجوهها المختلفة، ولا أعلم كتاباً آخر يَشْرَكُهُ في هذه المزية.

---

(١) يقع هذا الجزء ضمن مجموع من القطع الكبير يحمل رقم (٥٩٦٤) من مخطوطات الظاهرية في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق ويشغل منه ٧ ورقات (١٧٣- ١٧٩) ولديّ مصورة عنه. وقد جرى فيه المالقي على حصر أمثلة الإدغام الكبير في القرآن الكريم مرتبة حسب ورودها فيه بروايتي الحافظ والإمام. انظر فهرس المخطوطات الظاهرية – علوم القرآن ١/ ٢٢٠.

والثانية: أنه جمع إلى شرف الرواية دقة الدراية، فلا تخلو مسألة من مسائله من الكلام على العلل والتماس وجوه الحكمة والقوانين الصوتية الكامنة وراء كل وجه من وجوه الأداء.

وقفتُ على خمس نسخ خطية تحتفظ بها مكتبات مختلفة في العالم وهي:

١- نسخة مكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق (١٥٠ ورقة).

٢- نسخة المكتبة الأزهرية بالقاهرة، رقم ٢٦٠، (١١٠ ورقة).

٣- نسخة متحف طوبقبوسراي باصطنبول، رقم ١٥٣، (١٨٦ ورقة).

٤- نسخة مكتبة إسميخان سلطان في المكتبة السليمانية باصطنبول، رقم ١١، (٨٣ ورقة).

٥- نسخة مكتبة كوبريللي باصطنبول، رقم ١٦، (٢٣٦ ورقة).

وكان تحقيق هذا الكتاب (مع دراسة مستفيضة عنه) موضوع أطروحة علمية نهضتُ بها وأشرف عليها الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق ونلت بها درجة الدكتوراه بتقدير شرف من جامعة دمشق بتاريخ ٢٨/ ٦/ ١٩٩٤م.

منزلته العلمية:

أتيح لأبي محمد أن يصيب حظاً من فنونٍ من العلم مختلفة، وكانت موارده في ذلك متعددةً متنوعةً، أولها شيوخه الذين أخذ عنهم وقد تقدم ذكرهم. وثانيها تراث عريض من علم القراءات وكتبها، تتلمذ عليه واستقى منه، وصرَّح في مواطن كثيرة من كتابه الدر النثير بالنقل عنه، من مثل مؤلفات الداني ومكي بن أبي طالب وابن شريح الرُّعيني وابن فِيْرُّه وابن الباذِش والمعدّل وغيرِهم، بالإضافة إلى كتب النحو واللغة وفي مقدمتها كتاب سيبويه، فلا غروَ أن كان بعد ذلك – فيما ذكر ابنُ الخطيب –: «أستاذاً حافلاً متفنّناً، مضطلعاً، إماماً في القراءات، حائزاً خَصْل السباق إتقاناً وأداءً ومعرفةً وروايةً وتحقيقاً، ماهراً في صناعة النحو، فقيهاً، أصولياً، حسنَ التعليم، مستمرَّ القراءة، فسيح التحليق[١]، نافعاً، متحبباً، مقسوم الأزمنة على العلم وأهله..»[٢]. ونعته ابنُ الجزري بقوله: «أستاذ كبير، شرح كتاب التيسير شرحاً حسناً أفاد فيه وأجاد...»[٣].

هذا وقد أحَلَّهُ ذلك كلُّه مكانَ الصدارة والأستاذية بين أهل بلده وما

---

(١) التحليق لغة الارتفاع، جاء في التاج (حلق): «.. قال شمر: لا أدري التحليق إلا الارتفاع» ولعل هذه العبارة كناية عن سعة علم الرجل ورفعة شأنه.

(٢) الإحاطة: ٣/ ٥٥٣. وانظر بغية الوعاة ٢/ ١٢١.

(٣) غاية النهاية ٤٧٧/١. ولا يبعد عن ذلك قول ابن فرحون فيه: «كان فقيهاً نحوياً أصولياً حسن التعليم نافعاً منجباً منقطع القرين في الدين المتين والصلاح والتواضع وحسن الخلق». الديباج المذهب ٢/ ٦٣.

جاوره، فغلب عليه لقب الأستاذ الخطيب المتفنّن، حتى لا يكاد يذكر إلا به[١]، بالإضافة إلى ألقاب أخرى عرف بها كالمقرئ، والفقيه، والشيخ الصالح... إلى غير ذلك مما يدلُّ على مكانته العلمية ورفعة شأنه، وسأعرض فيما يلي لدلالة كلٍّ من هذه الألقاب على صاحبها المالَقي:

- **الأستاذ**: هذا لقب اختصّ به في الأندلس كبار العلماء، لا يكاد يطلق إلا على من تبوأ منزلةً علمية مرموقة وكثر طلابه ومن تخرّج به: كابن الباذِش[٢]، وابن الزبير[٣]، والمالَقي[٤]، وأضرابهم..

- **الخطيب**: غلب هذا اللقب على أبي محمد لاعتلائه منبر الخطابة في مسجد مالَقَة الأعظم عُمرَه[٥].

- **النحوي**: أقدم من نَحَله هذا اللقب قرينُهُ أبو حيان الأندلسي شيخ النحاة في عصره (٧٥٤هـ) وستأتي كلمتُه فيه[٦]، وفي الدر النثير من المباحث النحوية ما يدل على علوّ كعب صاحبه في هذه الصناعة.

- **الفقيه**: عرف به أبو محمد لتمكّنه من الفقه، وتأليفِهِ فيه، وتفقّهِ

---

(١) الإحاطة ٢/ ١٣٩، ١٧٦، و٣/١٨٩، و٤/١٢٧، ٣٨٧.

(٢) انظر مقدمة تحقيق الإقناع ١/ ٢٢- ٢٦، والإحاطة ١/١٩٥، هذا وممن نعت المالقيّ بالأستاذ ابن الجزري في النشر ١/ ٦٠، ٣٥٣، وهو في الموضع الثاني «الأستاذ المحقق».

(٣) الإحاطة: ١/ ١٨٨.

(٤) الإحاطة ٢/ ١٣٩، ١٧٦، و٣/١٨٩، و٤/١٢٧، ٣٨٧.

(٥) الإحاطة: ٣/ ٥٥٣.

(٦) انظر كلمة أبي حيان فيما سيأتي وهي في بغية الوعاة ٢/ ١٢٢.

الكثيرين به كما جاء في مواضع متعددة من الإحاطة[١]، على أن لهذا اللقب خاصيةً متميزةً عند الأندلسيين فقد جاء في نفح الطيب نقلاً عن المغرب: «وسمة الفقيه عندهم جليلةٌ حتى إن الملثّمين كانوا يسمّون الأمير العظيم منهم الذي يريدون تنويهه بالفقيه، وهي الآن بالمغرب بمنزلة القاضي بالمشرق، وقد يقولون للكاتب والنحوي واللغوي فقيه لأنها عندهم أرفع السمات»[٢].

– **المقرئ**: القراءة رأس العلوم التي برع بها أبو محمد، ومن ثَمَّ فقد أقرأ عمره[٣]، ولا أدلّ على علوّ كعبه فيه من مؤلّفه الدر النثير الذي جمع فيه فأوعى.

– **المتفنّن**: يشير هذا اللقب إلى كثرة العلوم التي حازها أبو محمد، كالقراءات، والنحو، والفقه، والأصول، والحديث[٤]..

– **الشيخ الصالح**: تقدمت الإشارة إلى هذا اللقب في عرض مذهب الرجل وخلقه[٥]، وأضيفُ إلى ذلك هنا خبراً يدل على صلاحه أيضاً وتصدّره للوعظ، جاء في الإحاطة: حدث الشيخ الفقيه القاضي أبو الحجاج المنتشافري، قال: رأيت في النوم أبا محمد الباهلي أيام قراءتي

(١) انظر ما سبق من ذكر مذهبه وتلامذته.

(٢) نفح الطيب: ١/ ٢٢١.

(٣) الإحاطة: ٣/ ٥٥٣.

(٤) الإحاطة: ٣/ ٥٥٣ وانظر في علمه بالحديث ما سيأتي في الصفحة التالية.

(٥) انظر ما تقدم، وانظر الإحاطة ٤/ ١٢٧، ٣٨٧.

عليه بمالَقَة في المسجد الجامع بها، وهو قائم يذكّر الناس ويعظهم فعقلت من قوله: أتحسبونني غنياً فقيراً، أنا فقير أنا.. فاستيقظت وقصصتها عليه، فاستغفر الله وقال: يا بني حقاً ما رأيت، ثم رفع إلي ثاني يوم تعريفه [كذا] رقعة فيها مكتوب:

لئن ظن قوم من أهل الدُّنى بأن لهم قوةً أو غنى

الأبيات...»(١).

ومن الجدير بالذكر أن ثمَّةَ علوماً أخرى حازها أبو محمد وعلّمها لم يشر إليها مترجموه، لكن المتتبع لتراجم تلامذته يقع على عبارات تفيد مشاركة المالَقي بهذه العلوم، من ذلك مثلاً ما مرّ من كلامٍ على تلميذه قاضي الجماعة ابن بكر الذي «أخذ عنه العربية، والفقه، والحديث، ولازمه، وتأدّب به..»(٢). مما يدلّ على علم المالَقي بالحديث والعربية والأدب...

وكان أبو محمد إلى ذلك كله قريناً لمشاهير العلماء والنحاة والقراء مثل أبي حيان النحوي الذي ذكره في كتابه (النُّضار في المسلاة عن نُضار)(٣)، بقوله: «صاحبنا الأستاذ المقرئ النحوي»(٤). ويبدو أنهما

(١) الإحاطة: ٣/ ٥٥٤، وسيأتي تمام الأبيات في الكلام على شعره.

(٢) الإحاطة: ٢/ ١٧٩، وانظر ما تقدم ص ٣٩٧.

(٣) وهو كتاب صنفه أبو حيان بعد موت ابنته نُضار، ذكر فيه أول حاله واشتغاله ورحلته وشيوخه. انظر كشف الظنون ٢/ ١٩٥٨.

اشتركا في الأخذ عن كثير من الشيوخ(١).

وقد كان للشيخ أبي محمد في نفوس طلابه ومريديه محبةٌ فاقت حدَّ الوصف ولعلّ خيرَ ما يجلوها كلمةُ تلميذه محمد بن بكرون بن حزب الله التي يقول فيها: «ولازمتُهُ رضي الله عنه وأرضاه إلى حين وفاته، ونلت من عظيم بركاته وخالص دعواته ما هو عندي أجلُّ الوسائل، وأعظم الذخيرة، وأفضل ما أعددته لهذه الدار والدار الآخرة. وكان في صدر هذا الشيخ الفاضل كثيرٌ من علم اليقين، وهو علم يجعله الله في قلب العبد إذا أحبه، لأنه يؤول بأهله إلى احتمال المكروه، والتزام الصبر، ومجاهدة الهوى ومحاسبة النفس، ومراعاة خواطر القلب، والمراقبة لله، والحياء من الله، وصحة المعاملة له، ودوام الإقبال عليه، وصحة النية، واستشعار الخشية، قال الله تعالى:﴿إنما يخشى الله من عبادِهِ العلماءُ﴾ فكفى بخشية الله علماً، وبالإقبال عليه عزّاً»(٢).

شعره:

لم يكن أبو محمد شاعراً، ولكن أُثرتْ عنه بعض مقطّعات الشعر، مما هو إلى شعر العلماء أقرب، ويدور ما وصلنا من شعره حول غرض

---

(٤) بغية الوعاة: ٢/ ١٢٢.

(١) كأبي جعفر بن الزبير وأبي علي الحسين بن عبد العزيز بن أبي الأحوص الفهري، انظر مشيخة أبي حيان في الإحاطة ٣/ ٤٤، وانظر المدارس النحوية ٣٢٠.

(٢) الإحاطة: ٣/ ١٨٩- ١٩٠.

واحد لا يكاد يبرحه هو الدعاء والابتهال والتذلل لله سبحانه، من ذلك ما أنشده في مستهلِّ كتابه الدر النثير حيث قال:

وقفْتُ ببابِ اللهِ جلَّ جلالُهُ ... لأحظى بتوفيقٍ ينيرُ هلالُهُ
وقلتُ إلهي نجّني وأحلّني ... بمقعدِ صدقٍ لا يخاف حِلالُهُ
بمنزلِ رضوانٍ بهِ كلُّ مشتهىً ... وللعينِ لذاتٌ ظليل ظلالُهُ
وأتممْ عليَّ الفضلَ بالنظرِ الذي ... تخصّ به من تستقيمُ خِلالُهُ
وعُمَّ جميعَ المسلمينَ بمثلِهِ ... وذا رحمٍ حقٌّ عليَّ بِلالُهُ(١)

ومن ذلك ما أنشده في ختام كتابه حيث قال:

كملَ الكتابُ بحمد ربِّي وحدَهُ ... والحمد لله المصدّقِ وعدَهُ
وصلاتُهُ وسلامُهُ ورضاه والـ ... ـبركات تختصُّ المشفعَ عندَهُ
خيرَ البريّة رحمةً للعالمينَ ... ولا نبيَّ من البريَّةِ بعدَهُ
وتعمُّ أعلامَ الهُدى أصحابَهُ ... والتابعينَ ومن يُراعي عهدَهُ
والحمدُ آخرُ دعوةٍ أدعو بها ... واللهُ عزّ وجلّ يسمعَ حمدَهُ(٢)

ومن شعره أيضاً ما حكاه ابن الخطيب في الإحاطة عن تلميذ المالَقي الشيخ الفقيه القاضي أبي الحجاج المنتشافري:

لئن ظنَّ قومٌ من أهل الدُّنا ... بأنّ لهم قوةً أو غِنى

(١) الدر النثير الورقة ١/ أ.

(٢) الدر النثير الورقة ١٥٠/ أ.

لقـد غلطـوا ويحهـم، مـالَهم؟ فتـاهوا عقـولاً عَمُـوا أعينـا[٣]
فـلا تحسـبوني أرى رأيَهـم فـإنّي ضعيـفٌ فقـيرٌ أنـا
وليـس افتقـاري وفقـري معـاً لخلـقٍ فمـا عنـدَ خلـقٍ غِنـى
ولكـنْ إلـى خـالقي وحـدَهُ وفـي ذاك عـزٌّ ونيـلُ المنـى
فمـنْ ذلَّ للحـقِّ يـرقَ العـلا ومـن ذلَّ للخلـقِ يلـقَ العَنـا[٤]

وبعد.. فليس هذا كل شيء في ترجمة المالَقي وعلمه، وإنما هو صدى لما اجتمع لديّ من كتب التراجم التي عرضتُ له أو ألمعتُ إليه، ولا ريب أن من ورائها كتباً أخرى لم تصلْ إلينا - أو وصلَتْ ولم ترَ النّورَ بعد - كتاريخ مالَقَة لابن عسكر، والإعلام بمحاسن الأعلام من أهل مالَقة لأصبغ ابن العباس[١]، وغيرهما مما عسى أن يوضّح غامضاً أو يبيّن خافياً أو يزيد فيما نقص من مراحل حياة الرجل. أما علمه فما أحسب شيئاً سيوفيه حقّه ويجلو حقيقته كدراسة ما خلّفَهُ من آثار، وعلى رأسها سِفْرُهُ الأكبر «الدر النثير» وهو ما أصبو إليه في بحوث تالية.

(٣) جاء هذا البيت في الأصل على النحو التالي :

لقد غلطوا ويحهم بجمع مالهم فتـاهوا عقـولاً وعمـوا أعينـا

فأصلحته بما يقيم وزنه ولا يضر بمعناه!.

(٤) الإحاطة: ٣/ ٥٥٤.

(١) نص عليهما ابن الخطيب في معرض ذكره لمصادره في الإحاطة ١/ ٨٣.

ثبت المراجع

– الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب (٧٧٦هـ)، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٢ ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

– الأعلام، خير الدين الزركلي (١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥ ١٩٨٠م.

– الإقناع في القراءات السبع، أبو جعفر بن الباذش الأنصاري (٥٤٠هـ)، تحقيق د. عبد المجيد قطامش، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٠٣هـ.

– برنامج التجيبي، القاسم بن يوسف التجيبي (٧٣٠هـ)، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس، ١٩٨١.

– برنامج الوادي آشي، محمد بن جابر الوادي آشي (٧٤٩هـ)، تحقيق محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٣ ١٩٨٢م.

– بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

– تاريخ قضاة الأندلس، أبو الحسن علي بن عبد الله النُّباهي

(٧٩٢هـ)، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

– الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، الأمير شكيب أرسلان، المكتبة التجارية الكبرى بفاس، ط١ ١٣٥٥هـ – ١٩٣٦م.

– الدر النثير والعذب النمير في شرح كتاب التيسير، عبد الواحد المالقي (٧٠٥هـ)، تحقيق محمد حسان الطيان، رسالة دكتوراه، جامعة دمشق ١٩٩٤م.

– درَّة الحَجَّال في أسماء الرجال، أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي (١٠٢٥هـ)، تحقيق د. محمد الأحمدي أبو النور، المكتبة العتيقة بتونس، ودار التراث بالقاهرة، ط١ ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م.

– الديباج المُذْهَب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون المالكي (٧٩٦هـ)، تحقيق د. محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة.

– الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري المراكشي (٧٠٣هـ)، تحقيق د. محمد بن شريفة – د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٤ – ١٩٦٥م.

– طبقات المفسرين، محمد بن علي الداوودي (٩٤٥هـ)، تحقيق علي محمد عمر، مركز تحقيق التراث بدار الكتب – مكتبة وهبة، مصر، ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م.

– عمدة النحرير في الإدغام الكبير، عبد الواحد المالقي (٧٠٥هـ)، مصورة عن نسخة المكتبة الظاهرية الموجودة في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق رقم (٥٩٦٤).

– غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري (٨٣٣هـ)، بعناية ج. برجستراسر، مكتبة المتنبي، القاهرة.

– فهرس الخزانة التيمورية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٦٧هـ – ١٩٤٨م.

– كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله الرومي المعروف بحاجي خليفة (١٠١٧هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

– اللمحة البدرية في الدولة النصرية، لسان الدين بن الخطيب (٧٧٦هـ)، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

– معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م.

–النشر في القراءات العشر، ابن الجزري (٨٣٣هـ)، تصحيح علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت.

– نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المَقّري

التلمساني (١٠٤١هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي (١٣٣٩هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

- C. Brockelmann, Oeschichte, Der Arabischen Litteratur, Leiden, ١٩٣٧.



نَظَراتٌ في سِيرة كَشَاجِمَ وآثارِه

(القسم الأول)

الدكتور محمد بن عبد الله العزّام

لم أكن أعرف شيئاً كثيراً عن أبي الفتح كَشاجم، ولكني انصرفت في بضع السنوات الأخيرة إلى دراسة سيرة أبي الطيِّب المتنبيّ وأخباره وشروح ديوانه، فكنت أعجب من غياب اسم هذا الشاعر المشهور من أخباره ومن أخبار سيف الدولة، مع أنَّه كان يعيش في حلب وكان فيما يقولون من شعراء سيف الدولة.

طبعات الديوان:

ثمَّ اطَّلعت على الطبعة الجديدة من ديوانه، وهي بتحقيق الدكتور النبوي شعلان ومن منشورات مكتبة الخانجي بمصر في عام ١٩٩٧. فإذا مكتوب على الغلاف: **المتوفَّى سنة ٣٦٠**، فازداد العجب لأن المحقّق الفاضل ينبغي أن يكون قد حرَّر المسألة، ولكن ظهر أنه لم يبحثها أصلاً، ووجدته يردِّد الكلام المعروف عن سيف الدولة وإكرامه للشعراء، وتوسَّع فيه في مقدِّمة كتاب أدب النديم، من غير الاهتمام ببحث وجود كَشاجم في قَصْره وعَصْره، كأنَّها مسألة مفروغ منها.

ولكنَّه قصرَّ في استخراج الأشعار المتنازع عليها بينه وبين السَّريّ الرَّفّاء، مع أنه وقف على ديوان السَّريّ الصادر عام ١٩٨١. وهذه الأشعار تَدُلّ على مقدار

الاضطراب في رواية ديوان كَشاجم، والتداخل بينه وبين دواوين معاصريه، وبعضها لا وجود له في أصل ديوانه ولا في زياداته. ولم يرجع المحقِّق إلى كتاب المصايد والمطارد المنسوب لكَشاجم، وهو مطبوع، وفيه أشعار كثيرة منسوبة إلى كشاجم وأشعار ينسبها المصنِّف إلى نفسه، ولا يخلو الكتاب من إشكال. ولعلَّه لم يسمع بكتاب البيزرة الذي يقال إنَّه من تصنيفه (لأن المصنِّف ينشد أشياء من شعر كَشاجم على أنَّها من شعره)، وهو مطبوع أيضاً. ونسي نشر ترجمته الموجودة في بعض النُّسخ، ولقد اتّسع المقام لنشر كلام كثير ليس له علاقة ظاهرة بالشاعر، فكان يَجِب نشر الكلام المتعلِّق به، ولا سيَّما أن تراجمه في الكتب قليلة. وانصرف ـ مع الأسف ـ إلى الهجوم على الدكتور سامي الدهان رحمه الله، واتهامه بشتى التُّهم بعبارات غير مستحسنة، لأنه استخرج بعض أشعار الخالديين من ديوان كَشاجم، بينما يجزم هو بأنَّها لكَشاجم من غير دليل إلا وجودها في ديوانه. وهذا الهجوم لا مسوِّغ له لأن دسَّ أشعارهما في الديوان أمر معروف مشهور مقطوع بوقوعه.

وقد حُقِّقت هذه الطبعة من الديوان على النُّسخة المصرية (أعني نسخة دار الكتب المصرية ذات الرقم ٤٥٧٩)، وعُورضت على نسخة بطرسبرغ وطبعة بيروت القديمة، وعلى أربع نسخ حديثة في مصر. وازدحمت الحواشي بفروقاتها مع أن كثيراً منها تصحيفات واضحة لا قيمة لها. وفات عليه استخدام نسخة الدار المهمّة ـ ذات الرقم ٧٩م ـ التي اطَّلع عليها الدكتور الدهان فوجدها سالمة من بعض الشعر المدسوس. وأهمّ من ذلك أنه لم يقف على نسخة برنستون وهي أجلُّ النُّسخ على الإطلاق.

أما الطبعة العراقية فقد صدرت في بغداد سنة ١٩٧٠، وهي بتحقيق السيدة الفاضلة خيرية محفوظ. وقد اتخذت النسخة المصرية نفسها أصلاً كما قالت، وعارضتها بنسخة بطرسبرغ ونسخة برنستون وطبعة بيروت القديمة. ولكنَّها أفرغت جميع الأشعار الواردة فيها وفي سائر المصادر في

ترتيب هجائي واحد، وخلطت بين كَشاجم وبين ابنه أبي نصر في بعض المواضع، وأغفلت الإشارة إلى أن بعض القطع وردت ملحقة ببعض النُّسخ، فضاعت معالم الديوان واختلط الحابل بالنابل.

ولم يقف محقِّق الطبعة المصرية على هذه الطبعة العراقية، وتجاهلها فلم يذكرها ولومن أجل الاعتذار عن عدم الاطّلاع عليها. وهي منتشرة بأيدي الناس وطالما أشار إليها الباحثون، ونحن في عصر الاتصالات والمجلات العلمية والمكتبات ومعارض الكتب. وهو أولى بمعرفة وجودها لأنَّه حريص على كلّ ما يتعلَّق بكَشاجم، وقد رجع إلى دواوين أخرى ممَّا صدر في العراق ومنها ديوان السَّريّ الرَّفّاء، فلا أقلَّ من أن يكون قد سمع بها في المجالس والكتب والمقالات. فكان يجب عليه أن يبحث عنها ويستفيد منها. وبلغني أن الأستاذ هلال ناجي استدرك على الطبعة العراقية في بعض المجلات، ثمَّ نشره في كتابه (هوامش تراثية). فلم يرجع إليه المحقِّق إن كان قد علم به. وهذا باب خطير من أبواب النقص الملحوظة في الأعمال العلمية العربية، أعني ضعف وسائل الباحثين عن معرفة البحوث المنشورة والحصول عليها للاستفادة منها، فتضيع الجهود السابقة لأنها لا يُستفاد منها، وتضيع الجهود اللاحقة لأن الجهود الأولى تُغني عن كثير منها.

ولم أقصد في هذه المقالة إلى نقد هاتين الطبعتين، مع أن الحاجة قائمة إلى نقدهما. ولا يزال الديوان في رأيي بحاجة إلى تحقيق جديد صحيح!

اسم أبيه وجدّه:

لقد وقع القدماء والمعاصرون في أوهام كثيرة تتعلَّق بكَشاجم، فاختلفوا في اسم أبيه وجدّه وفي كنيته وفي تاريخ وفاته، وأورد بعضهم أخباراً لا تصح عنه. وسوف أشرح هذه الإشكالات ثمَّ أعرض رأيي في تخريجها، وهو تخريج قريب موثَّق يفسّر أكثرها من غير تكلُّف إن شاء الله.

وأوّل إشكالٍ يتعلّق باسم أبيه وجدّه: فقد أجمعت نُسخ ديوانه وجمهور المصادر على أنه (أبو الفتح محمود بن الحُسين)، وزاد بعضها بعد الحُسين (ابن السِّنْدي بن شاهك الرَّمْلي). ونص عصريّه المسعودي على ذلك في مروج الذهب ٣٦٦/٤، وقال في موضع آخر (أنشدني أبو الفتح محمود ابن الحُسين بن شاهك الكاتب، وكان من أهل العلم والدراية والمعرفة والأدب). وقال ابن العديم في ترجمة أبي نصر من بُغية الطلب ١١١/٣ ما مختصره (أحمد بن محمود بن الحُسين بن السِّنْدي بن شاهك، أبو نصر بن أبي الفتح الكاتب المعروف والده بكَشاجم من ولد يزدجرد - وقيل اسمه محمَّد، وقيل الفتح - شاعرٌ ابن شاعر، **كان مع أبيه بحلب**). وقال الزِّرِكلي في حاشية الأعلام ١٦٧/٧ ما مختصره (كذلك ورد اسمه في مقدِّمة نسخة قديمة من ديوانه كتبت سنة ٥١٤، ونقل حبيب زيات من مخطوطة اطلع عليها أن له ابناً اسمه أبو الفرج أحمد بن محمود بن الحُسين بن السِّنْدي بن شاهك). فهناك اضطراب في اسم ابنيه، **ولكن لا خلاف على أنّه محمود بن الحُسين بن السِّنْدي**. وقد صرَّح هو باسم جدّه السِّنْدي فقال:

في سطورٍ أعارها جَدّيَ السِّنـ ـديُّ من نقشِ نفسهِ في النقودِ

ومن الممكن أن يقال إنه جدّ أبيه، ولكن لا ينبغي - والحال هذه - العدولُ عن المعنى الحرفي إلا بدليل.

والإشكال في ذلك أن السِّنْدي بن شاهك رجل معروف، وكان صاحب الشرطة والحرس للرشيد المتوفَّى سنة ١٩٢ كما في الوزراء للجهشياري ٢٣٦ وغيره، وقال ابن خلكان ٣١٠/٥ في ترجمة موسى الكاظم الذي حبسه الرشيد (وكان المُوَكَّلُ به مدَّة حبسه السِّنْديَّ بن شاهك جدّ كشاجم الشاعر المشهور). وله أخبار مع الهادي والأمين والمأمون، بل قال بعض الدارسين إنه كان من خاصّة أبي جعفر المنصور المتوفَّى سنة ١٥٨

كما يستفاد من كلام الجاحظ في البيان ٣٢٨/٢. فكيف يعيش حفيدُه كَشاجم ليكون شاعراً أو طباخاً لسيف الدولة المتوفّى سنة ٣٥٦ وتقع وفاته في سنة ٣٦٠؟ هذا لا يكون في المعتاد من الأعمار مع أنه غير مستحيل، ولكنّه بعيد جداً.

واضطربوا في تخريج هذا الإشكال. فقال الزِّركلي في الحاشية (لا بدّ من أبوين على الأقلّ لملء المدّة)، وأشار إلى قول السيوطي في حسن المحاضرة ٥٦٠/١ بأنه محمود بن محمّد بن الحُسين بن السِّنْدي، واستحسن هذه الزيادة لأنها تسدّ الفراغ. ولكنّه لم يأخذ بها كما يتضح من ترتيب الأسماء في كتاب الأعلام ومن التعقيب عليه بذكر إجماع النُّسخ على خلافه.

أمّا الدكتور شعلان فجاء في مقدّمة تحقيقه الديوان – وفي مقدّمة أدب النديم أيضاً – بتخريج من أغرب ما يكون ! فقد استخرج من كتب الجاحظ اسمي نصر وإبراهيم ابني السندي بن شاهك، وزعم – من غير دليل – أنه لم يكن لهما أخ ثالث، وأن كَشاجم يَجِب أن يكون حفيداً لإبراهيم لأن الجاحظ أثنى على علمه وفضله فهو أولى بأن يكون جدّ كَشاجم! فوقع في ثلاثة محاذير: زيادة اسم في سلسلة النسب، وتخصيص إبراهيم من غير مخصِّص، وإنكار أن يكون الحُسين ابناً ثالثاً للسندي! وهذا النوع من التلفيق لا يُعاجُ عليه.

وإنّما وقع الناس في هذا الإشكال لقعودهم عن تحقيق عصره.

كُنْيته:

أطبق المؤرخون والأدباء على أنّه أبو الفتح، وأجمعت على ذلك نسخ الديوان بحيث لا يُرتاب في ذلك على الإطلاق. ولكن شذّ السيوطي فكنّاه بأبي نصر، فقال شعلان في مقدّمة الديوان (لم أدر من أين جاء السيوطي بما قال في اسم الشاعر وكنيته). والحقّ أنه لم يبتدع شيئاً من عند نفسه، فلقد

سبقه إلى ذلك الذهبي في تاريخ الإسلام ٢٣٣ (جزء وفيات ٣٦٠) وسير أعلام النبلاء ٢٨٥/١٦ والعبر ٣٢٢/٢، وابن كثير في البداية والنهاية ٢٨٥/١٦.

وهذا الإشكال أيضاً فرع من الإشكال الأول، وسيأتي جلاؤه إن شاء الله.

تاريخ وفاته:

ثمَّ يأتي الإشكال الأعظم في تحديد عصره وتعيين تاريخ وفاته. ولا أجد بُدّاً من استعراض أقوالهم مرتبة على التواريخ، وهي على النحو التالي:

● فورد في مقدّمة الطبعة الأولى من الديوان (بيروت ١٣١٣) أنّه مات في سنة ٣٣٠. ولم أعرف سند ذلك، وأظنّ أن الناشر وجده في النسخة المطبوع منها.

● وذكره بعض علماء القرن الرابع فلم يذكروا تاريخ وفاته، وهم: المسعودي المتوفّى سنة ٣٤٦ في المروج ٣٦٢/٤ - ٣٦٩، والشابُشْتي المتوفّى سنة ٣٨٨ في الديارات ٢٦٠، وابن النديم في الفهرست ١٥٤. ويُستفاد من مجموع كلامهم أنه كان من رجال أوائل القرن لأن المسعودي التقى به وذكر أشياء من شعره أُنشدت في مجلس المستكفي العباسي الذي تولّى الخلافة من سنة ٣٣٣ إلى سنة ٣٣٤، ولم يذكر الشابُشْتي وابن النديم بقاءه إلى عصرهما.

● ولم يترجم له الثعالبي المتوفّى سنة ٤٢٩ في يتيمة الدهر، وإنّما ترجم لابنه أبي نصر، وهو لا يُقارَن به. هذا مع أنه من أشهر شعراء الشام والثعالبي شديد الإعجاب بهم، ومع قوله عن ديوانه (وهو إذ ذاك ريحان أهل الأدب بتلك الديار). فالتفسير المعقول لذلك أنه عاش قبل العصر المقصود من تصنيف اليتيمة، كما لم يترجم لأمثاله كالخبزرزّي والصنّوبريّ.

• وأثنى عليه ابن شرف القيرواني المتوفَّى سنة ٤٦٠ في مقامته المسمّاة برسائل الانتقاد (انظر رسائل البلغاء ٣٢١). وليس من طريقته ذكر الوفيات، ولكن أسماء الشعراء في كلامه مرتَّبة على العصور إجمالاً، فجعله بعد ابن المعتزّ وابن الرُّومي وقبل الصَّنوبريّ والخبزرزّي وأبي فراس والمتنبّي.

• وترجم له الحافظ ابن عساكر المتوفىً سنة ٥٧١، وهو أشهر مؤرخي بلاد الشام، في مختصر تاريخ دمشق ١١٧/٢٤، **ولم يذكر تاريخ وفاته**.

• وترجم له ابن العديم مرَّتين في بُغية الطلب، ولكنَّ الترجمة المطوَّلة ضاعت فيما ضاع من أجزاء الكتاب، وبقيت المختصرة وهي سطران. وبقيت ترجمة ابنه أبي نصر وهي مفيدة جداً في معرفة عصر أبيه.

• وترجم له الحافظ الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ في الكتب المذكورة قبل، وكنّاه بأبي نصر، وجعله ضمن وفيات سنة ٣٦٠ من غير تصريح بتاريخ وفاته. وقال (روى عنه الحُسين بن عُثمان الخرقي وغيره)، وسيأتي بيان ما فيه من الخلط.

• وترجم له الصفَدي المتوفَّى سنة ٧٦٤ في الوافي. ولم أقف على كلامه بعد، وأظنّه موجوداً في كتاب ابن شاكر لأنه يسلخ كلامه غالباً.

• وترجم له محمَّد بن شاكر الكتبي المتوفَّى سنة ٧٦٤ في عيون التواريخ ٦١/١٢ (نسخة الظاهرية) وفوات الوفيات ٩٩/٤، وقال في الفوات (كان من شعراء أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان والد سيف الدولة ... وكانت وفاته في حدود الخمسين وثلاث مئة).

• وقال ابن كثير المتوفَّى سنة ٧٧٤ رحمه الله في البداية والنهاية ٢٨٥/١٦ فقال (كشاجم: شاعر زمانه، يذكر مع المتنبي. وهو **أبونصرمحمود بن حسين**، له ذكر في تاريخ دمشق، روى عنه الحسين بن عثمان الخرقي وغيره). وهذا الكلام مليء بالأوهام.

• وترجم له الزركشي المتوفَّى سنة ٧٩٤ في عقود الجمان ٣٢٢ (وهو مخطوط لم أقف عليه بعد).

• وترجم له السيوطي المتوفَّى سنة ٩١١ في حسن المحاضرة ١/٥٦٠، وكنّاه بأبي نصر، ولم يصرّح بتاريخ وفاته، ولكن جاء به مع المتنبي في سياق واحد. وورد في حاشية الأعلام للزِّركلي أنّه سلكه في الوفيات الواقعة بين سنة ٣٤٥ وسنة ٣٥٤.

• وذكره الحاج خليفة المتوفَّى سنة ١٠٦٧ في كشف الظنون ١/٨٠٧ وفي مواضع أخرى، فجعل وفاته في سنة ٣٥٠.

• وترجم ابن العماد الحنبلي المتوفَّى سنة ١٠٨٩ في شذرات الذهب ٣/٣٧، وجعل وفاته في سنة ٣٦٠.

• وذكره الزبيدي في تاج العروس ٩/٤٦، ولم يذكر متى مات.

• وترجم له جورجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية ٢/٣٥٤ فلم يقطع بشيء في تاريخ وفاته.

• وترجم له بروكلمان في تاريخ الأدب العربي ٢/٧٧، وجعل وفاته في سنة ٣٥٠ أو ٣٦٠. وقال (كان يعمل في خدمة سيف الدولة مُنَجِّماً ورئيساً للطبّاخين). وقال إنه مدح ابن حمدان أمير الزاب من بلاد إفريقية. وهو غلط محض كما يتّضح من مراجعة مصدره وهو كتاب رسائل الانتقاد لابن شرف. ولكنّه تكرر في غير كتاب من غير إشارة إلى كتاب بروكلمان!

• وترجم له الزِّركلي في الأعلام ٧/١٦٧، فجعلها في سنة ٣٦٠، مع الإشارة إلى الأقوال الأخرى. ولكنّه قال (استقرَّ في حلب فكان من شعراء أبي الهيجاء ثمَّ ابنه سيف الدولة.). وهذا وهم في العبارة لأن أبا الهيجاء لا علاقة له بحلب. وقال (وقيل: كان في أوَّليَّته طبّاخاً لسيف الدولة)، وهذا وهم آخر لأن صلته بسيف الدولة على فرض صحتّها لم تقع إلا في آخر

حياة كَشاجم.

• وترجم له كحالة في معجم المؤلفين ٨٠٣/٢ (الطبعة الجديدة)، فجعلها في سنة ٣٦٠.

• ونقل المستشرق ولفنسون في مقالة له في مجلة المجمع بدمشق ٢١١/١٨ (١٩٤٣) الأقوال المختلفة في تاريخ وفاته ولم يرجِّح شيئاً منها، إلا أنه أشار إلى انقطاع أخباره في عصر سيف الدولة.

• وترجم له الدكتور محمَّد أسعد طلس رحمه الله في مقدِّمة كتاب المصايد. فقدَّر مولده بسنة ٢٩٥، وهو غلط ظاهر يتعارض مع قول المصنّف في الصفحة ١٦ (وكلّ ما أذكره من ذلك سماعي من إبراهيم بن جابر بحلب سنة أربع وثلاث مئة)، فهذا ليس قول ابن تسع. وكتب على الغلاف (المتوفَّى بعد سنة ٣٥٨)، اعتماداً على أنّه هجا كافوراً الإخشيدي، وهذا وهم فاحش أيضاً.

• وعدَّه الدكتور عبد الوهاب عزام ضمن شعراء سيف الدولة، وأشار إلى أنه مدح ابن حنزابة وزير كافور (ذكرى أبي الطيِّب ١٩و ١٠٨). ولا أصل لذلك كلّه.

• وترجم له الدكتور سامي الدهان رحمة الله في كتابه قدماء ومعاصرون ١٣ ـ ٣٠، وجعله من شعراء سيف الدولة، وكتب في الحاشية (المتوفَّى سنة ٣٤٠). ولكنَّه ذكر في موضع آخر أن التاريخ لم يحفظ سنة وفاته. فمن الواضح أنَّه لم يبحث هذه المسألة مع اهتمامه المعروف بشعراء الشام في القرن الرابع.

• وترجم له الدكتور فؤاد سزكين في تاريخ التراث العربي ٤٤/٤/٢ في جملة شعراء سيف الدولة، فقال إنه قدم إلى مصر سنة ٣٣٩ (ولم يذكر سند قوله هذا)، ورجّح أنَّه مات في سنة ٣٦٠.

• وذكره الدكتور عمر فرّوخ في تاريخ الأدب العربي ٢/٥٠٥، وأشار إلى مولده في بَلْخ من غير ذكر المصدر ـ وهو غريب جداً ـ وجعل وفاته في سنة ٣٦٠.

• أما الدكتور شوقي ضيف فلم يترجم له في كتاب العصر العباسي الثاني الذي ينتهي عند سنة ٣٣٤. وإنّما ذكره في الكتاب التالي وهو كتاب عصر الدول والإمارات (قسم الشام ١٨٩)، وقال: نظنّ ظناً أنه وُلد سنة ٢٩٠، ورجّح وفاته في سنة ٣٦٠، وأشار إلى صلته بسيفّ الدولة.

• وقال الدكتور إحسان عبّاس في حاشية ديوان الصّنّوبري ٢٩٤ (ومن الظاهر أن كَشاجم تُوُفّي قبل الصّنّوبري في حدود سنة ٣٣٠)، وهو رأي ما أحراه بالصحّة، وقد مات الصّنّوبريّ في سنة ٣٣٤ كما هو معلوم. وأضاف (ويقال إنّه خطب إلى الصّنّوبريّ ابنته)، هكذا بعبارة التمريض من غير ذكر المصدر، والذي في ديوان كَشاجم تعزيتُه بموت بنته.

• وذكرت السيدة خيرية محفوظ في مقدّمة الديوان ما قيل عن وفاته في سنة ٣٦٠، وأن الأكثر على وفاته في سنة ٣٥٠، فكأنها ترجّح ذلك.

• وسلكه الدكتور مصطفى الشكعة مع أبي الفرج الببغاء في عداد كُتّاب سيف الدولة من غير إحالة على مصدر (انظر كتابه: سيف الدولة الحمداني ٢٤٢). وقد ذكر كثيراً من رسائل الببغاء المكتوبة لسيف الدولة ولم يذكر شيئاً لكشاجم. ولا شكّ عندي أنه ركّب وصفه بالكتابة على عمله المزعوم عند سيف الدولة، فصار كاتباً من كتّابه.

• وذهب الأستاذ هلال ناجي في كتابه هوامش تراثية إلى أن مولده لا يُعلم على وجه التحقيق، ورجّح وفاته سنة ٣٥٠.

• وبلغني أن الدكتورة ثريا ملحس لها عنه رسالة جامعية، مقدّمة إلى الجامعة اليسوعية سنة ١٩٨١. وممّا ورد فيها أنه ولد في بغداد ومات بها،

فهو بغدادي لا رَمْليّ، لأن الرملة غير مذكورة في شعره، ورجَّحت أنه مات سنة ٣٤٨. ولم أقف على هذه الرسالة، ولا أطمئن إلى هذه النتائج، والرجل شاميّ رَمْليّ حلبي من غير شكّ.

• ومضى أن الدكتور شعلان كتب على غلاف الديوان أنه مات في سنة ٣٦٠، من غير تحقيق لهذه المسألة المهمَّة.

فالحاصل أن القدماء إلى منتصف القرن الثامن لم يذكروا تاريخ وفاته، ومنهم ابن عساكر مؤرخ الشام. ولكن طريقة المتأخرين في ترتيب التراجم على طبقات، بدلاً من ترتيبها على الحروف أو نثرها كما يتَّفق، تجعلهم يضطرّون إلى الاجتهاد والتخمين لوضع الترجمة التي يجهلون وفاة صاحبها في أصلح الأماكن لها على وجه التقريب والتقدير، وقد صرَّح بذلك الذهبي في غير موضع من كتاب تاريخ الإسلام. وهذا تفسير صنيعه وصنيع من جاء بعده في تقدير وفاة كَشاجم، فإنهم قرؤوا ما يَدُلُّ على أنه كان من رجال سيف الدولة ـ بصرف النظر عن صحَّة ذلك في نفسه ـ فاجتهدوا في تقدير تاريخ وفاته وجعلوها في سنة ٣٥٠ أو ٣٦٠.

وتابعهم أكثر أهل عصرنا من غير تحقيق، وانطلقوا إلى التشكيك في عدد الآباء بينه وبين جدِّه السندي وتخيّلوا أشياء لا أصل لها. ولا يُستغرب ذلك من بروكلمان والزِّركلي وكحالة وفرّوخ وسزكين وغيرهم ممَّن يكتبون تواريخ عامّة، وإنَّما يُستغرب ممَّن فرغ للترجمة له وتحقيق ديوانه ومصنَّفاته فلم يحقّق عصره وتاريخ وفاته، ويمرّ على الشواهد الكثيرة فلا يقف عندها.

والحقّ أن القول بوفاته في سنة ٣٦٠ أو بعد سنة ٣٥٨ **باطل قولاً واحداً**. والدليل على ذلك ما نقله ابن العديم من خطّ أديب مصري مشهور من أهل الضبط والتحقيق كان يعيش في ذلك العصر، وهو صالح بن إبراهيم

ابن رِشْدين راوية أبي الطيِّب المتنبّي، قال (هجا أبو الحسن محمَّد بن هارون الأكثمي أبا الفرج وأبا نصر عُبيد الله وأحمد ابني كَشاجم بهذه الأبيات فلم يجيباه:

أبْنَيْ كَشاجم أنتما مُستعملانِ مُجَرَّبانِ
لو تَكْتُبان لذا الزما نِ أمَتُّماهُ بلا زمانِ
مات المَشْؤومُ أبوكما فخَلَفتُماهُ على المكانِ
وقُرِنتُما في **عصرنا** ففعلتُما فعلَ القِرانِ
بغَلاء أسعار الطعا مِ **وميتةِ الملك الهجان**

فكتب ابن العديم بخطه في الحاشية بإزاء البيت الأخير (الملك كافور). وهذه الأبيات موجودة في اليتيمة أيضاً ٣٩٣/١ من غير تفسير. ولقد أشار الشاعر في البيت الثالث إلى وفاة أبيهما المشؤوم كَشاجم، ويُفهم من كلمة «عصرنا» في البيت الرابع أنَّ موته متقدِّم بعض الشيء. وتضمَّن البيت الخامس ما يَدُلُّ على تاريخ الأبيات وهو وفاة كافور في سنة ٣٥٦. وقال ابن العديم في موضع آخر ١١٢/٣ (تُوفِّي أبو نصر بعد موت كافور في حدود الستين والثلاث مئة). فلقد مات كَشاجم قبل سنة ٣٥٦ يقيناً. والإشارة واضحة في هذه الأبيات إلى اشتغاله وأبنائه بصنعة الكتابة وأنهم كانوا رجال دولة، فهي تدحض ما قيل من اشتغاله بالطبخ لسيف الدولة، ولو وقع ذلك لأشار إليه هذا الشاعر في هجائهم.

دلالة الديوان على عصره:

لم أجد في الديوان نصّاً يدل على تاريخ مولده ولا وفاته، ولكنَّ فيه إشارات كثيرة يشهد بعضها لبعض، **وهي قاطعة الدلالة على أنه من مخضرمي القرنين الثالث والرابع.**

فلقد مدح أبا الحَسن عليّ بن سُليمان الأخفش ـ النحويّ المشهور

المتوفى سنة ٣١٥ ـ بقصيدتين، وفيهما إشارة إلى وجود الأخفش في الشام آنذاك (الديوان ٤٢ و ٥٨، وستكون الإحالة على الطبعة المصرية بتحقيق الدكتور شعلان). وفي ديوان الصَّنَوبريّ ٣٧٣ و ٤٢٠ قصيدتان في مدحه أيضاً. ويُستفاد من أخبار الأخفش أنه ذهب إلى مصر في سنة ٢٨٧، ثمَّ جاء إلى حلب في سنة ٣٠٠، ثم عاد منها إلى بغداد في سنة ٣٠٥. فينبغي أن يكونا قد مدحاه **في أوائل القرن الرابع** عندما كان يقيم في حلب. وهذه قرينة قوية جداً.

ويهدينا ديوانه وديوان الصَّنَوبريّ إلى عمق الصداقة بينهما، وقد تبادلا قصائد كثيرة، واستهداه كشاجم أشجاراً ليغرسها في حديقته، ولا يكون استهداء الأشجار إلا إذا كانا مستقرَّين في بلد واحد،أي في حلب. وثَمَّة قصيدة متنازعة بينهما، أعني أنها موجودة في ديوا نيهما. ورأى الدكتور شعلان أن كَشاجم أعطاها للصَّنَوبريّ ليقرأها فدخلت في ديوانه. والأمر في ظنّي على العكس؛ لأن ديوان كَشاجم مضطرب غير مسموع عليه، ويظهر أنه جُمع بعد وفاته، فمن السهل أن تدخل فيه أشعار لغيره.

ومع ذلك كلّه لا نَجِد رثاء أحدهما لصاحبه، ولكنَّ ديوان كَشاجم باقٍ بتمامه وديوان الصَّنَوبريّ ناقص بمقدار الثلثين تقريباً. فالأقرب إلى المعقول أن يكون رثاء الصَّنوبري لكَشاجم ضاع فيما ضاع من ديوانه.

وقد تواردا على مدح كثير من الرجال غير الأخفش أو هجائهم أو رثائهم، ومنهم أبو العباس محمَّد بن أحمد بن عبد الله الرَّشيديّ وأبو الحُسين الهاشمي وعبد الملك بن محمَّد الهاشمي وأحمد بن إسماعيل الإسكافي وأبو بكر الدقيشي، فهذا يَدُلُّ بوضوح على تعاصرهما زماناً ومكاناً. ولم أجد بياناً شافياً عن هؤلاء القوم، ولعلَّ المصادر لا تخلو من الإشارة إلى بعضهم. وأظنّ أنَّ أبا العباس الرشيدي كان يلي بعض الأعمال

في حلب أو غيرها من بلاد الشام؛ لأن كَشاجم يطلب منه تشغيله في وظيفة الكتابة. فإن صحَّ ذلك فينبغي أن يكون في أواخر القرن الثالث أو أوائل الرابع عندما كان الحلّ والعقد بيد الخليفة العباسي؛ لأن أمور الخلافة اضطربت كثيراً بعد مقتل المقتدر في سنة ٣٢٠، ووثب الناس على الولايات، فلا مجال لتولية أمير من البيت العباسي إلا في عصر سيادة الخلافة.

وترجم ابن العديم في البغية ٣/ ٥٠ لأبي الحسن أحمد بن محمَّد بن أبي يعقوب بن هارون الرشيد، وذكر أنه يلقب بالرشيدي، ومدحه الشعراء من أمثال الصَّنوبري وابن الزكورية الأنطاكي، **وروى عنه أبو الفتح كشاجم وأبو بكر الصولي**، وتولى أحكام المظالم والأمور الدينية - يعني في حلب على ما يظهر من سياق الكلام - وكان له عناية برواية الحديث، وتوفي في سنة ٣١٤. فهذا ينطبق على الممدوح من كلّ وجه إلا الاختلاف في الاسم والكنية!

وقال كشاجم في كتاب المصايد ٧ (أخبرني بمثله أبو بكر الصولي). وقد ولد الصولي في سنة ٢٥٠ تقريباً ومات في سنة ٣٣٥، ومن الواضح أنه كان من أقران كشاجم. ولا أدري هل التقيا في الشام أم في العراق. وفي وفيات الأعيان ٢/ ١٤ خبر يرويه الصولي عن كتاب المصايد لكشاجم، وأخشى أن يكون وقع خلل في هذا الموضع من وفيات الأعيان، ولا يصحّ تعليقُ المحقّق بأن الصولي قد يكون ذكره في شرح ديوان أبي تمام لأنه غير موجود فيه.

وفي الديوان قصيدة في مدح أبي عليّ بن مُقْلة الوزير الخطّاط المشهور، وقد تولى الوزارة ثلاث مرات بين سنتي ٣١٦ - ٣٢٤ (الديوان ٣١٠). فقد يكون كَشاجم جاء إليه في بغداد أو أرسلها إليه من الشام.

والمُهِمّ أن تاريخها يشهد مرّةً أخرى لوفاته في أوائل القرن، لا لأنه يستحيل بقاؤه إلى منتصف القرن، ولكن لأن غزارة هذه الإشارات إلى أوّل القرن يقابلها ضحالة شديدة في الإشارات إلى منتصف القرن كما سيتّضح إن شاء الله.

وفيه قصيدة أخرى حاسمة في الدلالة على عصره، وهي في مدح الحسن بن الحسن بن رجاء، وسمّاه فيها بالحسن بن الحسن، وخاطبه بابن رجاء، والتمس فيها منه عملاً في مجال الكتابة (انظر الديوان ٣٨٠). ومما قاله فيها:

سليلُ أكابرَ سَنُّوا العُلا ... فأكْرِمْ بها وبهم من سُنَنْ
همُ أثبتوا المُلكَ في أُسِّهِ ... وشادوا دعائمَه والرُّكُنْ

فالممدوح وآباؤه كانوا من الولاة والقادة ورجال الدولة، وهذا هو الواقع. فجدّه رجاء بن أبي الضحّاك كان والياً على الخراج بدمشق فقُتل هناك في حادثة مشهورة ذكرها الطبري وغيره في حولدث سنة ٢٢٦. ووالده الحسن بن رجاء الكاتب المعروف، لم أعرف تاريخ مولده ولا وفاته ولم أجد له ترجمة شافية، ولكنّه كان غلاماً في عصر المأمون، وقد كلّمه فأُعجب بكلامه ورفع منزلته، وله شعر في مدحه (انظر مختصر تاريخ دمشق ٦/٣٣٥ وإعتاب الكتاب ١٦٨ والمذاكرة للنشابي ٢١٠ وحاشية ديوان البُحتُري ٤/٢٣٤٦). ومدحه أبو تمّام بقصيدتين وهجاه البُحتُري، وله أخبار مع أبي تمّام ذكرها الصولي في أخبار أبي تمام ١٦٧ - ١٨٢. وذكر ابن القارح في رسالته إلى المعرّي ٤١ أنه كاد أن يضرب عُنقه بسبب استهزائه بالصلاة، فقال أبو العلاء في رسالة الغفران ٤٨٣ إن هذه الحكاية مشهورة. فيتّضح من مجموع ذلك أنه ينبغي أن يكون قد وُلد قبل المئتين لأن المأمون قدم إلى بغداد من خراسان في سنة ٢٠٤ ومات في سنة ٢١٨، ومات أبو

تمّام في سنة ٢٣١. أمّا ابنه الحسن بن الحسن - ممدوح كَشاجم - فمعروف أيضاً وتاريخ وفاته محفوظ، فلقد ولاه الخليفة المكتفي - المتوفَّى سنة ٢٩٥ - على أعمال الخراج والضِّياع بحلب، ومات فيها فجأة في شهر جُمادى الأولى سنة ٣٠١ فنُقل تابوته إلى بغداد (انظر صلة تاريخ الطبري ٢٥ وزبدة الحلب ٩٥/١). وترجم له ابن العديم في موضعين من بغية الطلب ٣٤٦/٥ و٥/ ٣٦٦ لأنه كان يظنّ أنَّه الحسن بن الحُسين ثمّ صحّ لديه أنّه الحسن بن الحسن، وذكر أنَّه كان والي حلب وأنه دُفن فيها. وكان ينبغي لمحقق الديوان أن يعرف هذه الحقائق التاريخية المُهِمّة، وهي قريبة المتناول في كتب التاريخ المعروفة.

ومدح ثلاثة من التّنوخيين: الحُسين بن عليّ، وأبا الحسن عُبيد الله بن إبراهيم، ورجلاً يقال له أبو القاسم (الديوان ١٥، ١٨، ٤٤٧). وذكر أن الحُسَين «من بني الفُصَيص»، وقال فيه:

تلقى الملوكَ الصِّيدَ حول رواقِهِ ... للإذنِ أو زُمَراً على أبوابِهِ

فهذا يَدُلُّ على أنَّه كان أميراً. وذكر أن عُبيد الله من «آل إبراهيم» أي من بني الفُصَيص أيضاً. وقال على رأس مدح أبي القاسم (وقال يتشوَّق قوماً من بني الفُصَيص ويذكر رحيلهم عن الساحل)، والقصيدة صريحة في أنَّهم أُخرجوا من ساحل الشام بالقوَّة.

وهؤلاء القوم معروفون، فهم أمراء اللاذقية وما حولها، والفُصَيص هو جدّهم يوسف، وكان له ابنان: إسحاق وإبراهيم، ولا يمتنع أن يكون له ابن ثالث اسمه عليّ هو والد الحُسين هذا، وأكاد أجزم بأنَّ عُبيد الله بن إبراهيم أخو عليّ بن إبراهيم ممدوح المتنّبي. وقال ابن العديم في زبدة الحلب ٩٧/١ (ثمَّ ولّى مُؤنسُ المظفَّرُ غلامَه طريفَ بن عبد الله السَّبْكريّ الخادم في سنة ٣١٩، وكان ظريفاً شهماً شجاعاً. وحاصر بني الفُصَيص في حصونهم

باللاذقيّة وغيرها. فحاربوه حرباً شديداً حتّى نفد جميع ما كان عندهم من القُوت والماء، فنزلوا على الأمان، فوفّى لهم وأكرمهم، ودخلوا معه حلب مكرمين مُعظّمين)، ولم يذكر اسم أمير بني الفُصَيص. ولكنَّ المفهوم من كلامه في بُغية الطلب ٤٩٢/١ أنه إبراهيم، ومن كلامه في البُغية ٣٥/٣ أنه إسحاق. وبين هذه النصوص بعض تعارض، ويظهر أن ابن العديم نقلها من مصادر مختلفة.

ثمَّ تمكّنوا من استعادة اللاذقيّة، وجاء إليهم أبو الطيّب المتنبي من العراق في حدود سنة ٣٢١ ونزل في ضيافتهم، قبل أن يثور في بادية السماوة. فمدح كبيرهم محمّد بن إسحاق (ولكنه فيما يظهر صرف ذلك المدح إلى أخيه الحُسين بن إسحاق، ويطول الكلام في تفصيل أسباب ذلك). ثمَّ مات محمّد فرثاه أبو الطيّب ومدح أخاه الحُسين، وأشار إلى الخلافات بينهم وبين أبناء عمّهم إبراهيم. ومن الواضح أنه كان منحازاً إلى آل إبراهيم، وقيل إنه هجا آل إسحاق، وزعم هو أن الهجاء قيل على لسانه. ولعلّ ذلك الخلاف كان له صلة بالدعوة الباطنية كما قال الأستاذ محمود شاكر رحمه الله. ثمَّ وثب عليّ بن إبراهيم واستولى على الإمارة، فوفد عليه أبو الطيّب في حدود سنة ٣٣٠، ومدحه وحرّضه على استئصال شأفة أبناء عمّه.

فهذه التواريخ تدلّ على أن قصيدة كشاجم في مدح أبي القاسم قيلت في حدود سنة ٣٢٠، عندما كانوا في المنفى بحلب. ويُفهم منها أنّه كان سيّد قومه، ولكنّه لم يذكر اسمه. ولم أجد النصّ على كُنيتي الأبوين إسحاق وإبراهيم. والذي أظنّه أنهما قد ماتا قبل ذلك بكثير، وأن ما نقله ابن العديم من مصادره لا يصحّ، وشعر أبي الطيب يدلّ على أنهما كانا في الأموات سنة ٣٢١ لأنه كان يمدح ويهجو ويرثي أبناءهما. فعلى ذلك يكون أبو القاسم ممدوح كشاجم هو محمد بن إسحاق الذي رثاه المتنبي، ومعلوم

أن أبا القاسم كنية أكثر المحمَّدين.

ولقد طوتهم الأحداث بعد بضع سنين على أيةِ حال، حين دخلت اللاذقيّة وجميع ما حولها في مُلك سيف الدولة. فآخر تاريخ معقول لبقيَّة القصائد هو سنة ٣٣٣، وهذا يتّفق مع تقديرنا لعصر كشاجم.

وظنَّ الدكتور محمد أسعد طلس أنه هجا كافوراً الإخشيديّ المتوفىّ سنة ٣٥٦ بالقصيدة التي أوَّلها:

أكافور قُبِّحْتَ مِنْ خَادِمٍ ولا قتْكَ مُسْرِعةً جائحَهْ

وأحال على كتاب الإعجاز والإيجاز للثعالبي ٢٥٨، وبناء على ذلك وضع على غلاف كتاب المصايد (المتوفَّى بعد سنة ٣٥٨). **وهو وهم بلا شكّ،** لأن الثعالبي لم يَقُل إنها في كافور الإخشيديّ وإنَّما في كافور فقط، وكان ينبغي مراجعتها في الديوان. والقصيدة ثابتة فيه (الديوان ٩٥)، وتوجد كذلك في خاص الخاص ١٣٥ ولباب الآداب ٢/١٠٢ وهما للثعالبي أيضاً. وقيل على رأسها في الديوان (قال يهجو كافوراً، **غلام له**)، فثبت أنَّه لا علاقة لها بكافور الإخشيديّ. وممّا يُستطرف أن بعض متأخري المغاربة ركَّب على هذا الوهم في كافور وهماً آخر، فجعلها لأبي الطيّب المتنبّي وأدخلها في ديوانه!

وورد في خاتمة نسخة الأصل المصرية ما مختصره (قال أبو بكر محمَّد بن عبد الله الحمدوني: هذا آخر ما وقع إلينا من شعره **وما صحّ عنه،** قد جمعتُه وألَّفتُه على حروف المعجم. ثمَّ لقيتُ أبا الفرج بن كَشاجم بالرَّيّ فأنشدني لوالده ...)، وساق أشعاراً غير قليلة ليست في أصل الديوان، وسيأتي القول في كثير منها. وهذا هو نفس الابن المذكور سابقاً. ولا نعرف متى وقع هذا اللقاء بينهما، ولكن ينبغي أن يكون الحمدوني قد جمع الديوان بعد وفاة الشاعر، وأن يكون الديوان بزياداته موجوداً في حياة السَّريّ الرَّفّاء

(المتوفَّى سنة ٣٦٢ على أصح الأقوال)؛ لأن الأشعار التي قال الثعالبي إنَّه دسَّها في الديوان موجودة في متن هذه النُسخة وزيادتها. ومن الواضح على أية حال أنَّ كَشاجم مات قبل السَّريّ بوقت طويل. فمن البعيد أن يشتغل بنسخ ديوان شاعر لا يزال على قيد الحياة فيدسَّ فيه أشعار الخالديين، ولا أن يتجرأ الخالديان فيسرقا منه هذه القصائد غير القليلة ثمَّ لا يفطن الناس إلى ذلك.

دلائل أخرى من التاريخ:

ولقد ورد في التواريخ ما يشير أيضاً إلى أن كَشاجم كان من مخضرمي القرنين، ومن ذلك:

- أن السندي بن شاهك جدّه القريب، وعصره ما علمت، فالمعقول أن يكون حفيده قد وُلد في النصف الثاني من القرن الثالث ومات في النصف الأول من القرن الرابع. ولا حاجة لاستشكال ذلك ومُعالجته بإضافة أسماء لا أصل لها.
- ورد في كتاب المصايد ما يدلّ على أن المصنّف كان رجلاً بالغاً في مطلع القرن الرابع، ومضت الإشارة إلى ذلك.
- ذكر بعض المؤرخين أنَّه كان من رجال أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان والد سيف الدولة، وقال ابن شاكر في عيون التواريخ إنَّه جاء معه إلى الموصل. ومعلوم أنَّه ولي الموصل مرتين: الأولى من سنة ٢٩٣ إلى سنة ٣٠١، والثانية سنة ٣١٤ ثمَّ مات مقتولاً في سنة ٣١٧. فهذا إن صحَّ دليل قاطع.
- ومضى النصّ على أن أبا الفرج وأبا نصر كانا رجلين من رجال الدولة في سنة ٣٥٦، بل قبل ذلك. ومضى تصريح ابن العديم بأن أبا نصر تُوُفّي بعد موت كافور في حدود الستين والثلاث مئة.

• وترجم الثعالبي (٣٥٠ ـ ٤٢٩) لأبي نصر في اليتيمة ٢٨٥/١، **فروى عنه بواسطة رجل واحد**، وذكر شعراً له في مدح إسحاق بن كيغلغ (مهجوّ المتنبي الذي مات مقتولاً بيد غلمانه في سنة ٣٤٨)، وفي مدح ابن حنزابة وزير كافور. فمن الواضح أنه كان من طبقة المتنبّي وسيف الدولة وكافور، كما كان أبوه كَشاجم من طبقة الصَّنَوبريّ وأبي الهيجاء والد سيف الدولة.

• وروى الخطيب البغدادي في كتاب البخلاء ١٢٦ (طبعة مصر ١٩٩٠) شعراً لكشاجم بالإسناد المتّصل إلى صالح بن رِشدين راوية أبي الطيّب وصاحبه في مصر، عن أبي نصر. وهذا يدلّ أيضاً على أن الابن كان من طبقة أبي الطيّب.

• وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي نصر قول أبي عبد الله الحُسين بن عُثمان الخِرَقي إنّه ـ أي الخرقي ـ كان في الرملة سنة ٣٥٦ وقد ورد إليها أبوعليّ القرمطي صاحب الأحساء، **وذكر أنّ أبا نصر بن كَشاجم كان كاتبه**، وحكى حكاية شهدها هو وأبو نصر في مجلس القرمطي، وفيها أبيات في الشمعة قالها القرمطي بديهاً فأجازها أبو نصر (انظر مختصر تاريخ دمشق ٣١١/٦).

انقطاع أخباره في عصر سيف الدولة:

هذه الإشارات التاريخية المتواترة يقابلها ويشهد لها غيابٌ تامّ في الإشارات إلى مابعد سنة ٣٣٠. وقد شهدت هذه السنوات قيام الدولة الحمدانية في حلب، ولقي الشعراء من رعاية سيف الدولة ونواله مالا نظير له، فطرؤوا على حلب من البلدان كافة. ولقد مات الصَّنَوبريّ بعد دخول سيف الدولة إلى حلب بسنة أو أقل، ومع ذلك لم يَفُته أن يمدحه بقصيدة موجودة في ديوانه. ولكن لا ذكر له في ديوان كشاجم ولا ذكر لكشاجم

في أخبار سيف الدولة وأسماء شعرائه! وليس يُعقل أن يعيش مثله في حلب، ويعاصر أحداث الجهاد والصراع مع الروم، فلا يقول شيئاً في مدح هذا الأمير الكريم المجاهد! فكيف غاب صوته وانقطعت أخباره؟ إنَّ الجواب الواضح أنّه كان قد غادر الدنيا قبل أن يأتي سيف الدولة إلى حلب.

وقال الثعالبي في اليتيمة ١/ ١٤ (وكان أبو بكر الخُوارِزمي في ريعان عمره وعنفوان أمره قد دوَّخ بلاد الشام، وحصل من حضرة سيف الدولة بحلب في مجمع الرواة والشعراء، ومطرح الغرباء الفضلاء. فأقام ما أقام مع أبي عبد الله بن خالوَيْه وأبي الحَسن الشمشاطي وغيرهما من أئمة الأدب، وأبي الطيّب المتنّبي وأبي العباس النامي وغيرهما من فحول الشعراء). وقال أبو العَلاء المعرّي في مقدّمة شرح ديوان ابن أبي حَصينة (وقد كان عليّ بن عبد الله بن حمدان أقام سوقاً للشعراء، وتفردَّ بتقريبهم دون الأمراء. فرحل إليه قريبهم والبعيد، والتُمس عنده النَّوَال الرغيبُ لا الزهيد، فما اشتهر منهم إلا نفر قليل، منهم أحمد بن الحسين المتنّبي، وأحمد بن محمَّد النامي، والحارث بن سعيد المعروف بأبي فراس، ورجل يُعرف بابن كاتب البُكْتُمُريّ). ومن شعرائه أيضاً: أبو الفرج البَبغاء وأبو العباس الصفري وابن كوجك والخالديان وأبو الحصين الرَّقّي والشيظمي وأبو ذرّ وأبو محمَّد الفياض، ولاذكرَ لكَشاجم!

أمّا القول بأنه كان طبّاخاً عنده فلم يَرِد إلا في كتب المتأخرين كالصفدي في الوافي ٢١/١٩٥ والجزولي في مطالع البدور ٢/١٧٦، وذكره ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب ٣/٣٨ بصيغة التمريض. وعبارة الصفدي (والناس يسمّون عصره وزمانه: الطراز المُذْهب؛ لأن الفضلاء الذين كانوا عنده والشعراء الذين مدحوه لم يأت بعدهم مثلُهم: خطيبه ابن نُباتة، ومعلّمه ابن خالوَيه، وطبّاخه كَشاجم، والخالديان خُزّان

كتبه، والمتنبي والسَّلامي والوأواء والببَّغاء وغيرهم شعراؤه). وهذا كلام إنشائي خالٍ من التحقيق، فابن خالوَيه لم يكن معلّماً لسيف الدولة بل لأولاده، والسلامي والوأواء لا أعلم أنهما كانا من شعرائه.

ولا أرتاب في أنه ضرب من التلفيق بعد الخلط بين كشاجم وبين ابنه أبي نصر، فلقد ذكر ابن فضل الله في مسالك الأبصار ١٥/١؟ أنَّ أبا نصر كان ماهراً في الطبيخ، فإن صحَّ ذلك فلا يعني أنَّه كان يطبخ للناس. والذي يَدُلُّ عليه الديوان أنَّ كَشاجم كان يتكسَّب بشعره ويمدح الأمراء والأعيان منذ أوائل القرن، ويفتخر بإجادة الكتابة وإتقان أدواتها ويلتمس توظيفه في أعمالها لا في المطابخ.

ولقد سطعت في تلك السنين شمس أبي الطيّب المتنّبي وبهر العقول وشغل الناس، واختلفت فيه الآراء واشتدَّ الجدل حوله. ولقد تتبَّعت جميع أخباره ما وسعني التتبُّع فلم أجد فيها أيَّة إشارة إلى كَشاجم، ولا تفسير له إلا أنه كان قد مات.

الرأي في حلّ هذا الإشكال:

لعلَّه اتَّضح الآن كثرة الأدلة على أنه كان من مخضرمي القرنين الثالث والرابع ولم يدرك عصر سيف الدولة، وأن أولاده عاشوا في عصر سيف الدولة وكافور، وأنه مدح الحسن بن الحسن المتوفَّى سنة ٣٠١ يقيناً. فلا غرابة في أن يكون السندي بن شاهك جدّ المادح معاصراً لرجاء بن أبي الضحاك جدّ الممدوح، ولا حاجة بنا إلى استشكال عدد الآباء وتكلّف الأسماء لسدّ هذا الفراغ المزعوم. وينبغي أن يكون قد مات في سنة ٣٣٠ التي ورد ذكرها في بعض نسخ الديوان. فهذا يحلّ جميع الإشكالات، لأنها إنما رسخت في الأذهان بناء على الاقتناع بوفاته في سنة ٣٦٠، فإذا حُذفت ثلاثون سنة استقام الأمر.

ولقد فرَّق ابن العديم وابن عساكر ـ وهما من أثبات المؤرخين ـ بينه وبين ابنه أبي نصر، وعقدا لكلّ منهما ترجمة مستقلة، كما ترجم الثعالبي من قبلهما لأبي نصر فقط وذكر أباه استطراداً في ترجمة السَّريّ الرَّفَّاء ولم يخلط بينهما. **ولكن وقع لدى المُتأخّرين خلطٌ غير مُستغرَب**، فظنّوا أن الشاعر المشهور هو أبو نصر، وألصقوا أخباره وكُنيته وتاريخ وفاته بأبيه الذي كان أشهر منه. فمن ههنا خلط الذهبي بينهما في النبلاء ١٦/٢٨٥، وظنّ أن الأب يكنى بأبي نصر مع أنَّه أبو الفتح بلا إشكال، وقال (روى عنه الحُسين بن عُثمان الخرقي وغيره) مع أن الخرقي يروي عن أبي نصر بلا إشكال أيضاً. وتابعه السيوطي على تكنيته بأبي نصر، واستشكل اسم محمَّد ابن محمود بن الحُسين ـ لأن كَشاجم اسمه محمود بيقين ـ فظن أنَّ الاسم مقلوب، فجمع بين الأغلاط وجعله أبا نصر محمود بن محمَّد بن الحُسين! ولا أرتاب في أن هذا الخلط هو أساس دعوى أن كَشاجم كان يعيش في عصر سيف الدولة وأنه مات في سنة ٣٥٠ أوفي سنة ٣٦٠. واستمر الخلط بينهما إلى عصرنا، فأضافت محقِّقة الطبعة العراقية أبيات أبي نصر في صفة الشمعة إلى متن ديوان أبيه (انظر الصفحة ٣٨٨).

أمّا الطرف الآخر من الإشكال التاريخي ـ أعني أن يكون السندي بن شاهك من خاصَّة أبي جعفر المنصور المتوفى سنة ١٥٨ ـ فلم يقُم عليه دليل صريح؛ لأن الجاحظ لم يقُل ذلك في البيان ٢/٣٢٨، وإنَّما هي أخبار رواها عن السندي تتّصل بأشياء وقعت في مجلس المنصور وليس فيها التصريح بالحضور، وإنَّما قال في أحدها (فما علمنا أن المنصور ضحك كيومَئذٍ)، وفي الآخر (فكفَّ عنه الربيع حتَّى ظننّا كذا وكذا). فهذه العبارات ليست صريحة، وهي على أيةحال ليست كافية لإسقاط كونه جدّ كَشاجم، ونحن لا ندري متى مات السندي وابنه الحُسين ولا متى وُلد حفيده كَشاجم، ومن

الممكن جداً اجتماع التواريخ المُناسبة بحيث يكون الحُسين قد وُلد في أوائل القرن الثالث وأبوه كبير السنّ، وأنجب ابنه كَشاجم في منتصف القرن أو بعد ذلك بحيث أصبح شاعراً يُشار إليه بالبنان في أوَّل القرن الرابع. وليس في بقاء حفيد السندي إلى ثلث القرن الرابع مايدعو إلى الاستغراب الزائد، وأنا أعرف رجلاً وُلد بعد ابن عمِّه بنحو ثمانين عاماً، ورأيتُه في مجلس وفيه شيوخ طاعنون في السن وهو شابّ، فمازحه بعض الناس قائلاً:إنك لشيخ كبير لأن والد هؤلاء ابن عمّك!

وكان السندي عامل بغداد في عهد الرشيد، ثمَّ وجدتُ في العقد ٦/ ٤٤٥ وكتاب المكافأة لابن الداية ١٢٩ ـ وهما معاصران لكشاجم ـ أنَّ السندي كان من قوَّاد المأمون وجلسائه. فهذا ينأى به عن عصر المنصور بنحو خمسين عاماً، ويُوغل به في القرن الثالث، ويقرِّبه إلى عصرحفيده كشاجم. وممَّا يَدُلُّ على ذلك أيضاً قول كَشاجم يمدح أبا العباس الرَّشيدي:

يابنَ مولى أبي نَصْرٍ السِّنْـ ـديِّ رُكْنِ الخِلافةِ المَشْدُودِ
جامعِ السَّيْفِ للخليفةِ والأقـ ـلامِ أعْظَمْ بسَيِّدٍ ومَسُودِ
شَهِدَتْ غُرَّةُ الرَّشيدِ على وجـ ـهِكَ بالمولدِ الزكيِّ السعيدِ

فهذا دليل صريح على أن السندي ـ وكنيته أبو نصر ـ كان من موالي هارون الرشيد وقادته وكُتّابه وأركان دولته. ومعلوم أن الولاء صلة ثابتة كالنسب، والغالب أن يكون ولاء الأعاجم لَمنْ أسلموا على أيديهم، وقد أسلم كثير منهم على أيدي العباسيين فانتسبوا إلى ولائهم. فمن البعيد أن يكون السندي من خاصَّة أبي جعفر المنصور وجُلسائه قبل أن يثبت ولاؤه لأحد ، ثمَّ يصير في شيخوخته من موالي هارون.

(آراء وأنباء)

فقيد المجمع

الأستاذ الدكتور مسعود بوبو[1]

(١٩٣٨- ١٩٩٩م)

كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

رئيس مجمع اللغة العربية

أيتها النفسُ أجملي جزعا إن الذي تحذرين قد وقعا

أقف موقفي هذا يُظلّني الخشوع، ويلفّني الحزن والأسى أسفاً على

(١) اختاره الله إلى جواره في فجر يوم الاثنين ٢٠/٩/١٩٩٩م، بأحد مستشفيات باريس.

وقد أقامت الهيئات والمؤسسات العلمية التي عمل فيها حفل تأبين له مساء الثلاثاء ٢/١١/١٩٩٩م في قاعة المحاضرات بمكتبة الأسد الوطنية، بمناسبة انقضاء أربعين يوماً على وفاته.

وننشر هنا كلمتي الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية، والأستاذ الدكتور محمد إحسان النص نائب رئيس المجمع، اللتين قيلتا في حفل التأبين. وستنشر هيئة الموسوعة العربية - وكان رحمه الله المدير العام لها - جميع كلمات حفل التأبين في كتيّب خاص، وتضم إليها طائفة طيبة من الكلمات التي كتبها أصدقاء الفقيد وعارفوه، تقديراً لفضله، وإشادة بمناقبه، رحمه الله الرحمة الواسعة، وجعل مثواه في عليين.

فقد الصديق العزيز الأستاذ مسعود الذي اختطفته المنية، أكثرَ ما كان عطاءً، وأكملَ ما كان عملاً، فكانت الفجيعةُ به بالغة.

أذكره فأذكر شمائله الغُرّ، وما تحلّى به من خصال طيبة حبّبته إلى معاشريه وأصدقائه والعاملين معه. يلقاك بابتسامته الحلوة، ويحدّثك ويحاورك فيما تتجاذبان من قضايا بصوته الهادئ العذب، فلا تحسّ أنه يغالبك، بل يبسط لك الرأي لتختار طريقك بعد اقتناع. وإنه ليملك إعجابك بدماثة خلقه، وشدة تهذيبه، وطيب قلبه، وتواضعه، فتحسُّ أنك قريب إليه، محبٌّ له.

عرفتُ الأستاذ مسعوداً، رحمه الله، زميلاً في قسم اللغة العربية بكلية الآداب (جامعة دمشق)، والتقينا مراراً على منصة الحكم في مُدرّج الكلية نناقش رسائل الماجستير والدكتوراه، وجمعتنا ندوةٌ حافلة في قاعة المحاضرات بمكتبة الأسد (٦/ ٦/ ١٩٩٢م) تحدثنا فيها عن أعمال الأستاذ العلامة محمد أحمد دهمان مؤرخ دمشق.

وبدا لي الصديق الكريم في مواقعه تلك الأستاذ العارف المتقن، يستقصي وينقّب ويبحث ليقدم الرأي الدقيق الحصيف، مع الأناة وحسن التأنّي، قد جمع صفتي العالم والمربّي.

وشاءت المصادفات السعيدة أن نجتمع بعدُ في كنف الموسوعة العربية، فقد تولّى منصب المدير العام المساعد لهيئة الموسوعة العربية (القرار الجمهوري رقم ٤٦ تاريخ ٢/ ١٠/ ١٩٩٣م)، وعملنا معاً سنة ونيّفاً كانت من أجمل أيامنا (١٠/١٠/١٩٩٣- ٣١/١٢/١٩٩٤م)،

فعرفتُ فيه عن قرب الصديق الصدوق، وحبّب إلى نفسي ما فطر عليه من السجايا الحميدة، إلى جانب ما يتحلى به من صفات الجدّ والدأب والإخلاص في العمل، مع المعرفة العميقة الواسعة والكفاية.

وقد أتاحت له قراءاته الواسعة، ومواهبه ونشاطه المتواصل أن يبرّز في فنون من القول، وأن يشارك في مجالات مختلفة، فكتب المقالات والخواطر والقصة وأمثالها في المجال الأدبي، وكتب البحوث النفيسة في المجال اللغوي. وكانت له الدراسات اللغوية التاريخية التي امتدّ القول في بعضها، مثل مقالته «من تاريخ اللغة العربية»[1].

وكان له مشاركات في الندوات والمؤتمرات اللغوية والأدبية، وقام بالإشراف على الرسائل الجامعية، كما شارك في مناقشة مجموعة طيبة منها، وألقى المحاضرات في المراكز الثقافية والنوادي الأدبية، إلى غير ذلك من ضروب النشاط، ومنها مقالاتُه في الصحف، وأحاديثُه في الإذاعة، ويغلب عليها التوجيه اللغوي، أو الحديث الأدبي والثقافي. وقد نشر قسماً صالحاً من مقالاته اللغوية والأدبية والثقافية في مختلف المجلات في سورية والبلاد العربية.

ولعل من الخير أن تُجمع هذه المقالات وسواها مما نعثر عليه في المجلات والصحف لتصدر في كتب تجمعها فتغدوَ ميسّرةً لقرائها

(١) نشر منها سبع مقالات في مجلة: «دراسات تاريخية»، (س١٠ع٣٣-٣٤، س١١ع٣٧-٣٨، س١٤ع٤٧-٤٨، س١٥ع٤٩-٥٠، س١٦ع٥١-٥٢، س١٧ع٥٥-٥٦، س١٩ع٦٣-٦٤) وكان رحمه الله عازماً على إتمامها.

وطالبيها.

وأبرز مؤلفاته ستة كتب:

١- أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج (وزارة الثقافة ١٩٨٢م) وهو رسالته للدكتوراه.

٢- نافذة على اللغة (دار البعث ١٩٨٣م) وهو مجموعة بحوث وزوايا لغوية كانت تنشر في صحيفة البعث.

٣- دراسات في اللغة (جامعة دمشق ١٩٨٤م) ويقع في قسمين: قسم خصص لعلم اللغة (اللسانيات)، وقسم لفقه اللغة العربية. وكان مقرراً لطلبة السنتين الثالثة والرابعة في قسم اللغة العربية.

٤- أبحاث في اللغة والأدب (دار شمأل بدمشق ١٩٩٤م) وهو مجموعة من البحوث اللغوية المتخصصة نشر معظمها في الدوريات العربية داخل سورية وخارجها.

٥- في فقه اللغة العربية (جامعة دمشق ١٩٩٤- ١٩٩٥م) وكان مقرراً لطلاب السنة الرابعة في قسم اللغة العربية.

٦- الصوت والصدى (اتحاد الكتاب العرب ١٩٩٩م) وهو كتابات تغلب عليها الخواطر والتأملات.

* * *

وقد هيأت دراساتُه الكثيرة، وقراءاتُه الواسعة المنوعة، ونشاطه المتوقد، ومشاركاتُه العلمية والأدبية الجمّة، وتعمقه في دراسة العربية

وتفهُّم أسرارها، وعرضُه لجملة من قضاياها، أن يقع الاختيار عليه لعضوية مجمع اللغة العربية، فانتخبه مجلس المجمع في جلسته المنعقدة في ١٩٩٦/٢/٢٨م، عضواً عاملاً في المجمع، وصدر المرسوم الجمهوري (ذو الرقم ٤٨ في ١٩٩٧/٣/١٣م) بتعيينه، فانضم إلى مجمع الخالدين، وخصّه بجانب من وقته ونشاطه، فكان عضواً في أربع من لجان المجمع: لجنة المعجمات، ولجنة النشاط الثقافي، ولجنة الأصول، ولجنة المجلة إلى جانب مشاركته الجادة في مجلس المجمع. وعلى قصر المدة التي أمضاها، رحمه الله، في المجمع فقد كان طاقةً متجددةً في لجانه ومجلسه، وكان لمناقشاته ومقترحاته صداها الطيب، وآثارُها الفاعلة في نفوس زملائه. ولم يُغْفل الكتابة في مجلة المجمع ولا المحاضرة في موسم محاضراته[1].

إن المرء ليعجب وهو يتابع سيرة الأستاذ الكريم، رحمه الله، من قدرته الفائقة في ضبط الوقت، والإفادة من كل دقيقة، فكان في نشاطه مضرب المثل، يقوم بكل المهام المنوطة به على أتمّ وجه، ثم لا يصرفه ذلك كله عن الكتابة والبحث. كان المدير العام لهيئة الموسوعة العربية، والأستاذ بكلية الآداب، وعضوَ مجمع اللغة العربية، وعضو اتحاد الكتاب العرب. واستطاع، بما أُوتي من قدرة على التنظيم، أن يلبّيَ كل متطلبات هذه المهامّ، لا يكاد يخرم منها شيئاً، وأن يقدّم الكثير الطيّب من المقترحات التي تجوّد العمل وتحسّنه.

لقد رُزق، رحمه الله، حبَّ القراءة وموهبةَ الكتابة، مما أتاح له أن يقدّم هذه الثروة الفكرية الطائلة. ولئن كان الجانب اللغوي محور عمله وميدانه الذي يجول فيه، إنَّ ذلك لم يمنعه من الإطلالة الواسعة على

(١) مجلة مجمع اللغة العربية، مج ٧٣: ٢٣٧، ٥٥٥، مج ٧٤: ١٣٧.

ميادين الثقافة فعبَّ منها ونهل. ومن هنا يطالعك هذا التنوعُ الجميل في نتاجه الخصب، وهو تنوع يتناول المادة والأسلوب معاً. إنه يواجهك في كتبه اللغوية بأسلوبه الرصين يميل به إلى الجزالة، وهو يختار الكتابة السهلة في كتبه التعليمية، فإذا آثر كتابة الخواطر والتأملات غلب على أكثرها الرقة والعذوبة والخيال.

وإذا كان المقام لا يتسع لي لوقفة تحليل وعرض لهذا النتاج فإنه لابد لي من إشارة عابرة لظاهرة استوقفتني هي ما يطفح به قلب فقيدنا الغالي من حب عميق لوطنه وبلده، وتعلقٍ شديد بلغته العربية الشريفة، ومقاومة صلبة لمشروعات الاستعمار البغيضة.

لقد كانت هذه العواطف الكريمة هي الموجه الأول له في حياته، تراها تنسرب بين كلماته هنا وهناك. ونظرة إلى كتابه الأخير: «الصوت والصدى» تفصح عن الكثير الكثير مما ذكرت.

يا فقيدنا الغالي

فارقتنا أحبَّ ما كنتَ إلينا، وأسعدَ ما كنّا بك. كنتَ في أوج عطائك، مازلتَ ناضرَ العود، واسع الأمل، ومازلتُ أذكر حديثك الرحب الفسيح عما تتطلع إلى إنجازه يوم ودّعتُك قبيل سفرك، وما خطر لي ببال أن يكون الوداع الأخير.

وقد كنت أرجو أن أُملاّك حقبةً فحال قضاءُ الله دون رجائيا

فليرحمك الله الرحمة الواسعة، ولينزلك منازل الأبرار مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

كلمة الأستاذ الدكتور إحسان النص

نائب رئيس المجمع

ورئيس قسم الحضارة في هيئة الموسوعة العربية

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فزعت فيه بآمالي إلى الكذب
حتى إذا لم يدع لي صدقه أملاً شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي

سرعان ما غادرتنا يا أبا وجد، غادرتنا على غير توقع ولا ترقّب ونحن في أمسّ الحاجة إليك، وكانت وفاتك مفاجأة مذهلة لنا، لم نصدق النبأ الفاجع حين نُقل إلينا، فقد كنت بيننا قبل وفاتك بأيام، نتحدث ونتسامر ونعالج أمور الموسوعة بهمة ونشاط، دأبك في كل يوم، ولم يخطر لنا في بال أنك ستفارقنا بعد أيام، وسيغيب عنا وجهك الباسم المتدفق عزيمة ونشاطاً، فلمَ غادرتنا على هذا النحو المفاجئ السريع، أمللت جوارنا فآثرت عليه جوار ربك الأعلى، وآثرت الباقية على الفانية.

نحن نعلم أن الموت قدر كل كائن حي في هذه الدار الفانية، ولكننا كلما بلغتنا وفاة عزيز علينا يملكنا العجب ونتساءل: كيف، ولماذا، ونحن نردد ما قاله عبد الله بن الزبير حين بلغه مصرع أخيه مصعب: «إنّ لفراق الحميم لذعةً ولوعة.. يجدها حميمه عند المصيبة» فهو الأجل المحتوم وسنّة الوجود التي لا محيد عنها ولا مبدّل لها:﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهم

لاَ يَسْتَأْخِرونَ سَاعةً ولاَ يَسْتَقْدِمُون﴾ صدق الله العظيم، فلا نملك إلاّ الإذعان لمشيئة الله وقدره.

عرفت مسعوداً طالباً في قسم اللغة العربية، وأشهد أنه كان طالباً مثالياً في جدّه وحسن استيعابه لما يلقى عليه، وعنايته بمتابعة البحث والمطالعة والرجوع إلى كتب التراث وإعداد البحوث المتصلة بمواد الدراسة، وقد لفت نظري بنجابته وذكائه، وكان طُلَعَةً نَهِماً إلى التزوّد بالمعرفة والاطلاع العميق الوافي على كل ما يتصل بموادّ دراسته.

ثم دارت عجلة الزمان فلقيته بعد سنوات وقد تخرج، وكان من المتفوقين في دراسته العليا ونال شهادتي الماجستير والدكتوراه بدرجة الامتياز ثم غدا أستاذاً لامعاً لعلوم العربية في كلية الآداب بجامعة دمشق وعضواً في اتحاد الكتّاب العرب، ثم وقع عليه الاختيار ليتبوأ منصب رئيس قسم اللغة العربية بجامعة دمشق. وانصرف إلى البحث والتأليف فقدم للمكتبة العربية مؤلفات كثيرة يتجلى فيها العمق والدقة وتحرّي الحقائق العلمية فأغنى بها الدراسات اللغوية والنحوية.

وكان إلى ذلك يوافي الصحف والدوريات بمقالات أدبية شيّقة صيغت بأسلوب تصويري مبدع وأداء رشيق ولغة شاعرية طليّة فارتقت به مؤلفاته ومقالاته إلى منزلة الأدباء المبرزين اللامعين.

وقد أهلته مواهبه وطاقاته العلمية والأدبية الخصبة لتبوؤ منصب المدير العام المساعد، فصدر بتعيينه القرار الجمهوري ذو الرقم ٤٦ والمؤرخ في ٢/١٠/١٩٩٣. ثم صدر القرار الجمهوري ذو الرقم ٣٦

والمؤرخ في ١٩٩٧/٤/٢٦ بتعيينه مديراً عاماً لهيئة الموسوعة العربية، خلفاً للأستاذ الدكتور شاكر الفحام الذي خطا بالموسوعة خطواتها الأولى.

وقد أنشئت هيئة الموسوعة العربية بموجب المرسوم التشريعي ذي الرقم /٣/ بتاريخ الخامس من شهر كانون الثاني عام واحد وثمانين وتسع مئة وألف، وكان إنشاء هذه الهيئة واجباً قومياً أملته حاجة الأمة العربية إلى سفر جامع شامل يزوّد أبناء هذه الأمة بما أبدعته قرائح المفكرين والعلماء والأدباء في الشرق والغرب كما يعرّف العالم بحضارة الأمة العربية العريقة وتراثها المجيد. ولم يصدر قبل موسوعتنا موسوعة عربية تحقق هذه الأهداف وإنما كانت محاولات فردية مشكورة ولكنها غير وافية، فكان إنشاء هيئة الموسوعة العربية مبادرة كريمة من السيد الرئيس حافظ الأسد، رئيس الجمهورية العربية السورية، وكان إنشاؤها يمثل تحدّياً جريئاً للصعاب والمعوّقات الجسام التي حالت دون اضطلاع الجامعة العربية بهذه المهمة. فنهضت سورية وحدها بهذا العبء الجسيم، ولم يَأْلُ السيد الرئيس جهداً في توفير كل ما يعين على إصدار الموسوعة على النحو المنشود مادياً ومعنوياً.

كان لقائي الثاني بالفقيد الراحل في هيئة الموسوعة العربية حين اختير مديراً عاماً لها، وهنا عرفت فيه خصالاً تضاف إلى ما كنت أعرفه منها قبل، عرفت فيه الباحث المدقق والإداري القدير، وقد انكبّ على عمله في الموسوعة بهمة لا تعرف الكلال، ودأب كلّفه الكثير من الجهد والمشقة، فكان من أولي العزم الشديد، لم تثنه عن إنجاز مهمته الصعاب

الكثيرة التي اعترضت سبيله فقد بذل في سبيل إنجاز عمله كل ما لديه من طاقات جسمية وعقلية وإدارية، وكان لقائي الثالث بفقيدنا العزيز في مجمع اللغة العربية، فقد اختاره أعضاء المجمع بالإجماع زميلاً لهم، تقديراً لكفايته العلمية ووفرة نتاجه العلمي وحميد خلقه، وتمّ ذلك في الجلسة الثانية عشرة من جلسات مجلس المجمع بتاريخ الثامن والعشرين من شهر شباط عام ستة وتسعين وتسع مئة وألف، وصدر المرسوم الجمهوري بتعيينه ذو الرقم ثمانية وأربعين في الثالث عشر من شهر آذار عام سبعة وتسعين وتسعمئة وألف، ثم احتفل المجمع باستقباله مساء الثلاثاء التاسع والعشرين من شهر نيسان من العام نفسه. وألقيتُ يومئذٍ كلمة في الاحتفاء به.

انصرف الفقيد إلى عمله في هيئة الموسوعة العربية ومجمع اللغة العربية، وخص الموسوعة بأكثر وقته، ووجه عنايته إلى إصدار المجلد الأول منها فتحقق له ذلك بعد عناء وجهد عظيم، وأنجز في عهده إلى ذلك جانب كبير من المجلد الثاني.

وقد جاء المجلد الأول على النحو المنشود في أناقة طباعته وحسن إخراجه وجودة بحوثه. وكان الفقيد حريصاً على قراءة كل كلمة تكتب في الموسوعة، وعلى تحري الدقة والصواب في كل ما يرِد إلى الموسوعة من بحوث.

ولا أنسى ذلك اليوم الذي قدم إلينا فيه المجلد الأول، فقد كانت الفرحة ترقرق في محياه الباسم، وكانت عيناه تشعان ببريق الانتصار،

وكان سروره بصدور هذا المجلد سرور الوالد بإنجاب وليده البكر وسرور الأم بلقاء وحيدها بعد غياب طويل.

وقد عرف العاملون في هيئة الموسوعة في الفقيد العزيز روحه الجادة وأدبه الجم وحرصه على مشاورة زملائه في كل ما يتصل بأمور الموسوعة، دقيقها وجليلها، لا يرضى أن يبرم أمراً إلا بعد عرضه على زملائه في مجلس الإدارة، ولا يستبد برأي بدا له فإن سمع من أحد زملائه رأياً يخالف ما بدا له ووجد فيه الصواب لم يتردد في الأخذ به.

وكان في تعامله مع العاملين معه في الموسوعة مثال الإنسان المهذب، يتحلى بالخلق الحميد والرصانة الجادة وسعة الصدر، فما فارقت الابتسامة ثغره في أحلك الأوقات. وأشهد أني ما رأيته يوماً يفارقه هدوؤه واتزانه وسعة صدره، وما أخرجه النقاش المحتدم حول أمر من الأمور عن طبيعته الهادئة الرزينة.

لقد فقدنا بغياب أبي وجد الصديق الوافي، والعالم المتعمق، والإداري الحاذق، والباحث الجاد، وكان في خلاله هذه واحداً من النخبة المختارة من أبناء هذا البلد.

اخترمته يد المنون وهو في قمة عطائه وذروة نشاطه العلمي، والكائن البشري مهما يكن حظه من القوة والجلد لا قبل له بمغالبة القدر، والناس في هذه الدنيا بين مفارق ولاحق، ومغادر ومنتظر، والمنية بالمرصاد مهما يطل بالمرء أجله.

يدفن بعضنا بعضاً وتمشي … أواخرنا على هام الأوالي

ونحن لا نملك إلا الإذعان لمشيئة الله التي لا مرد لها، والرضا بالقدر الجاري علينا.

نحن بنو الموتى فما بالنا … نعاف ما لابد من شربه
تبخل أيدينا بأرواحنا … على زمانٍ هي من كسبه
فهذه الأرواح من جوّه … وهذه الأجساد من تُربه

أهداني الفقيد العزيز قُبيل رحيله وليده الأخير كتاب «الصوت والصدى»، فقد انطفأ الصوت الآن، ولكنّ صداه المندّى بالأرج العطر سيبقى حيّاً في نفوسنا وقلوبنا وأسماعنا.

* * *



تصحيحات في محاضرة

تطور الفكر القانوني

للأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد

(المنشورة في الجزء الأول من المجلد الرابع والسبعين)

الخطأ	الصواب
ص٧٨: بالشلاح	بالسلاح
ص٨٠: بمنظنة	بمظنة
ص٨٠: تفاديتما	تداركتما
ص٨٦: عام ٢٢٥	عام ٣٢٥
ص١٠١: وراحت تسيرها	وراحتا تسيرانها.

الكتب والمجلات المهداة
إلى مكتبة مجمع اللغة العربية
في الربع الأول من عام ٢٠٠٠م

أ – الكتب العربية

خلود العقاد

- **ابن رشد الحفيد: سيرة وثائقية** / تأليف محمد بن شريفة– ط ١– الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ١٩٩٩.

- **إجازة الحديث**/ محمد حسين الحسيني الجلالي؛ تقديم سعيد أيوب– ط ٢– [د. م]: دار المنار، ١٩٨٩.

- **أديب الأندلس أبو بحر التجيبي: عمر قصير وعطاء غزير** / محمد بن شريفة ـ ط١ ـ الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ١٩٩٩.

- **الأسد في عيون العالم: محاضرات ألقيت في مستشفى الأسد الجامعي بمناسبة تجديد البيعة للسيد الرئيس حافظ الأسد ـ آذار ١٩٩٩** / حسن العلوي وآخرون ـ دمشق: مستشفى الأسد الجامعي، ١٩٩٩.

- **الإسكوا (١٩٧٤ ـ ١٩٩٩): خمسة وعشرون عاماً في خدمة تنمية المنطقة** / اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا

ـ [نيويورك]: الأمم المتحدة، ١٩٩٩.

ـ **أفكاري /** شفيق جبري ـ ط ١ ـ دمشق: دار عكرمة، ١٩٩٨. بيروت: دار قتيبة، ٢٠٠٠ ـ خمسة أجزاء.

ـ **الاكتفاء بما روي في أصحاب الكساء/** رواية أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي؛ تلخيص محمد حسين الحسيني الجلالي؛تحقيق محمد جواد الحسيني الجلالي ـ ط٢ ـ [د. م]: دار الجذور، [١٩٩٧].

ـ **أنشطة منظمة العمل الدولية في إفريقية ١٩٩٤ ـ ١٩٩٩ /** مكتب العمل الدولي ـ ط١ ـ جنيف، ١٩٩٩.

ـ **بنت الساحرة: قصص /** عبد السلام العجيلي ـ بيروت: دار الشرق العربي، [١٩٨٠].

ـ **التعريب: مؤسساته ووسائله /** د. ممدوح محمد خسارة ـ ط١ ـ بيروت: مؤسسة الرسالة ؛ الدار المتحدة، ١٩٩٩.

ـ **تقرير عن بدايات تطبيق نظام الإدارة البيئية «ايزو ١٤٠٠٠» /** اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا ـ نيويورك: الأمم المتحدة، ١٩٩٩.

ـ **الحاشية على شروح الإشارات /**آقاحسين الخوانساري؛ تحقيق أحمد العابدي ـ ط١ ـ قم: مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، [١٩٩٩] ـ مجلدان.

ـ **حفنة من الذكريات /** عبد السلام العجيلي ـ ط ١ ـ دمشق: دار طلاس، ١٩٨٧.

- **الحقوق الأساسية للبلدان النامية في ظل الفات ومنظمة التجارة العالمية** / سعيد النجار، اللجنة الاقصادية والاجتماعية لغربي اسيا - نيويورك: الأمم المتحدة، ١٩٩٩.

- **حقوق الإنسان والتشغيل بين التنافسية والآلية: موضوع الدورة الأولى ١٩٩٦: الرباط** / أكاديمية المملكة المغربية - الرباط، ١٩٩٦ - (سلسلة الدورات).

- **الخائن** / عبد السلام العجيلي - ط ٢ - بيروت: دار الشرق العربي، [١٩٨٠].

- **دراسات في أدب عبد السلام العجيلي** / مجموعة من المؤلفين؛ تحرير إبراهيم الجرادي - ط ١ - دمشق: الأهالي، ١٩٨٨.

- **دراسات في المخطوطات العربية** / إعداد سماء زكي المحاسني - الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٩٩٩.

- **رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار** / تأليف شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي؛ تحقيق عبد الهادي التازي - الرباط: أكاديمية المملكة المغربية، ١٩٩٧ - خمس مجلدات، (سلسلة التراث).

- **رصيف العذراء السوداء: قصص** / عبد السلام العجيلي - بيروت: دار الشرق العربي، ١٩٨٨.

- **رؤساء الدول أمام حق تقرير المصير وواجب الحفاظ على الوحدة الوطنية والترابية: موضوع الدورة الأولى ١٩٩٤: فاس** / أكاديمية المملكة المغربية - الرباط، ١٩٩٤ - (سلسلة الدورات).

- **سبعون دقيقة حكايات: محاضرات** / عبد السلام العجيلي [د.م]: دار الكاتب العربي، [١٩٨٠].

- **سبيل التوفيق في ترجمة عبد الله بن الصديق** / أبو الفضل عبد الله بن الصديق الغماري ـ القاهرة: الدار البيضاء، ١٩٩٠.

- **شرح الأربعين النووية** / محمد حسين الحسيني الجلالي ـ ط ٣ ـ بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٩٨٧.

- **الشيخ الطوسي مفسراً** / خُضيّر جعفر ـ ط ١ ـ قم: مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، [١٩٩٩].

- **عمل لائق وحماية للجميع في إفريقية: تقرير المدير العام** / مكتب العمل الدولي ـ ط١ ـ جنيف، ١٩٩٩.

- **عيادة في الريف** / عبد السلام العجيلي ـ ط٢ ـ بيروت: دار الشرق العربي، [١٩٧٧].

- **غنائم الأيام في مسائل الحلال والحرام** / أبو القاسم القمي؛ تحقيق عباس تبريزيان، مكتب الإعلام الإسلامي ـ ط١ ـ قم: مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، [١٩٥٨] ـ المجلدان الرابع والخامس.

- **القراءة الأخرى: إعادة نظر في بعض المسكوكات الأدبية** / د. سعاد عبد الوهاب ـ القاهرة: دار قباء، ٢٠٠٠.

- **قناديل إشبيلية: قصص** / عبد السلام العجيلي ـ بيروت: دار الشرق، [١٩٨٠].

- **قناديل إشبيلية : قصص** / عبد السلام العجيلي - بيروت: دار الشرق، [١٩٨٠].

- **كتالوج المعاجم والموسوعات ١٩٩٨ - ١٩٩٩** / مكتبة لبنان - بيروت، ١٩٩٩.

- **الكفاف: كتاب يعيد صوغ قواعد اللغة العربية** / يوسف الصيداوي - ط ١ - دمشق: دار الفكر، ١٩٩٩ - جزءان.

- **مسائل في المعجم** / إبراهيم بن مراد - ط ١ - بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٧.

- **مسح الجمهورية العربية السورية حول صحة الأم والطفل: التقرير الرئيسي** / رئاسة مجلس الوزراء، المكتب المركزي للإحصاء - دمشق، ١٩٩٥.

- **المسلم في التاريخ: أعمال الدورة الثانية المنعقدة في الدار البيضاء من ٢٥ - ٢٧ آذار ١٩٩٨** / بإشراب عبد المجيد الشرفي - الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ١٩٩٩.

- **معجم أشعار المعصومين الواردة في بحار الأنوار: ما نظموه وما أنشدوه** / مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية - ط ١ - قم: مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، [١٩٥٨].

- **المعجم العربي المختص: وقائع الندوة العلمية الدولية الثالثة التي نظمتها جمعية المعجمية بتونس ١٧ - ١٨ نيسان ١٩٩٣** / جمعية المعجمية العربية بتونس - ط ١ - بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٦.

- **معجم المصطلحات العلمية والتقنية في الطاقة**

الذرية: إنكليزي - عربي / هيئة الطاقة الذرية - طبعة جديدة، موسعة - دمشق: الهيئة، ١٩٩٩.

- **معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية الجديد للجيب: إنكليزي - عربي /** إعداد أحمد شفيق الخطيب - ط ٢، منقحة - بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٩٩.

- **مقدمة لنظرية المعجم /** إبراهيم بن مراد - ط ١ - بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٧.

- **الملامح الاقتصادية في رحلة ابن بطوطة /** د. أحمد مطلوب - ط ١ - بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٩.

- **منظمة الإسكوا: خمسة وعشرون عاماً ١٩٧٤ - ١٩٩٩: التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية /** اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا - بيروت: الأمم المتحدة، ١٩٩٩.

- **منهجية تعريب الألفاظ في القديم والحديث: من بحوث ندوة مجمع اللغة العربية بدمشق (اللغة العربية: ملامح الحاضر وآفاق المستقبل ١٩٩٧) /** د. ممدوح محمد خسارة - ط ١ - بيروت: مؤسسة الرسالة؛ الدار المتحدة، ١٩٩٩.

- **النوع الاجتماعي والمواطنة: دور المنظمات غير الحكومية في السلطة الوطنية الفلسطينية: تقييم نقدي /** إعداد زهير كمال، اللجنة الاقتصادية والإجتماعية لغربي آسيا / نيويورك: الأمم المتحدة، ١٩٩٩ - (سلسلة دراسات عن المرأة العربية في التنمية؛ ٢٧).

- **هل في القرآن أعجمي؟ نظرة جديدة إلى موضوع قديم** / د. علي فهمي خشيم - ط ١ - بيروت: دار الشرق الأوسط، ١٩٩٧.

- **وثيقة مشروع حول إعادة تأهيل القطاع الزراعي في الأراضي الفلسطينية: مقترح لتطوير الإحصاءات الزراعية بوزارة الزراعة** / اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا - نيويورك : الأمم المتحدة، ١٩٩٩.



ب - المجلات العربية

هالة نحلاوي

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
الاسبوع الأدبي	من ٦٧٦- ٦٧٩	١٩٩٩	سورية
الحياة الموسيقية	٢٠	١٩٩٩	سورية
دراسات تاريخية	٣	١٩٨٠م	سورية
	٦٣- ٦٤	١٩٩٨	سورية
صوت فلسطين	٣٨٠	١٩٩٩	سورية
صوت المعلين	٣٣ (١٩٧٧)، ٣٤، ٣٥ (١٩٧٨)، ٥٢ (١٩٨٠)		سورية
الطليعة	٢، ٣، ٨	١٩٣٦	سورية
الطيران المدني	٤	١٩٦٨	سورية
عالم الذرة	٨	١٩٨٩	سورية
مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية	مج ٧ (الآداب والعلوم الإنسانية: ٨) ١٩٩٥		سورية
مجلة جامعة دمشق	مج ١٤ (الآداب والعلوم الإنسانية والتربوية: ١، ٢) ١٩٩٨ مج ١٤ (العلوم الاقتصادية والقانونية: ١) ١٩٩٨ مج ١٤ (العلوم الصحية: ٢) ١٩٩٨		سورية
المجلة الطبية العربية	١، ٢، ٣ (١٩٦١)، ٤، ٥، ٦ (١٩٦٢)، ٧ (١٩٦٣)، ٩، ١٠ (١٩٦٤)، ١١، ١٤ (١٩٦٥)، ١٦ (عدد خاص) ١٩٦٦، ٢٢ (عدد خاص) ١٩٦٧		سورية
مجلة العاديات	٣، ٤ (١٩٣٤)، ١ (١٩٣٧)، ٢ (١٩٣٨)		سورية

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
مجلة المعلومات	من ١٠٩– ١١٣	١٩٩٩	سورية
المرأة العربية	من ٩٢– ٩٧ (١٩٧٦)، ٩٨، ٩٩، ١٠١، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١٢، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٩ (١٩٧٧)، من ١٢٠– ١٢٧، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٧ (١٩٧٨)، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٥ (١٩٨٠)، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٦ (١٩٨٤)		سورية
المعرفة	١٤٣ (عدد خاص)، ١٤٤، ١٤٦، ١٥٠ (١٩٧٤)، ٤٣٢ (١٩٩٩)		سورية
المعلم العربي	١ (١٩٤٨)، (٤و ٥) ١٩٥١، ٣ (١٩٥٢)، ١، ٢ (١٩٥٢)، ٤ (١٩٥٣)، ٤ (١٩٥٧)، (٣و ٤)، (٥ و ٦) ١٩٥٨، (١ و ٢) ١٩٥٨، ٣، (٨ و ٩) ١٩٦٠، (١ و ٢) ١٩٦٠، (١ و ٢) ١٩٦١، (٣ و ٤) ١٩٦٢، (٥ و ٦)، ٩ (عدد خاص) ١٩٦٢، (١ و ٢) ١٩٦٢، (او ٢) ١٩٦٤		
المهندس العربي	٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧ (١٩٨٤)،٩٥، ٩٦ (١٩٨٩)، ٩٩، ١٠٠ (١٩٩٠)، من ١٠١– ١٠٤ (١٩٩١)، ١٠٥، ١٠٦ (١٩٩٢)، من ١٠٩– ١١٢ (١٩٩٣)، ١١٥ (١٩٩٤)		سورية
الموقف الأدبي	٣٤١	١٩٩٩م	سورية
النشرة الاقتصادية لغرفة تجارة دمشق	٣	١٩٩٩	سورية
الأنباء	٧٨٢، ٧٨٥	١٩٩٩م	الأردن

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
حولية مديرية الآثار العامة	مج ١٤	١٩٦٩	الأردن
دراسات	مج ٢٥ (الكشاف السنوي) ١٩٩٨ مج ٢٦ (العلوم الإدارية: ٢) ١٩٩٩		الأردن
هدي الإسلام	مج ١ (٢، ٣، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠) ١٣٧٦ مج ٢ (٦، ٨) ١٣٧٧ مج ٦ (٢، ٣، ٥، ٦، ٨) ١٣٨١ مج ٧ (١) ١٣٨٢ مج ٨ (١- ٧) ١٣٨٣ مج ٨ (٨) ١٣٨٣		الأردن
آفاق الثقافة والتراث	(٢٠- ٢١) ١٩٩٨م، (٢٢- ٢٣) ١٩٩٨م		الإمارات
مجلة كلية الدراسات الاسلامية والعربية	٢ (١٩٩١م)، ٥ (١٩٩٢م)		الإمارات
تعليم الجماهير	١٦	١٩٨٠	تونس
المجلة العربية للثقافة	١	١٩٨٢	تونس
المجلة العربية للعلوم	٢، ٣	١٩٨٣	تونس
الأصالة	١١ (١٩٧٢)، (٨٥- ٨٦) ١٩٨٠، (٨٩- ٩٠) ١٩٨١م		الجزائر
الثقافة	٤	١٩٧١م	الجزائر
أخبار المكتبة	١٨	١٩٩٩م	السعودية
الدارة	١	١٣٩٦هـ	السعودية
عالم الكتب	مج ٢٠ (٥و ٦) عدد خاص	١٩٩٩م	السعودية
المجلة العربية	٢٦٩	١٩٩٩م	السعودية
نشرة المستخلصات	١٣	١٩٩٨م	السعودية
أوراق مجمعية	٦، ٧	١٩٩٩م	العراق
البلاغ	١٠	١٩٧٤م	العراق
الرسالة الإسلامية	(٢٥ و ٢٦)	١٩٧٠م	العراق

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
مجلة المجمع العلمي	مج ٤٦ (ج ٢/ ١٩٩٩م)		العراق
المعلم الجديد	٦ (١٩٣٩)، ١، ٢ (عدد خاص)، (٣و ٤)، ٥، ٦/ ١٩٣٩، ١، ٢، ٣ (عدد خاص) ١٩٤٠، ١، ٢ (١٩٤٠) ج ١ (١٩٤٥)، ج١، ج٦ (١٩٤٦) ج (٤و٥)١٩٤٧، ج١ (١٩٤٧) ج ٣، ج٤، ج (٥و٦) جزء خاص/١٩٤٩ ج٢، ج٣، ج٤، ج١ (١٩٥١) ج (١–٢) جزء خاص/ ١٩٥٣، ج٤ (١٩٥٤)، ج٣(١٩٥٥)، ج٦ (١٩٥٦)، ج٣، ج٤، ج (٥و٦)/ ١٩٥٧ ج١، ج٢، ج٣، ج (٤و٥)/ ١٩٥٨، ج٥(١٩٦٠)، ج١ (١٩٦٤)، ج١ (١٩٦٥)		العراق
المكتبة	٥ (١٩٦١)، ٥٩ (١٩٦٧)، ٦٣ (١٩٦٨)		العراق
الاقتصاديات العربية	٩	١٩٣٥	فلسطين
الريان	٥	١٩٨٠	قطر
أخبار التراث الإسلامي	٢٩	١٩٩٢م	الكويت
البيان	٣٥٠	١٩٩٩	الكويت
حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية	الحولية ٢٠ (١٣٧، ١٣٨، ١٣٩)	١٩٩٩–٢٠٠٠م	الكويت
العربي	٤١٣	١٩٩٣	الكويت
الآداب	٣، ٦، ٧، ١١، ١٢ (١٩٥٣)، ٩ (١٩٦٣)		لبنان

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
الأديب	ج١ (١٩٤٩)، ج١١ (١٩٥٠)، ج٥، ج٦، ج٧ (١٩٥١)، ج٨ (١٩٥٢)، ج١٠ (١٩٥٩)، ج٧ (١٩٦٤)، ج١٠ (١٩٦٦)، ج٨ (١٩٦٧)، ج١٢ (١٩٦٨)، ج٢ (١٩٧١)		لبنان
حوار	٦	١٩٦٣	لبنان
الدراسات الأدبية	١، ٤ (١٩٦٢)، ١، ٢ (١٩٦٣)، (٣و٤) ١٩٦٣-١٩٦٤،(١و٢)١٩٦٤، (٣و٤) ١٩٦٤-١٩٦٥،(١و٢)١٩٦٥، (٣و٤)١٩٦٥-١٩٦٦، (١و٢)١٩٦٦		لبنان
الدراسات الفلسطينية	٣٩	١٩٩٩	لبنان
الشراع	٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢	١٩٩٩	لبنان
العلوم	٤، ٥، ٧، ٩، ١٠، ١١(١٩٦٣)، ٣، ٧ (١٩٦٤)		لبنان
الفكر العربي	٣٠	١٩٨٢	لبنان
المعارف	(٧و٨)	١٩٦٢	لبنان
الوعي	٤٤ (١٩٦٠)،٧ (١٩٦٨)		لبنان
الهدى الاسلامي	٢(١٣٨١هـ)، ٣، ٤(١٣٨٢هـ)، ١(١٣٨٢هـ)، ٢، ٣، ٤ (١٣٨٣هـ)، ٢، ٣، ٤ (١٣٨٦هـ)، ٢(١٣٨٧هـ)، ٤(١٣٨٨هـ)، ١(١٣٨٩هـ)، ٣(١٣٩٧هـ)		ليبيا
التمويل والتنمية	٣(مج ٣٦)	١٩٩٩	مصر
الدكتور	٢٢٨، ٢٢٩(عدد ممتاز)، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣(١٩٦٧)، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، من ٢٤٢-٢٤٥(١٩٦٨)،		مصر

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
	٢٤٦، من ٢٤٨–٢٥١،		
	٢٥٣–٢٥٧(١٩٦٩)،		
	٢٥٨، من ٢٦٠–٢٦٤، ٢٦٧،		
	٢٦٨، ٢٦٩ (١٩٧٠)، ٢٧٠، ٢٧٢،		
	٢٧٥، ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١		
	(١٩٧١)، ٢٨٢(١٩٧٢)		
رسالة اليونسكو	آذار، نيسان، أيار	١٩٩٩	مصر
الكتاب	مج٢ (ج٨، ج٩/ ١٩٤٦)،		مصر
	مج٣ (ج٥، ج٦/ ١٩٤٧)،		
	مج٤ (ج٧، ج٨، ج١٠ (عدد		
	خاص)،		
	ج ١١، ج١٢/ ١٩٤٧)،		
	مج٥ (ج٥) ١٩٤٨		
	مج٦ (ج٧، ج٨، ج٩ (جزء خاص)،		
	ج١٠/ ١٩٤٨)،		
	مج ٧ (ج١، ج٢، ج٣/١٩٤٩)		
	مج٨ (ج٧، ج٨، ج٩ جزء		
	خاص/١٩٤٩)		
	ج٩ (١٩٥٠)		
	مج١٠ (ج٣، ج٨/ ١٩٥١)		
	مج ١١ (ج٣، ج٥/١٩٥٢)		
	مج ١٢(ج٢، ج٣، ج٥، ج٧/		
	١٩٥٣)		
نشرة الإيداع	آذار، نيسان	١٩٩٩	مصر
الهداية الإسلامية	مج٥ (ج٧) ١٣٥١		مصر
	مج ٦ (ج٩و ١٠) ١٣٥٣		
	مج٧ (ج٦ و ٧) ١٣٥٤		
	مج ٩ (ج ١٠) ١٣٥٦		

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
الهلال	(ج١– ج١٠) مج ٥٥(ج١–ج٦)، (ج٧–ج١٢)/ ١٩٤٧ مج ٥٦(ج١–ج٦)، (ج٧–ج١٢)/ ١٩٤٨ مج٥٧(ج١)عددخاص، ج٢، ج٤، ج٥(عدد ممتاز)، ج٦، (ج٧–ج١٢)/ ١٩٤٩ مج٥٨(ج١، ج٣، ج٤ (عدد ممتاز)، ج٥– ج١٠(عدد خاص)، ج١١/ (١٩٥٠ مج ٥٩(ج ١ (عدد ممتاز)–ج٦)،(ج٧، ج٨ (عدد ممتاز)– ج١٢)/ ١٩٥١ مج ٦٠(ج١ (عدد ممتاز)– ج٦)، (ج٧–ج٨(عدد خاص)، ج٩، ج ١٠ (عدد خاص)– ج١٢)/ ١٩٥٢ مج٦١(ج١ (عدد ممتاز)–ج٦)، ج٧–ج١٠ (عدد خاص)، ج١١، ج١٢)/١٩٥٣ مج ٦٢(ج١–ج٤(عدد ممتاز)، ج٥، ج٦)، (ج٧، ج٨(عدد ممتاز)– ج١٢)/ ١٩٥٤ مج ٦٣ (ج١–ج٦)،(ج٧–ج٩ (عدد ممتاز)، ج١٠–ج١٢)/١٩٥٥ مج٦٥(ج٩–ج١٢/١٩٥٧) مج ٦٦(ج١(عدد خاص)، ج٢/ (١٩٥٨	١٩٠٩	مصر

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
دعوة الحق	٨ ، ٩	١٩٥٨	المغرب
الاتحاد السوفييتي	١١، ١٢(١٩٥٦)، ١٢(١٩٥٧) ٢٥، ٢٦(١٩٥٨)، ١١٨(١٩٦٦)		الاتحاد السوفييتي
أندونيسيا	١، ٢، ٣، ٥، ٦، ٧، ١٠، ١٣، ١٤، ١٥، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١،(١٩٦٨)، من ١- ١٢، ١٣، ١٩(١٩٦٩)، ١، ٣، ٤، ٩، ١٠، ١١(١٩٧٠)، (١٠-١١) ١٩٧١، ١٦٧(١٩٧٦)		أندونيسيا
الثقافة الاسلامية	٣٧(١٤١١هـ)، من ٣٨-٤٣ (١٤١٢هـ)، ٤٥-٤٨(١٤١٣هـ)، ٥٠، ٥١(١٤١٤هـ)		إيران
الهادي	٥(١٣٩٤هـ)، ١(عدد ممتاز) ١٤٠٠هـ، ٢(١٤٠١هـ)		إيران
المراحل	٧(١٩٥٧)، ٦٠(١٩٦٠)، (٨٨-٨٩)١٩٦٣،(١١٠-١١١) ١٩٦٥		البرازيل
مجلة النفط	أيار، حزيران، تشرين١ (١٩٦٠)، تشرين٢ (١٩٦٤)، آذار، نيسان، حزيران (١٩٦٥)، حزيران، تموز (١٩٦٦)، من كانون ١- كانون٢/ ١٩٦٨، نيسان (١٩٦٩)، من نيسان- آب (١٩٧٠)، أيار (١٩٧١)		بريطانيا
بلغاريا الجديدة	(٥-٦)، ٩، ١٠، ١٢ (١٩٧٣)، ٣، ٤، ٨ (١٩٧٤)، ١، ٢، ٣، ٨، ٩، ١٠، (١١-١٢)/ ١٩٧٥، ١، ٢، ٤، ٩، ١٢ (١٩٧٦)، ٦، ١١		بلغاريا

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
	(١٩٨٠)، ٦، ٧ (١٩٨٤)،		
	٣، ٦، ٧ (١٩٨٧)		
وقائع اليونسكو	٣، ٤، ٦، (٧ – ٨)، ٩ (مج ١١)	١٩٦٥	فرنسا
	١، ٥، ٦، (٧ – ٨)/ مج ١٢	١٩٦٦	
	(١–٢)/ مج ٢٣	١٩٧٧	
ثقافة الهند	مج ١ (١، ٢، ٣)	١٩٥٠	الهند
	مج ٦ (٢، ٤)	١٩٥٥	
	مج ٧ (٣)	١٩٥٦	
	مج ٨ (٤)	١٩٥٧	
	(١–٢) ، ٣، ٤ (مج ٩)	١٩٥٨	
	(١ – ٢)، ٤ (مج ١٠)	١٩٥٩	
	مج ١١ (١، ٣، ٤)	١٩٦٠	
	مج ١٢ (١، ٢، ٣)	١٩٦١	
مجلة المجمع العلمي الهندي	١ – ٢ (مج ١٢)	١٩٨٧م	الهند
	١ – ٢ (مج ١٤)	١٩٩١م	
الهند	٢ (١٩٦٩)، ٢٣ (١٩٧٢)،		الهند
	٣٥ (١٩٧٣)		

ج – الكتب والمجلات الأجنبية

سماء المحاسني

1-Books:

- Annual Report of The Librarian of Congress , 1998.- Washington, 1999.
- Arabische Briefe/ by Albert Dietrich .- Hamburg, 1955 .-
- Das Arabische Reich und Sein Sturz/ by J . Wellhausen .- Berlin , 1902 .
- Before the Storm/ by Reiko Uchida , trBy : ELon Satoru Simon .- Tokyo , 1999 . (Translated from Japanese language).
- Begriff Der Arbeits - Schule/ by Georg Kerchensteiner.- Stuttgart , 1959 .
- The Conditions and Consequences of Choice/ by Naila Kabeer .- Geneva , 1999 .- (Publication of United Nations Research Institute for Social Development) .
- The Court of The IL - Khans , 1290 - 1340 / edited by Julian Raby & Teresa Fitzherbert .- oxford , 1994 .- (oxford Studies in Islamic Art , XII).
- Escwa (1974 - 1999) , Twenty - Five years of Service to The Regions' Development / by Serge Nédélec .- Geneva , 1999 .- (united Nations Publication).

- The Escwa Region : Twenty Five years , 1974 - 1999 , Political , Econonic and Social Developments / by Ahmed youssef Ahmed and others , ed . by Riad Tabbarah .- Beirut , 1999 .- publ . by :

Escwa , united Nations) .

- Fehrest Noskheha - ye Khatti , .- ye Ketabkhane - ye Majles -e Shura - ye Islami / The Center of

publication of the office of Islamic propagation of the Islamic Seminary of Qum .- Iran .

(Listing The Handwritings of The Library of The Islamic Consultative Assembly).

- Fehrest Noskheha - ye Khatti - ye Ketabkhane - ye Majles- e Shura - ye Islami/ by Ali Sadrai Khui .- Iran .

(Containing Library Manuscripts).

Vols : 26 , 35 , 36 , 37 , 38 .

- Gender in The World Banks Poverty Assessments/ by Ann Whitehead .- Geneva , 1999 .- (Publication of UNRISD).

- Geschichte des Mittelalters für die V . and VIKLasse/ by Konstantin Nutu .- Germany , 1957 .- illustrated .

- The Greeting of Business in Mexico/ by David Barkin .- Geneva , 1999 .- (publ . of UNRISD) .

- Die Grossen Denker/ by Will Durant .- Leipzig , 1926 .

- Die Kultur Der Antike / by Ernst Howald .- zürich , 1948 .

- A Monumental Manifestation of the Shiite Faith in Late Twelfth - Century Iran/ by Raya Shani - Oxford , 1996 .- (oxford Studies in Islamic Art , xI) .
- Publications and Documets of Escwa : Twenty - Five years / by united Nations .- Newyork , 1999 .- (pub . of United Nations).
- Die Renaissance Des Islams/ by A. Mez .- Heidelberg, 1922 .-
- Vorlesungn über Den Islam / by Ignaz Goldziher .- Heidelberg , 1925 .
- World Commission on The Ethics of Scientific Knowledge and Tehnology (Comest) , proceedings of The First Session - oslo , April , 1999 .- Unesco , 1999 .
- Wörterbuch Der Religionen / by Wilfried Nälle .- München , 1960 .

2 - Periodicals :

- Acta Orientalia , Academiae Scientiarum Hungaricae Nos . : (1- 2) 3 , 4 , vol . 51 , 1998 .
- Beijing Review , China .

Nos . : 20 , 21 , 22 , 23 , 24 , 25 , 26 , 27 , 28 , 29 , 30 , Vol . 24 , 1999 .

- Bulletin of Labour Statistics , Geneva .

No . 3 , 1999.

Publ. by: International labour office Geneva .

- Bulletin officiel .

No . 3 , vol . LxxxI, 1998.

Publ. by : Bureau International Du Travail .

- Deutschland , Magazine on Politics , Culture

and Business .

No . 5 , 1999.

- EFA 2000 . Bulletin Publié par l'unesco pour le Forum International Consultatif sur l'éduction pour tous .

No . 36 , 1999 .

- India Perspectives .

Nos . : March , 1999 (special Issue) , March , 1999 (No . 3) , March , 1999 (Special issue) , April , 1999 , May , 1999.

- Korea and World Affairs, A quarterly Review .

No . 2, Summer , 1999 .

publ . by : Research Center for [illegible]e and Unification of Korea .

- Law and State , A Biannual Collection of Recent German Contributions to These Fields .

Vol . 59/ 60 , 1999

publ . by : The Institute for Scientific co - operation , Tübingn.

- Ma'arif , Monthly Journal of Darul Musannefin Shibli Academy , Azamgarh , India .

No . (July) , 1999 (In Urdu language).

- The Middle East Journal .

No . (3), Summer , 1999.

Pub L. by : Middle East Institute , Wahington , USA .

- Name - ye fahrangestan , The quarterly Journal of Iranian Academy of persian language and

Literature , Iran .
Nos . : 1,2, 3, vol . (1) , 1995
No . 4 vol . (1) , 1996
Nos.: 1, 2, 3 , 1996
No.: 4, 1997.
Nos . : 1, 2 , 1997 , vol . (1).
(In persian language).
- Nature Resources , Unesco .
No . (2) , vol . (35) , 1999
- Perspetives , revue Trimestrielle d'éducalion Comparẽe , Unesco.
No . (1), mars , 1999.
Pub L .by : Bureau International D'Education .
- Revue International Du Travail , Ceneve .
No . (2) , 1999.
- Samsung Magazine , Korea.
No . (3) , 1999
- SGI , quarterly , Soka Gakkai International quarterly Magazine , Japan .
No . 18 , 1999 .
- Sirat - e - Mustaqeem .
No . (1) , 1999.
pub L. by : National Halal Centre , Birmingham , UK .
(in persian Language).
- Studia Islamica , paris .
No . 89 , 1999 .
- The Töyöshi - Kenkyü , The Jounal of Oriental

Researchers , Kyoto , Japan .
No . (1) , 1999 .
(in chinese language).
- Travail , le Magazine De l'oit , Geneve .
No . (31) , 1999 .
pub L. by : Bureau International Du.Travail , Geneve .



فهرس الجزء الثاني من المجلد الخامس والسبعين

(المقالات) (الصفحة)

(التعريف والنقد)

(آراء وأنباء)